٤٠٥٤

جامعة الملك سعود

King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

٢١١
ك (كتاب في علوم القرآن) ، لم يعلم المؤلف ، كتب في القرن
الثاني عشر الهجري تقديرا .

٤٠٥٤ ٢٩٠ ق ١٩ س ٥ر١٦×٩ر٢٠ سم

نسخة جيدة ، ناقصة الأول والآخر ، رؤوس الفقر بالحمرة ،
خطها نسخ معتاد .

١- قرآن كريم وعلومه أ- تاريخ النسخ .

Copyright © King Saud University

وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم مثلهم كمثل تجارة
يجي قول يشبه ذلك القول قولا اخر بينهما مشابهة
للتبيين احدهما الاخر وبتصوره وهذا ضرب الله تعالى
الامثال في كتابه وهو احد اقسام القران السبعة
ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب
المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب
ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء
الخفي بالجلي فيتاكد الوقوف على ماهيته وذلك هو
النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون ولابد غرابة
من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا السفع بها
فلما اضاءت يعني النار ما حوله يعني حول المستوقد
ذهب الله بنورهم فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع
ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله و
وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة
المستوقد وقيل معناه ومثل واحد منهم الذي استوقد
نارا وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال ابن عباس نزلت
في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد
نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفى ورأى ما حوله
فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذا طفيت ناره فبقي في

الرقم ٤٠٥ ف ٢٤٣/١
٢١٦X٩ ١٢,٥ سم

ظلمة حايرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان
فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين
ووارثوهم وقاسموهم في الغنايم فذلك نورهم فلما ماتوا
عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم
للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب
نورهم في القبر او في الصراط فان قلت ما وجه تشبيه
الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان
ان النور طريق الاشياء في الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق
المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى
الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضلال عن
الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر
لا يزداد صاحبه في الاخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين
بالنار ثلاث حكم احدها ان المستضيء بالنار مستضيء بنور
غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة كانهم لما اقروا بالايمان
من غير اعتقاد قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان
النار يحتاج في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان
يحتاج الى مادة الاعتقاد الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد
الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه
حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال صم اي سماع الحق
كانهم

كانهم لانهم لم يتقبلوه فكانهم لم يسمعوه بكم اي خرس عن
النطق بالحق فلا يذكرونه عمي اي لا بصاير لهم يميزون به بين الحق
والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له انتهى عمي كانت حواسهم
سليمة ولكنهم لما بعدوا عن سماع الحق اذانهم وابوا ان ينطق
به السنتهم وان ينظرون بعيونهم جعلوا كمن تعطلت
حواسهم وذهب ادراكه قال الشاعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وانا ذكرت بسو عندهم فهم لا يرجعون عن ضلالتهم
ونفاقهم او كصيب من السماء او كاصحاب صيب وهو المطر الذي
انزل من الاعلى الى الاسفل فهو مطر من السماء اي السحاب فان
كلما علا السماء فظله فهو سما ومنه قيل لسقف البيت سما وقيل من
السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل
الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد بابخرة الارض وابطل
مذهب الحكما بقوله من السماء ليعلم ان المطر لا ينزل ابخرة الارض
كما ذهب الحكما فيه اي الصيب ظلمات جمع ظلمة ورعد هو الصوت
الذي يسمع من السحاب وقيل برق يعني النار التي تخرج منه
قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان
سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر
السحاب اذا انبددت جمعها وضمها فاذا اشتدت غضبه
يخرج من فيه النار فهو البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح

الملاك وقيل اسمه يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق
جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها او يغشى وقيل
الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على نبي عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد
والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك
وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
حذر الموت اي مخافة الهلاك والله محيط بالكافرين اي عالم
بهم وقيل جامعهم ويعذبهم يكاد البرق اي يقرب يقال يفعل
ولم يفعل يخطف ابصارهم اي يختلسها والخطف استلاب
الشيء بسرعة كلما اي متى جاء اضاء لهم يعني البرق مشوا فيه
اي في اضاءته ونوره واذا اظلم عليهم قاموا اي وقفوا
متحيرين واذا اظلم عليهم قاموا اي وقفوا متحيرين وهذا
مثل ضرب الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله
عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة ليلة
مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر
وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان الساري لا يمكنه
المشي فيها رعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم الى
الاذان من هول الرعد وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم
ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقران وصنيع
الكافرين

الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القران لانه حياة
القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما في القران
من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد
وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر
الجنة والنار فالكافرين والمنافقين يسدون اذانهم عند قراءة
القران واصابعه مخافة من ان تميل قلوبهم اليه فذلك
الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله
تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء
والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الاخرة والبرق
ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم في اذانهم يعني المنافقين
اذا راوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله
محيط بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لان من ورائهم جامعهم
ويعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر
لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم يعني المنافقين
واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه
يعني على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة
وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم قاموا
يعني اذا راوا شدة وبلاء تاخروا لعلكم لعل وعسى حرفا ترجي
وهما من الله واجب تتقون اي لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه

Copyright © King Saud University

تكونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله
وحكم الله من وراء ذلكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي جعل
الارض فراشا اي خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة
ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من
الارض والسماء بناء اي سقفا مرفوعا قيل اذا تامل الانسان
المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور كلما يحتاج اليه مرفوعة
كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح
والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيئة
النافعة واصناف الحيوان مضروبة في مصالحه فيجب على
الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى وان
كنتم في ريب اي ان كنتم في شك لان الله عليم انهم
شاكون مما نزلنا على عبدنا اي محمد صلى الله عليه وسلم
لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد
الخالق وانه لا ضد له ولا ند اتبعته باقامة الحجة
على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة
في كون القران معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه
كما يدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله
عليه وسلم وان القران منزل من عند الله سبحانه وتعالى
فاتوا امر تعجيز بسورة والسورة قطعة من القران
معلومة

معلومة الاول والاخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة
ومنه سور البلد لارتفاعه سميت لان القاري ينال بها
منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القران
من مثله اي مثل هذا القران وقيل الضمير في مثله راجع
الى عبدنا يعني من مثل عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم
امي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلما ولم ياخذ
العلم من احد ورد الضمير الى القران اوجه ويدل عليه
ان ذلك مطابق لساير الايات الواردة في التحدي ولما
وقع الكلام في المنزل الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في
القران المنزل من عند الله فاتوا بسورة مما يماثله ويجانسه
ولو كان الضمير مردود الى محمد صلى الله عليه وسلم ويدل
عليه كون القران معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة
في طرفي الايجاز والاطالة فتارة ياتي بالقصة باللفظ
الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود
الاقوال وانه فارق اساليبه اساليب واوزانه اوزان
الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدث العرب
به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم
معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر
من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة

Copyright © King Saud University

في وصف القران والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة
وان اصله لمغدق وان اعلاه لمثمر وادعوا شهداءكم
من دون الله اي استعينوا بالهتكم التي تعبدونها من
دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق
العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم
من امر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون
في دعواكم انها الهة وقيل معناه وادعوا اناسا
يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم
يقوله من تلقاء نفسه قال فان لم تفعلوا فيما مضى ولن
تفعلوا فيما بقي وهذه الاية دلت على عجزهم وانهم لم
ياتوا بمثله ولا بمثل شي منه وذلك ان النفوس الابية
اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت بالاتيان بمثل
هذا القران وبمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به
وحيث لم ياتوا بشي ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقران من
جنس كلامهم وكانوا حراصا في اطفاء نوره وابطال امره
ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من
احد ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل واذا
ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

واذا كان

واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى
فاتقوا النار اي امنوا واتقوا بالايمان النار التي وقودها
اي حطبها الناس والحجارة قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت
لانها اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على تلك الحجارة
وقودها وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت
من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم يعبدونها
معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم
في نار جهنم اعدت اي هيئت للكافرين وبشر الذين امنوا
اي اخبر المؤمنين وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة
ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في
بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع للخير والشر ومنه قوله فبشرهم
بعذاب اليم ولكن هو في السرور والخير اغلب وعملوا
الصالحات اي الفعلات الخيرات وهي الطاعات
قيل العمل الصالح ما كان عليه اربع اشياء العلم والنية
والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات
اي اخلصوا الاعمال يعني من الريا ان لهم جنات جمع جنة
وهي البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها
وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل
والفردوس ما كان فيه كرم تجري من تحتها اي من تحت

Copyright © King Saud University

اشجارها ومساكنها الانهار اي تجري المياه في الانهار لان
الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بامرهم وفي الحديث انها
انهار تجري في غير اخدود اي غير شق والخد الشق قالوا هذا
الذي رزقنا من قبل اي في الدنيا وقيل ثمار الجنة متشابهة
في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا
انها الاولى واتوا به اي بالرزق متشابها قال ابن عباس
مختلفا في المطعم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة
لا رادة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في الشم ولا
في الطعم م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون
ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح
كما يلهمون النفس طعامهم جشا ورشح كرشح المسك
وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح اي
يجري على السنتهم كما يجري النفس ولا يشغلهم عن شي
كما ان النفس لا يشغل عن شي قوله جشا يعني ان فضول
طعامهم يخرج في الجشا وهو تنفس المعدة والرشح العرق
ولهم فيها اي في الجنان ازواج من الحور العين مطهرة
يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار
وقال عن مجاهد من ثم الغمص العمش طهرت من قذرات
الدنيا

الدنيا وقيل طهرت من مساوي الاخلاق لمي قيل في الجنة
جماع ما شئت ولا ولد وهم فيها خالدون اي لا يخرجون
منها ولا يموتون والخلد البقا الدايم الذي لا انقطاع له ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول
زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين
يلونهم اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبزقون ولا
يتمخطون ولا يبولون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك
ومجامرهم الالوة الالنجوج عود الطيب وازواجهم الحور
العين على خلق واحد على صورة ابيهم ادم ستون ذراعا
في السماء وفي رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ
سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا
تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة
وعشيا ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة
طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف
عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابي هريرة
قال قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء
قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من
من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ

Copyright © King Saud University

والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس
ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه
الترمذي قال ليس اسناده بذلك القوي وعن عبادة بن الصامت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس
باعلاها درجة ومنها يخرج انهار الجنة الاربعة ومن
فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله تعالى فاسئلوه الفردوس
اخرجه الترمذي م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال
فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا
فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا
فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا
عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا
للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق مثلها
يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا
نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا
وكنا له اخرجه الترمذي وقوله حديث ان الله لا يستحيي ان
يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سبب نزول هذه
الاية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت

وذكر النحل

وذكر النحل والنمل قالت اليهود ماذا اراد الله بذكر هذه الاشياء
الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء
وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على اذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحيا
تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به
ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا اصل في
وصف الانسان والله منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى
به يكون معناه الدال وذلك لان لكل بداية ونهاية فبداية
الحيا هو التغير الذي يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك
الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد
وصف ذلك الحيا في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته فيكون
معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي لا يترك المثل لقول الكفار
واليهود ما قيل ما صلة فيكون المعنى ان يضرب مثلا بعوضة
وقيل هي ليس بصلة بل هي للابهام والبعوض صغار البق وهو من
عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو
مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل
فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصه فما فوقها
يعني الذباب والعنكبوت وما هو اعظم منها في الجثة وقيل
معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالاية لان

Copyright © King Saud University

لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير
الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح
البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب بالمحقرات
فقيل هو اصغر من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذبابة
والح من ذبابة ثم استوى الى السماء اي قصد واقبل خلقها
وقيل عمد وقال ابن ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري
من صفة امره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله تعالى
خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السماء فان قلت كيف الجمع
بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت
الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم
يبسطها ثم خلق السماء وجرم الارض بعد ذلك فان قلت
هنا مشكل ايضا لان الله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا
يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل ان ليس
هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل
لمن يذكره ما انعم عليه لم اعطك المارفع قدرك المارفع عندك
ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله اعلم واذ
قال ربك اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكلما ورد في القران
من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول اصح
الملائكة جمع ملاك واصله مالك وهي الوسالة واراد بالملائكة

الذين

الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض والسماء و
خلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة الا السماء واسكن الجن الارض
فتعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا
واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم
ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر
البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم
العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك سماء الدنيا وخزانة
الجنة وكان ابليس رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما وكان يعبد الله
تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال
في نفسه ما اعطى في الله هذا الملك الا لاني اكرم الملائكة عليه
فقال له ولجنده اني جاعل في الارض خليفة اي خالق خليفة
يعني به لا مثلكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون
الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا ادم عليه السلام لانه
خلف الجن وجاء بعدهم وقيل لانه يخلف غيره والصحيح
انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده
وتنفيذ قضاياه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها اي
بالمعاصي ويسفك الدماء اي بغير حق كما فعل بنو الجان
فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول قلت
يحتمل ان يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله اياهم او قاسوا

Copyright © King Saud University

الغائب على الشاهد وقيل انهم لما راوا ان ادم خلق من اخلاط
مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد
الفساد وسفك الدما فلهذا قالوا وقيل لما خلق الله النار
خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني
فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا ذلك فان قلت الملائكة
معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم
الى انهم غير معصومين واستدلوا على فعله بوجوه منها
قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم
اجاب عنه بان هذا السوال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل
الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكمة الله تعالى
واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم
ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره
ان يكون له عبد عاص فكان سوالهم على وجه المبالغة
في اعظام الله عز وجل ونحن نسبح بحمدك اي نقول سبحان
الله وبحمده وهي صلوة الملائكة وعليها يرزقون م وعن
ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام
افضل قال ما اصطفى الله الملائكة او لعباده سبحان الله وبحمده
قال ابن عباس كلما جاء في القران من التسبيح انما المراد
منه الصلوة ليكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح

تنزيه

تنزيه الله عما يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن
كل سوء ونقيض ومعناه بحمدك بذلك ومتلبسين بحمدك
فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك ونقدس
لك اهل التقديس التطهير اي نطهر لك من النقايص وكل
سوء ونصفك بما يليق بك وجلالك من العلو والعظمة
واللام صلة وقيل معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم قيل هذا الخطاب للملائكة
الذين كانوا سكان الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة
بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس فسجدوا
يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان اصحهما انه كان لادم
على الحقيقة ولم يكن وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحنا
وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجدة اخوة
يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام
ابطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لادم يعني الطاعة
لله تعالى والامتثال امره والقول الثاني ان ادم كان كالقبلة
وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلوة
والصلوة لله وفي هذه الاية دليل لمذهب اهل السنة في
تفضيل الانبيا على الملائكة الا ابليس نهي به لانه ايس
من رحمة الله اي يئس وكان اسمه عزازيل وبالعربية الحارث

Copyright © King Saud University

فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن
عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم وقيل
انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور
ولانه اصل الجن كما ان ادم اصل الانس والاول اصح لان
الخطاب مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه
منهم اتامرون الناس بالبر الاستفهام فيه للتقريع مع
التوبيخ والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير
والطاعة نزلت في علما اليهود وذلك ان الرجل منهم كان
يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا سئل عن امر محمد
صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره حق وقوله
صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب
ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق كانوا
يرغبوهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
حسدوه وكفروا به فكذبهم الله ووبخهم بذلك حيث
انهم كانوا يامرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما
ظهر تركوه واعرضوا عنه وقيل كانوا يامرون الناس
بالطاعة والصلوة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه
فوبخهم الله بذلك واستعينوا بالصبر والصلوة قيل
ان المخاطبين بهذا هم المومنون لان من ينكر الصلوة

على دين

على دين محمد لا يقال له استعن بالصبر والصلوة فلا جرم
وجوب صرفه الى صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وامن به
ويحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب
الى غيرهم توجب تفليك نظم القران ولان البر مرد
لم ينكروا اصل الصلوة والصبر لكن الصلوة غير صلوة
المومنين فعلى هذا القول ان الله تعالى لما امرهم بالايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب
الجاه والمال فقال لهم استعينوا بالصبر اي بحبس النفس عن
اللذات وان ضمتم الاية واستعينوا على حوايجكم الى الله وقيل
على ما يشغلكم من انواع البلا وقيل على طلب الاخرة بذلك
والصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل
بالصبر على اداء الفرايض وقيل الصبر هو الصبر الآن
فيه حبس النفس عن المفطرات وعن ساير اللذات وفيه
انكسار النفس والصلوة اي اجمعوا بين الصبر والصلوة
وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلوة وعلى ما يجب فيها
من التصحيح النية واذ فرقنا بكم البحر ذكر سيا والقصة
في ذلك لما دنى هلاك فرعون امر الله عز وجل موسى ان
يسري بني اسرائيل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا
في بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا واهلي القبط لهم

نبذة على قصة ابن موسى
بني اسرائيل

اولستعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا من القبط
من بني اسرائيل الى بني اسرائيل وكل ولد زنا من القبط الى القبط
حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله الموت على القبط فمات
كل بكرهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون
فقال الا اخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك
الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستماية الف
وعشرون الفا لا يعد من ابن عشرون سنة لصغره
ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع
يعقوب اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة فلما
والاه للسير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون
فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسالهم من ذلك فقالوا
ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا
من مصر حتى يخرجوه معهم فذلك انسد علينا الطريق
فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي
انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم
يعلم صمت اذناه عن سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادي
فلا يسمع صوته حتى سمعه عجوز منهم فقالت له ارايتك
ان دللتك على قبره اتعطيني كل ما اسالك فابى عليها وقال

ربي فامره ان يعطيها سولها فقالت اني عجوز لا استطيع
المشي فاحملني معك واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في الاخرة
فاسالك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها
معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الما فادع الله
ان يحسر عنه الما فدعا الله يحسر عنه الماء ودعا الله ان
يوخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف فحضر موسى
ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحملوه
معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح الله لهم الطريق
فسار موسى بني اسرائيل هو في ساقتهم هرون في مقدمتهم
ثم خرج فرعون في طلبهم في الف الف وسبعماية الف وكان
فيهم سبعون الف من دهم الخيل سوى سائر الاشهاب وقيل
كان معهم مائة الف حصان وكان في الدهم وكان على مقدمة
عسكره هامان وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان
بين يديه الف ناشب ومائة الف حراب ومائة الف معهم
الاعمدة وسار بنوا اسرائيل حتى البحر والما في غاية الزيادة
ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده
فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به فكيف
نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا
ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر

Copyright © King Saud University

فضربه فلم يطعه فاوحى الله ان كنه فضربه وقال انفلق
يا ابا خلد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه
اثنى عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الما بين كل
طريقين كالجبل وارسل الريح والشمس على قعر البحر حتى صار
يبسا وخاضت بنوا اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن بجوانبهم
الما كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل
سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء فاوحى
الله الى جبال الماء ان تشبكي فصار الماء كالشباك يرى بعضهم
بعضا وسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر فذلك
قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم يعني من فرعون
واغرقنا ال فرعون وذلك ان فرعون لما وصل البحر فرآه
منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى ادرك
عبيدي الذين ابقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا
وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وقومه
وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل فرعون فرس
انثى فجا جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمه
وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها
ولم يملك فرعون من امره شيئا واقتحمت الخيول خلفه في البحر
وجا ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا
باصحابكم

باصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم
بالخروج امر الله البحران ياخذهم فالتطم عليهم واغرقهم
اجمعين فكان بين طرفي البحر اربع فراسخ وهو بحر القلزم
وهو على طرف من بحر فارس وهو بحر من وراء مصر يقال
له اساف وكان اغراق الى فرعون وراى من بني اسرائيل فذلك
قوله وانتم تنظرون يعني الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم
وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم
عاشورا فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى لعلكم
تشكرون اي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي اليكم
واصل الشكر تصوير النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو
نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب
وهو تصوير النعمة والشكر اللسان وهو الثنا على المنعم
وشكر سائر الجوارح وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها
وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية
وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكى ان موسى عليه السلام
قال الهي انعمت علي النعم السوابغ وامرتني بالشكر وانما شكري
اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم
الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي ان يعلم ما به من نعمة فهو مني

Copyright © King Saud University

وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز
عن اعترافه معرفة قال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى
الله بعدها ببلاد النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل
شكر النعمة ان لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر
لمن فوقك بالطاعة وللنظير لك بالمكافاة ولمن
دونك بالاحسان والافضال فاقتلوا انفسكم يعني ليقتل
الله في منكم المجرم فان قلت التوبة عبادة عن الندم على
الفعل القبيح في العزم ان لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل
فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد للتوبة
بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل فان قلت
التايب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا
من الردة قلت ذلك مما يختلف فيه الشرايع فلعل شرع موسى
كان يقتضي ان يقتل التائب من الردة اما عاما في حق الكل
او خاصا في حق الذين عبدوا العجل ذلكم خير لكم عند باريكم
يعني القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما
موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين
من الهم وهو ثم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من
حل حبوته او مد طرفه الى قائله او اتقاه بيد او رجل فهو
ملعون ردت توبته وسلت القوم الخناجر والسيوف واقبلوا

اليهم

اليهم وكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه
وصديقه وجاره فيرق له فما يمكنهم المضي لامر الله
تعالى قالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله تعالى عليهم
سحابة سودا لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون
الى المسا فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا
وتضرعا الى الله وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية
فكشف الله السحابة عنهم فامرهم ان يكفوا عن القتل
فكشف عن الوف من القتل قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان
عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى
الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة
فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفر عنه
فذلك قوله تعالى فتاب عليكم اي فعلتم ما امرتم به
فتجاوز عنكم واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان
تذبحوا بقرة البقرة واحد البقر وهي الانثى واصلها البقر
وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الحراثة ذكر الاشارة
في ذلك قال علما السير والاخبار انه كان في بني
اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه
فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله على قرية اخرى القاه
على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي

في قصة البقرة والقتيل

عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى عليه السلام
فسئلوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم فسئل
موسى ربه في ذلك فامر بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها
فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا
هزوا اي نحن نسئلك امر القتيل وانت تستهزئ بنا
وتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين
في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال موسى اعوذ بالله
اي امتنع بالله ان اكون من الجاهلين اي مستهزئين
بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السوال
فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها
ولو انهم عمدوا الى اي بقرة كانت فذبحوها لاجزت عنهم
ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان ذلك حكمة الله
عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل وله طفل ابن
وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه
العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة
في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك
الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلي
ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح
انطلق فيحطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق

ثلثه ويأكل ثلثه ويعطي ثلثه فقالت له امه يوما يا بني
ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا
فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل ان يردها عليك
وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع
الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها
وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها
وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحق
فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها
يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها
الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى ان امي
لم تامرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني لم كنت تقدر
علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبال ان تنقلع من اصلها
لانقلعت ببرك امك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه
انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب
بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها
فقالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن
البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله
ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر كيف بره بامه وهو اعلم فقال
له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا

Copyright © King Saud University

امي فقال له الملك بستة دنانير ولا تستامر امك فقال
له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه الا برضا امي ورجع
الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة
دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع الى السوق واتى الملك
فقال له استامرت امك فقال الفتى نعم انها امرتني ان لا
انقصها من ستة على رضاها فقال الملك اني اعطيك اثني عشر
دينارا ولا تستامرها فابى الفتى ورجع فاخبرها بذلك
فقالت له امه ان الذي ياتيك ملك في صورة ادمي ليجربك فاذا
اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا
نفعل فقال له الملك اذهب الى امك فقل لها امسكي هذه
البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في
بني اسرائيل فلا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد
وقدر الله على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى
على بره لامه فضلا من الله ورحمة **والله مخرج ما كنتم تكتمون**
اي مظهر ما كتمتم من امر القتل لا محالة ولا تتركه مكتوما
فقلنا اضربوه يعني القتيل **ببعضها** اي ببعض البقرة
قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو
الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها
اليمنى والاقرب انهم متخيرين في ذلك البعض وانهم اذا

ضربوه

ضربوه باي جزء منها اجزا وحصل المقصود وان ليس في ا
القران ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخير
وفي الاية محذوف اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله
تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان يعني ابن عمه
ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث
قاتل بعد صاحب البقرة **كذلك** اي كما احيى الله عاميل صاحب
البقرة **يحيي الله الموتى** يوم القيمة **ويريكم اياته لعلكم تعقلون**
اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه
القصة ان يتقدم ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك
فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهان الله
تعالى لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد من خياناتهم
تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الايات العظيمة
وهاتان قصتان كل واحد منهما مستقلة بنوع من التقريع
وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى تقريعهم
على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية تقريعهم
على قتل المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت
قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم
ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتل فان قلت ما فائدة ضرب القتيل
ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابدا من غير ضرب

شيء قلت الفائدة فيها ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد
لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر
والحيلة فاذا حيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة
وعلم انه ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك فان
قلت هل الامر ان يذبح غير البقرة قلت الكلام في ذبح البقرة لو
امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوايد منها التقرب
بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان
كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في
تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي
اخذه صاحبها من ثمنها وان منها لما يهبط من خشية الله
اي ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها
لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد منها وقلوبكم يا معشر
اليهود لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل
ولا يفهم فكيف يخشى قلت ان الله تعالى قادر على افهام
الحجر والجماد فيعقل ويخشى بالهامه ومذهب اهل السنة
ان لله تعالى في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف
عليه غيره ولها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات
كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل

علمه الى الله

علمه الى الله تعالى م عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث
واني لاعرفه الان عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا
حجر ولا جبل الا وهو يسلم عليه يا رسول الله اخرجه الترمذي
وهو حديث غريب عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم عليه في خطبته فلما
وضع المنبر سمعنا للجذع صوتا كصوت العشار حتى نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية
صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تئن كانين الصبي الذي
يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال
مجاهد ما ينزل من اعلى الى اسفل الا من خشية الله وبذلك يشهد
لما قلنا افتطمعون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه
هو الداعي للايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان
ومعنى افتطمعون افترجون ان يؤمنوا لكم اي يصدقكم
اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون ان يؤمنوا لكم
مع انهم لم يؤمنوا لموسى عليه السلام وكان هو سبب خلاصهم

Copyright © King Saud University

من الذل وظهور المعجزات على يده وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا
مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل
المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب
لان الضمير راجع اليهم في افتطمعون ان يومنوا لكم فعلى
هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التورية لانه يصح
ان يقال لمن يسمع التورية يسمع كلام الله ثم يحرفونه اي يغيرون
كلام الله ويبدلونه لمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله
بالفريق الذين كانوا مع موسى استدل بقول ابن عباس انها نزلت
في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم
لما رجعوا الى قومهم بعد ان سمعوا كلام الله اما الصادقون
منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله
يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا
وان شئتم فلا تفعلوا فكان تحريفهم ومن فسر الفريق
الذين يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم
واية الرجم في التورية من بعد ما عقلوه اي علموا صحة كلام
الله ومراده فيه ثم بعد ذلك خالفوه وهم يعلمون
اي فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون قالوا
لتحدثونهم

اتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعني قضى الله عليكم في كتابكم من صفة
محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق ليحاجوكم به
اي ليخاصموكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم
بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا
تتبعوه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاورهم
في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم
بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة
عليكم عند ربكم اي في الدنيا والاخرة وقيل هو قول يهود بني
قريظة بعضهم لبعض حين يقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان
القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج الا منكم وقيل
ان اليهود اخبروا بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم
لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة
لانفسهم عليكم عند الله افلا تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم
عليه اولا يعلمون يعني اليهود ان الله يعلم ما يسرون
اي ما يخفون وما يعلنون اي ما يبدون وما يظهرون
ومنهم اي من اليهود اميون اي لا يحسنون الكتابة ولا
القراءة جمع امي وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما الامية
من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة لا يعلمون الكتاب الا اماني جمع
امنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر تمنى كتاب الله اول ليلة
تمنى داود الزبور على رسل اي تلا كتاب الله الكتاب وقال

Copyright © King Saud University

ابن عباس معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله وقيل الاماني
الاحاديث الكاذبة المختلفة وهي اشياء الذي كتبها علماؤهم
من عند انفسهم واضافوها الى الله تعالى من تغيير نعت النبي صلى الله
عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن
تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى يكون المعنى
لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشيا لا تحصل لهم فويل الويل
كلمة تقولها العرب لكل من وقع في مهلكة واصلها في اللغة
العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم
يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال حديث
غريب للذين يكتبون الكتاب بايديهم تاكيد للكتاب لا يحتمل
ان يامر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين
يكتبون اليهود وذلك ان رؤسا اليهود خافوا ذهاب ماكلهم
وزوال رياستهم حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في
تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التورية فغيروها
وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة
فغيروا ذلك وكتبوا مكان طوال ازرق العين سبط الشعر فكان
اذا سفلتهم عن ذلك قروا عليهم ما كتبوا ثم يقولون هذا
من عند الله يعني هذه الكتب التي كتبوها قال انظروا الى النبي

صلى الله عليه وسلم

الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة فيجدون مخالفها
فيكذبون ويقولون انه له الا اياما معدودة اي قدر مقدار
ثم يزول هذا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا
سبعة الاف سنة وانا نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع
عنا العذاب سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين
يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله
بعث عليهم في امرنا قسم ليعذبنا اربعين نخلة القسم فقال الله
ردا عليهم وتكذيبا لهم قل اتخذتم عند الله عهدا والذين امنوا وعملوا
الصالحات فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه
تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على
العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكريرا قلت
اجاب بعضهم بالايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة
الا ان قوله امن لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من فعل الاعمال
فلهذا احسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله
امنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى
امنوا اولا ثم داموا عليه اخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحات
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل يعني في التورية والميثاق العهد الشديد
لا تعبدون الا الله اي امرهم الله تعالى بها فيدخل تحت النهي عن عبادة
غيره لان الله تعالى هو الامر بالعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا
اي برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى

Copyright King Saud University

ويوصل اليهما بما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا
كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما
ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين
يامرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف
بر الوالدين على الامر بعبادته لانه شكر النعم واجب ولله على
عباده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم
فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم قال ان للوالدين على الولد نعمة
عظيمة لانهما السبب في الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق
التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا وذي القربى اي القرابة لان حق
القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة
الوالدين فلهذا احسن عطف القرابة على الوالدين واليتامى
جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل صغير فاذا بلغ
الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور
لصغره ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته [illegible]
اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه والمساكين
جمع مسكين وسياتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما اخرت
درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه
وينتفع غيره بالخدمة وقولوا للناس حسنا فيه وجهان
احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى
قولوا حقا وصدقا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن سئلكم
عنه فصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قال ابن عباس الوجه
الثاني ان المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى واخذت
عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات
كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره
وقلنا لهم من الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم
بالمعروف وانهوا عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة
وحسن الخلق واقيموا الصلاة واتوا الزكوة ولما امرهم الله
تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عند ما
التزموا به اخبر عنهم انهم وفوا بذلك بقوله ثم توليتم اي
اعرضتم بعد العهد الا قليلا منكم يعني من الذين امنوا
كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا [illegible] بالعهد
قوله تعالى وان ياتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم وهو
محرم عليكم اخراجهم اي بالمال وهو استنقاذهم بالشرى وقرئ
تفادوهم اي تبادلوهم وهو مفادات الاسير بالاسير
بيان معنى ومعنى الاية ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان
لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم
وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام

Copyright © King Saud University

من ثمنه واعتقوهم وكانت قريظة حلفا الاوس والنظير حلفا
الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب وكانت بنو النضير
تقاتل مع حلفائهم فاذا غلبوا احد الفريقين اخرجوهم من
ديارهم واخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا
له ما لا يفدونه به فعيرتهم العرب فقالوا كيف تقاتلونهم
تقاتلوهم فقالوا انا نستحي ان يذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى
فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي الاية تقديم وتاخير
تقديره وتخرجون فريقا من دياركم تظاهرون عليهم
بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم
اسارى تفدوهم فكان الله اخذ عليهم اربعة عهود
ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم
وفك اسارائهم فاعرضوا عن الكل الا الفدا فقال الله تعالى
عز وجل افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
ولقد اتينا اي اعطينا موسى الكتاب يعني التوراة جملة
واحدة وقفينا اي واتبعنا من التقفية وهو ان يقفي
الاثر من بعده اي من بعد موسى بالرسل يعني رسولا
بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى
عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة
واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشموئيل
وداود

وداود وسليمان وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا
ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله تعالى
عيسى فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التورية
فذلك قوله تعالى واتينا عيسى بن مريم البينات اي الدلالات
الواضحات وهي المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم
وقيل هو علم لها كزيد من الرجال وايدناه اي قويناه بروح
القدس قيل اراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى
واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله
وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله
الاعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الانجيل لانه
حياة القلوب سماه روحا كما سمي القرآن روحا وقيل هو جبرئيل
ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط
وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبرئيل كما تقول عبد الله
سمي جبرئيل روحا للطافته لانه روح لمكانه من الوحي الذي
هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا جبرئيل اولى
لانه تعالى قال وايدناه بروح القدس اي قويناه بجبرئيل
وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم
يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى

قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم علمت ولا كما تقول علينا من
اخبار الانبيا فعلت فاتنا بما اوتي عيسى ان كنت صادقا قال
الله تعالى افكلما جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم
استكبرتم اي تعظيم عن الايمان فريقا كذبتم يعني عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وفريقا تقتلون يعني مثل زكريا ويحيى وساير
من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول الله بما لا يهوون
كذبوه فان تهيا لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا
وطلب الرياسة وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع
اغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه قال ابن
عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعيت
العلم فلا تحتاج الى علمك وقيل اوعيت من الوعي لا تسمع
حديثا الا وعته الا حديثك فانها تعيه ولا تعقله ولو كان
خيرا لفهمته قال الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اي طردهم
وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ثم انهم انكروا ذلك فقليلا ما يؤمنون الا قليلا اي لم
يؤمن منهم الا قليل لان من امن من المشركين كان اكثر منهم
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا سبب نزول هذه الاية
ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة
اي راعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا

قبيحا

قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل
من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق
فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين فيما بينهم قالوا
كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الان فكانوا ياتونه ويقولون
راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها معاذ رضي الله عنه
ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها
من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه
فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا اي كي لا تجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولوا انظرنا اي انظر الينا وقيل
معناه انتظرنا وتان بنا وفهمنا واسمعوا اي ما تؤمرون
به واطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين ان يقولوا لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم
بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم
من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها وان يسئلوه
سؤالهم بتبجيل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود
ما ننسخ من اية او ننسها الاية سبب نزولها ان المشركين
قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه
ويقول اليوم قولا ويرجع فيه غدا ما يقول الا من تلقا

نفسه كما اخبر الله تعالى عنه بقوله واذا بدلنا اية مكان
اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ
من اية فبين بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ وانه من
عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصل النسخ في اللغة
يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان
ينقل من كتاب الى كتاب اخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة
الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب اخر فعلى هذا المعنى يكون
القران كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل
جملة واحدة الى سما الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة
وهو ازالة شي بشي يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب
فعلى المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا وهو
المراد بهذه الاية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

فصل في حكم النسخ

في اصطلاح العلما عبارة عن رفع الحكم الشرعي
بدليل شرعي متاخر عنه والنسخ جايز عقلا وواقع سمعا
خلافا لليهود فان منهم من لم يذكره عقلا لكنه منعه
سمعا وشذت طايفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ
احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه
بان الدلايل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته
لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرعي من قبله فوجب
القطع

القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى
حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم
ومنها انه جاء في التورية ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام
عند خروجه من الفلك اني جعلت كل دابة ماكولا لك
ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه حرم على موسى كثيرا من
الحيوانات ومنها ان ادم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت
وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا
جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه
على وجوه احدها ان القران نسخ الشرايع والكتب القديمة
كالتورية والانجيل وغيرهما الوجه الثاني المراد من النسخ
هو القران ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الوجه
الثالث وهو الصحيح الذي دل عليه جمهور العلما ان المراد
من النسخ هو رفع بعض الايات بدليل اخر ياتي بعده
وهو المراد بقوله ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها
او مثلها لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها ايات القران
لانه هو المعهود مسئلة قال الشافعي الكتاب لا ينسخ
بالسنة المتواترة واستدل بهذه الاية وهو انه تعالى
قال ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها
وذلك انه يفيد انه هو الاتي والماتي به من جنس القران

وما كان من جنس القران فهو قران وقوله نات بخير منها
يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القران
الذي هو كلام الله دون السنة وان السنة لا يكون
خيرا من القران ولا مثله واحتج الجمهور على جواز النسخ
الكتاب بالسنة لان اية الوصية للاقربين منسوخة
بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعي
بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من
صرفه الى الوصية فثبت ان اية الميراث مانعة من الوصية
وتقرير هذا وبسطه معروف في اصول الفقه ثم النسخ
في القران على وجوه احدها ما رفع حكمه فبقي رسمه كما روي
عن ابي امامة بن سهلان قوما من الصحابة قاموا ليلة
ليقروا سورة فلم يذكرون فيها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله
تلك السورة رفعت تلاوتها وحكمها ضعفه البغوي بغير
سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع
بعضها تلاوة وحكما النسخ ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل
اية الرجم روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل
عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه اية الرجم فقرانا ها ووعيناها
وعقلناها

وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا
بعده فاخشى ان طال بالناس زمانا ان يقول قايل ما نجد
الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم
وان الرجم في كتاب الله حق من زنا اذا احصن من الرجال
والنساء اذا قامت البينة او كان الحمل او الاعتراف اخرجه
مسلم وللبخاري نحوه الوجه الثالث ما بقا حكمه وثبت
خطه وتلاوته وهو كثير في القران مثل اية الوصية للاقربين
نسخت باية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره واية عدة
الوفاه بالحول باية اربعة اشهر وعشرا واية القتال وهي قوله
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين الاية نسخت
بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ومثل
هذا كثير في القران واما معنى الاية فقوله ما ننسخ من اية اي
نرفع حكمها او نفسها قري بضم النون وكسر السين ومعناها
نثبتها على قلبك قال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه
نامر بتركها فعلى هذا لا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة
غيره مقامه ولا ناسخا من غير اقامة غيره مقامه وقري
ننسها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناه نوخرها فلا
نتركها او نرفع تلاوتها ونوخر حكمها كاية الرجم فعلى هذا يكون
النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب

Copyright © King Saud University

وقوله ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن نزولاً من نسخت الكتاب
اذا نقلته الى كتاب آخر او ننسها اي نؤخرها في اللوح المحفوظ
مثلها بلا امترا وقالت اليهود ليست النصارى الآية نزلت
في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران
لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود
وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء وكفروا بموسى والتورية فانزل الله تعالى
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب يعني كلا الفريقين
يقرؤن الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل
تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على
الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى
يحقق ما في التورية من نبوة موسى وما فرضه الله فيها على
بني اسرائيل من الفرائض وان التورية التي تدين بصحتها
اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام
ثم كل الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود
الآية مع علم كل من الفريقين بطلان ما قاله ومن اظلم
ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه نزلت في خراب
بيت المقدس

بيت المقدس وذلك ان ملطوس الرومي غزا بني اسرائيل
فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وحرق التورية وخرب
بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر
بن الخطاب فانزل الله تعالى ومن اظلم اي ومن اكفر واعتى
ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر
فيها اسمه اي يعبد ويصلى له فيها وسعى في خرابها وقيل ان
بخت نصر المجوسي من اهل بابل هو الذي غزا بني اسرائيل وخرب
بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى لان اجلاف اليهود
قتلوا يحيى وزكريا اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى
وزياراتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي ونصارى
الا خائفين ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل
فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح
مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية ذلك
لهم خزي يعني الصغار والذل والقتل والسبي ولهم في الآخرة في
الدنيا عذاب عظيم يعني النار وقيل ان الآية نزلت في مشركي
مكة واراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه في ابتداء الاسلام ومنعوهم
من حجه والصلوة فيه عام الحديبية واذا منعوا عن تعميره بذكر الله

تعالى والصلوة فيه فقد سعوا في خرابه اولئك ما كان
لهم ان يدخلوها الا خائفين يعني مشركي مكة يقول الله تعالى
افتحها عليهم ايها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها
منهم ففتحها عليهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي في
الموسم لما نزلت سورة البراءة الا لا يحج البيت بعد هذا
العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع ان لا يمكن
مشرك من دخول الحرم انتهى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا
فثم وجه سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس خرج نفر من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة فاصابهم
الضباب وحضرت الصلوة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب
استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سئلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الاية وعن عامر بن ربيعة عن
ابيه عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة
مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما
اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما
تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته
حيث كان وجهه يومي وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة
الى المدينة

الى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه
الله وقيل نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود
عيرت المؤمنين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون
هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه الاية وقيل
انها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ليصلوا حيث
شاؤا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك
شطر المسجد الحرام ومعنى الاية ان لله المشرق والمغرب وما
بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب انتفاء عن جميع الجهات
لان ذلك له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم
طاعة فيما امر به ونهاهم عنه فامرهم باستقباله فهو القبلة
فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها
قبلة وامر بالتوجه اليها فاينما تولوا فثم وجه الله اي فهنالك
قبلة الله التي وجهكم اليه وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته
والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل ثم رضاء
الله اي يريدون بالتوجه اليه رضاه ان الله واسع من السعة وهو
الغنا اي يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير
وقيل هو واسع المغفرة عليم اي باعمالكم ونياتكم حيث ما صلوا
ودعوا لا يخفى عليه منها شيء مسئلة تتعلق بحكم الاية
وهي ان المسافر اذا كان في مفازة او في بلاد الشرك واشتبهت

Copyright © King Saud University

عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الادلة
ويصلي الى الجهة التي ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه
وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذلك
الغريق في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلي على حسب حاله وتصح
صلوته وكذا المشدود الى الجذع بحيث لا يمكنه الاستقبال
كل له قانتون يعني ان اهل السموات والارض يطيعون
لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة
مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
افضل الصلوة فعلى هذا يكون معنى الاية كل له قانتون
بالشهادة ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون اي
مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلما في حكم
الاية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه
طريقين احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثاني
ان هذه الطاعة تكون في يوم القيمة ومن ذهب
الى تخصيص حكم الاية اجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي
الشمول والاحاطة بدليل قوله واوتينا من كل شيء اذ لم تؤت
ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك انتهى ولا تسأل
قرئ بفتح التا لا النفي قال ابن عباس وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي

فنزلت

فنزلت الاية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به ولا
تسأل عن اصحاب الجحيم وقرئ ولا تسأل بضم التا ورفع اللام
على الخبر وقيل على النفي والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما
ارسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسؤلا عمن كفر عن اصحاب
الجحيم اي عن اهل النار سميت النار جحيما لشدة تأججها وقيل
الجحيم معظم النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم وذلك انهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة
ويطمعون انه ان امهلهم تبعوه فانزل الله هذه الاية
والمعنى انك ان هادنتهم فلا يؤمنون بها وانما يطلبون ذلك
تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا
في امر القبلة وذلك ان اليهود المدينة ونصارى نجران كانوا
يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي الى بيت المقدس
فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أيسوا منه ان يوافقهم على دينهم
فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعني الا باليهودية
ولا النصارى الا بالنصرانية وهذا شيء لا يتصور اذ لا يجتمع
في رجل واحد شيئان في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع
ملتهم يعني دينهم وطريقتهم قل اي يا محمد ان هدى الله
يعني دين الله الذي هو الاسلام هو الهدى اي يصح ان يسمى
هدى الذين اتيناهم الكتاب قال ابن عباس نزلت في اهل

في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا
اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية
من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب
مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة يتلونه
حق تلاوته اي يقرونه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه
ولا يبدلونه ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون
حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده
ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبرونه
حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه واسراره
أولئك يعني الذين يتلونه حق تلاوته يؤمنون به اي
يصدقون به فان قلنا ان الاية في اهل الكتاب فيكون
المعنى ان المؤمن بالتورية الذي يتلوها حق تلاوتها هو
المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان التورية نعته وصفته
وان قلنا انها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر
وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اما ابراهيم اسم اعجمي اب رحيم
وهو ابراهيم بن تارخ وهو ازر وكان مولد ابراهيم بالسوس
من ارض الاهواز وقيل في الكوفة وهي قرية من سواد الكوفة

وقيل

وقيل بحران ولكن اباه نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار
وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوايف قديما وحديثا
فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون
بالنسبة انهم من اولاده واما العرب في الجاهلية فانهم ايضا
يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم لانهم من اولاده
من ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا
وفضلا فحكى الله عن ابراهيم امورا توجب على المشركين واليهود
والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف
بدينه والانقياد لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم عليه السلام
وهو من خصايص دين محمد صلى الله عليه وسلم والايمان وتصديقه
وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب
الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان وتصديقه واصل
الابتلا الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمي
التكليف بلا لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حاله
الانسان فاذا قيل ابتلا فلان بكذا يتضمن امرين
احدهما يعرف حاله والوقوف على ما يجهل من امره الثاني
ظهور جودته ورداءته وابتلا الله العباد ليس ليعلم
احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع
المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل

Copyright © King Saud University

الى الابد ولكن ليعلم العبا داحوالهم من ظهور جودة ورداة
وعلى هذا انزل قوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات التي
ابتلا الله بها ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس هي ثلاثون
سهما من شرايع الاسلام لم يبتلي بها احد فاقامها كلها الا
ابراهيم فكتب له البراءة فقال ابراهيم الذي وفى ومعنى هذا
الكلام انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فاما بعده فقد ابتلى امتا
الانبيا بجميع ما امروا به من الدين خصوصا نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فقد اتى بجميع ما امر به وهي عشرة مذكورة
في سورة براءة قوله التائبون العابدون الاية وعشرة
في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات الاية
وعشرة في سورة المؤمنين في قوله قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون الايات والمذكورة
ايضا في سورة سال سائل وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه
الله بعشرة اشيا هن الفطرة خمس في الراس قص الشارب
والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمس
في الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة
والختان والاستنجاء بالماء ق عن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس
وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص

الشارب

الشارب
وتقليم الاظافر ونتف الابط ، عن عايشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من الفطرة قص
الشارب واعفا اللحية والسواك والاستنشاق بالماء
وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق
العانة وانتقاص الماء قال مصعب ونسيت العاشرة
الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعني
الاستنجاء قال العلما الفطرة السنة وقيل الملة وقيل
الطريقة وهذه الاشياء المذكورة في الحديث وانها من
الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا ولنا ه
واتفقت الامة على انها من الملة واما معانيها فقد قيل
قص الشارب واعفا اللحية لمخالفة الاعاجم فانهم
كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم او يوفرونهما
معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك
والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من
الطعام والقلح والوسخ واما قص الشارب الاظفار ه
فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى
الوسخ فيها واما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور
الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما
حلق العانة ونتف الابط فللتنظيف عما يجمع من الوسخ في الشعر

Copyright © King Saud University

واما فليتنظف ذلك المحل عن الاذى واما الختان ه
فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلما
في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تنكشف
له العورة لا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه
سنة واول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن احد
قبله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد
فمن خفف ذهب الى انه اسم للالة التي يقطع بها ومن شدد
قال انه اسم موضع عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب
يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف الضيف
واول الناس قص الشارب واول الناس راى الشيب قال
رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم
قال رب زدني وقارا اخرجه مالك في الموطا وقيل الكلمات
انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة اشيا بالكوكب
والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة
وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اخبر
ابراهيم بكلمات اوحاها اليه وامره ان يعمل بهن ه
فاتمهن اي اداهن على التادية وقام بوجبهن
حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينقص

منهن

منهن شيا واختلفوا هل كان هذا الابتلا قبل النبوة او بعدها
فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الاية اني جاعلك
للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان بعد
النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الابتلا بالوحي ه
الالهي وذلك بعد النبوة والصواب انه فسر الابتلا بالكوكب
والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من
من شرايع الدين كان بعد النبوة فان امنوا يعني اليهود
والنصارى بمثل ما امنتم به اي بما امنتم ومثل صلة فهو
كقوله ليس كمثله شيء وقيل ان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد
كتوحيدكم فقد اهتدوا والمعنى ان حصلوا دينا اخر يساوي
هذا الدين في الصحة والسداد استحال هذا الاهتدا
بغيره لان هذا الدين بناه على التوحيد والاقرار بكل
الانبيا وما نزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكتابكم
كما امنتم بكتابكم فقد اهتدوا وان تولوا اي اعرضوا ه
فانما هم في شقاق اي خلاف ومنازعة وقيل في عداوة
ومحاربة وقيل في ضلال واصله من الشق كانه صار في شق
غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل
واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويوذيه فسيكفيكهم
الله اي يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان

Copyright © King Saud University

من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
انجز الله وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلا بني النضير
وضربه عليهم الجزية على اليهود والنصارى انتهى سيقول
السفهاء من الناس اي الجهال من الناس والسفه خفة في
النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك
ان ذلك في باب الدين اعظم لان العادل في الامر والواضح
في امر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك في امر دينه كان اولى
بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ
على اليهود والمشركين والمنافقين وقيل نزلت هذه في اليهود
وذلك انهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة
لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك انهم
قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه
التحويل بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في
المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل
ان لفظ السفها للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين
واليهود وقيل ونوع هذا الكلام من كلهما اذ لا فائدة في
التخصيص ولان الاعدا بالطعون والقدح فاذا وجدوا
مقالا قالوا ومجالا جالوا ولا هم يعني اي شي صرفهم عن
قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة هي الجهة
التي يستقبلها

التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي
يقابلها وتقابله ولما قال السفها ذلك رد الله تعالى
عليهم بقوله قل يا محمد لله المشرق والمغرب يعني
له قطر المشرق والمغرب وما فيهما ملكا فلا يستحق شي
ان يكون لذاته قبلة لان الجهات شي واحد وانما تصير
قبلة لان الله تعالى هو الذي جعلها قبلة وهو قوله يهدي
من يشاء يعني من عباده الى صراط مستقيم يعني الى جهة
الكعبة وقيل قبلة ابراهيم عليه السلام وكذلك جعلناكم
الكاف في قوله كذلك للتشبيه جاء المشبه به وفيه
وجوه احدها انه معطوفة على ما تقدم من قوله ولقد
اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا الثاني
معطوف على قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه
كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك
جعلناكم امة وسطا يعني عدلا وخيارا وخير الامور قال الزهير
هم وسط يرضى الانام بحكمهم   اذا نزلت احدى الليالي بمعظم
وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير
لانهم مذمومان في امر الدين لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير
اليهود في الدين وتحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الاية

ان رؤسا اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا
حسدا وان قبلتنا قبلة الانبيا ولقد علم محمد انا اعدل الناس
فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله هذه الاية وروى
ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وان هذه الامة
توفي سبعين امة هي اخرها وخيرها واكرمها على الله
ولا عليكم شهيدا يعني عدلا مزكيا وذلك ان الله تعالى يجمع
الاولين والاخرين في صعيد ثم يقول لكفار الامم الم ياتكم
نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسال الانبياء
عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغنا فيسئلهم البينة وهو
اعلم بهم اقامة الحجة فيقولون امة محمد تشهد
لنا فياتي بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد
بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما جاوا بعدنا
فيسل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا
كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم
ياتي محمد صلى الله عليه وسلم فيسئله عن حال امته فيزكيهم ويصدقهم
خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجا بنوح وامته يوم القيمة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب
فيسئل امته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح
من يشهد لك

من يشهد لك فيقول محمد وامته فيجا بكم فتشهدون
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا زاد الترمذي وسطا قال عدلا وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها اي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت
عليها وهو بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفا بدلالة
اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي الان وهي الكعبة
الا لنعلم من يتبع الرسول فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم
وهو عالم بالاشيا كلها قبل كونها قلت اراد به العلم الذي
يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به
في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق
العالم عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الروية
لنرى ونميز من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه
الا لنعلم رسلي وحزبي واوليائي من المومنين من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وكان من شان العرب اضافة ما فعله
الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما
فعل ذلك اتباعه عن امره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك
عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم

Copyright © King Saud University

اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا
بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا كانه تعالى سبق
في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة اخرين
ومعنى من يتبع الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها
ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر
فيرتد وفي الحديث لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم
الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين ابايه وان كانت
اي وقد كانت لكبيرة يعني توليه القبلة ثقيلة شاقة وقيل
هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي
القبلة التي وجه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانث
الكبيرة لتانيث القبلة وقيل لتانيث التولية وما كان
الله ليضيع ايمانكم يعني صلوتكم الى بيت المقدس وذلك
ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين
اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كان على هدى فقد
تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد جيتم بها مدة ومن
مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما
امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على
من مات منكم على قبلتنا وقد مات قبل ان تحول القبلة
الى الكعبة

الى الكعبة اسعد بن زراره من بني النجار والبرا بن معرور
من بني سلمة وكانا من النقبا ورجال الفروض فانطلق
عشايرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك
الله الى ملة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا
وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان
الله ليضيع ايمانكم يعني صلوتكم الى بيت المقدس ان الله بالناس
لرؤف رحيم يعني يضيع اجورهم والرافة اخص من الرحمة
وارق وقيل الرافة اشد من الرحمة وقيل الرافة والرحمة
وقيل في الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة في رحمة
خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها
اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع
الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى انه لا
يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل قد نرى
تقلب وجهك في السماء سبب نزول هذه الاية ان النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة
فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس يتالف
بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب
الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون
من نعته وصفته في التورية فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة

سنة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه
الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك
من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع
قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت
لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال جبريل
للنبي صلى الله عليه وسلم انما انا عبد مثلك وانت كريم على
ربك فسل انت ربك عند الله بمكان ثم عرج جبريل
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء
رجا ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عز
وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك
وتصرف نظرك الى السماء الى جهة السماء وهذه وان كان
متاخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها راس القصة
واول ما نسخ من احكام الشرع من امر القبلة فلنولينك
اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة اي ولنصرفنك عن بيت
المقدس الى قبلة ترضيها اي تحبها وتميل اليها فول وجهك
شطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاه واراد به الكعبة
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فان قلت هل في
هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة عظيمة جليلة

وهي

وهي ان هذه الواقعة اول الوقايع التي ظهر
النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل
التاكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن
التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة لئلا يكون للناس
عليكم حجة قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو
على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالوا
رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة
ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود
لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا
انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثنا في قوله الا
الذين ظلموا متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا
مشركوا قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم
وانما سمي الاحتجاج حجة لان اشتقاقها من حجه اذا
غلبه فكما يكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة
قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا
الاستثنا منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين
ظلموا منهم يجادلونك بالباطل قال النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۝ بهن فلول من قراع الكتائب

Copyright © King Saud University

اي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى
الاية لان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا
في التورية ان محمد سيحول اليها فتكون حجتهم ان النبي الذي
نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول
الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا منهم اي الا ان
يظلموا فيكتمون ما عرفوا من الحق فلا تخشوهم اي فلا تخافوهم
في انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة
اني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصر واخشوني
اي احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم به
وفرضته عليكم كما ارسلنا فيكم كان التشبيه محتاج الى شي
ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتي
عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم
وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعد لاجابة الدعوة الثانية
بان يجعل في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته
ببعثة الرسول كذلك اجبت دعوته بان هديكم لدينه
وجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة
الحنفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله
فاذكروني

فيهم بيان

فاذكروني اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
فاذكروني ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية
مجرى النعمة بارسال الرسول ولما قلنا انها متعلقة بما
قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة على النعمة
بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم
وفي ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة لما فيه من الشرف لكم ولان
العرب من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير
وكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى القبول قوله ولا
والانقياد له الذي كانوا فيه بقوارهم يذكرون الله تعالى
ويقال نفود الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى واشكروني
بالطاعة ولا تكفرون اي بالمعصية لمن اطاع الله فقد شكره
ومن عصاه فقد كفر فاذكروني قيل الذكر يكون باللسان
وهو يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون
بالقلب وهو ان يتفكر في عظمة الله وفي الدلائل على وحدانيته
ويكون بالجوارح وهو ان يكون مستغرقة في الاعمال التي امروا
بها مثل الصلوات وسائر الطاعات التي للجوارح فيها اذكركم
اي بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم
بمعونتي وقيل اذكروني في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلاء

Copyright © King Saud University

وقال اهل المعاني اذكروا بالتوحيد والايمان اذكركم
بالجنان والرضوان وقيل اذكروني بالاخلاص اذكركم
بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب
اذكروني بالدعا اذكركم بالعطا ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عزوجل انا عند
ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملاء خير منهم وان
تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا
تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة قوله عزوجل
انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول
والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد
منه تحقيق الرجا وتاميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه
حين يذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة
وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها
معان منها ذات الشي والله تعالى له ذات حقيقة ومنها
الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرني خايفا ذكرته بالاثابة
والمجازاة مما لا يطلع على احد قوله فان ذكرني في ملاء ذكرته
في ملاء خير منهم الملا اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى
اقوالهم وهذا مما استدل به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل
الملائكة

الملائكة عن الانبياء واجيب عنه بان الذكر غالبا يكون في ا
جماعة قوله وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
الخ وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا
بد من التاويل فعلى هذا يكون ذلك الشبر والذراع والباع والمشي
والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى
القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله
من العبد قرب نعمته والطافه وبره وكرمه واحسانه
وفيض مواهبه ورحمته عليه ثم العبد كلما زاد بالطاعة
والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتاني يمشي في طاعتي اتيته
هرولة اي صببت عليه الرحمة صبا وسبغته بها ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عزوجل انا مع ظن عبدي فان ذكرني وتحركت بي شفتاه ق
عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت م عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون
الذين ذهب القرن الاول ولنبلونكم اي ولنختبرنكم يا امة
محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلا
لاظهار الطايع من العاصي لا ليعلم شيا مما لم يكن عالما
به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها

Copyright © King Saud University

وحد ونها بشي انما قال بشي ولم يقل باشيا لئلا يوهم ان
الاشيا تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال
بشي كان التقدير بشي من الخوف وشي من الجوع وقيل معناه
بشي قليل من هذه الاشيا من الخوف قال ابن عباس يعني خوف
العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب والجوع
يعني القحط وتعذر حصول القوت ونقص من الاموال
يعني بالهلاك والخسران والانفس اي وتقص من الانفس
بالموت او القتل والثمرات يعني الجوايح في الثمار وقيل
قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار
وحكي عن الشافعي في تفسير هذه الاية قال الخوف خوف
الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال
يعني اخراج الزكوة والصدقات والانفس يعني بالامراض
والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن
ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مات ولد العبد قال الله لملائكته اقبضتم ولد عبدي
قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فواده قالوا نعم قال فما
قال قالوا احمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن فان قلت فما الحكمة في تقديم تعريف هذا
الابتلا

الابتلا في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد
اذا علم انه مبتلى بشي وطن نفسه على الصبر فاذا انزل به
ذلك البلا لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المومنين
مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلا صابرين له
علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم الى متابعته والدخول
فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلا قبل وقوعه
فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن الغيب فيكون معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين اذا اظهروا الايمان
طمعا في المال وسعة الرزق من الغنايم فلما اخبر الله انه
مبتلي عباده فعند ذلك تميز المومن من المنافق والصادق
من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلا اشد اخلاصا
في حال الرخا فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله
تعالى لينجيه بما عسى ان ينزع به من البلا قال تعالى وبشر
الصابرين يعني عند نزول البلا والمعنى وبشر يا محمد الصابرين
على امتحاني بما امتحنتهم به من الشداد والمكاره ثم
وصفهم بقوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة اي
نايبة وابتلا قالوا انا لله يعني عبيدا وملكا وانا اليه راجعون
يعني في الاخرة عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله

Copyright © King Saud University

في مصيبته واخلف لي خيرا منها قيل ما اعطي لهذه
الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيها احد
اولئك يعني من هذه صفتهم عليهم صلوات من
ربهم قال ابن عباس اي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم
وانما جمع الصلوات لانه عني مغفرة بعد مغفرة ورحمة
بعد رحمة ورحمة قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله
انعامه وافضاله واحسانه من الادميين رقة وتعطف
وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوة لان الصلوة من الله
الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب
كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررها للتاكيد
اي عليهم رحمة بعد رحمة واولئك هم المهتدون
يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب
وقيل المهتدون الى الحق والصواب قال عمر بن الخطاب
نعم العدلان ونعمة لعلاوة والعدلان الصلوة
والرحمة والعلاوة الهداية فصل في ذكر احاديث
وردت في ثواب اهل البلاء واجر الصابرين عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصائب

حتى ياجر

حتى ياجر على ذلك وعن ابي سعيد وابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا
وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا
كفر الله عنه خطاياه النصب التعب والاعيا والوصب المرض
وعن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يصيبه اذى في مرض فما سواه الا حط الله
عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل
الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلا
ومثل المنافق مثل شجرة الارز لا تهتز حتى تحصد
الارزة شجرة معروفة بالشام وتعرف في العراق
الصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة
في الارض عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة
وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم
الجزاء مع عظم البلا وان الله اذا احب عبدا ابتلاه فمن رضي
فله الرضى ومن سخط فله السخط اخرجه الترمذي وله
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل
العافية يوم القيمة يعطى اهل البلا الثواب لو ان جلودهم

Copyright © King Saud University

كانت قرضت بالمقاريض وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يزال البلا بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده
حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزا اذا قبضت صفيه
من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن ابي وقاص
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلا قال الانبيا ثم الامثل
الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان
دينه صلبا اشتد بلاوه وان كان في دينه رقة هون عليه
فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن فمن اضطر يعني الى
اكل الميتة غير باغ اصل البغي الفساد ولا عاد اصله من
العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد فلا اثم عليه اي
فاكلمه فلا اثم عليه اي فلا حرج في اكلها ان الله غفور
اي لما اكله في حال الضرورة رحيم يعني حيث رخص لعبادة
في ذلك فصل في حكم هذه الاية وفيه مسائل
الاولى في حكم الميتة اجمعت الامة على تحريم اكل
الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك
والجراد اما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو

الطهور

هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخاري
ومسلم قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح واما
الجراد فلما روى عن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبع غزوات او ستا ناكل الجراد ونحن
معه اخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت
الطافي على الماء فقال مالك والشافعي لا باس به وقال ابو
حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حي انه مكروه وروي
عن علي بن ابي طالب انه قال ما طفى من صيد البحر فلا تاكله
وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروي عن ابي
بكر الصديق وابي ايوب اباحته واختلف في الجراد فقال
الشافعي وابو حنيفة لا باس باكل الجراد كله ما اخذته
وما وجدته ميتا وروي عن مالك ان ما وجدته ميتا فلا
يحل وما اخذ حيا يذكى ذكاة مثله بان يقطع راسه
ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل المسئلة الثانية
في حكم الدم اتفق العلماء على ان الدم حرام نجس لا يوكل ولا
ينتفع به قال الشافعي تحريم جميع الدما سوا كان مسفوحا
او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام اذا ابيض
ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى
الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبد الله

Copyright © King Saud University

ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان
ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال
وفي لفظ احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالجراد
والحوت واما الدمان فالطحال والكبد اخرجه ابن ماجة
واحمد وعلي بن المديني وعبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه
عبد الله بن زيد قوي وقال يروي عن ابن عمر ما لا يصح سنده
وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا
الصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد
والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال
لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال
الشافعي هما دمان ويشهد لهما الحديث فهو تخصيص
من العموم المسئلة الثالثة في الخنزير اجتمعت
الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر الله
تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا
في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال
مالك رحمه الله طاهر وكذا كل حيوان عنده لان الطهارة
هي الحيوة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير انه
كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق
بينهما ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تألفه

بخلاف

بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبدي
لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره المسئلة
الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من
زعم ان المراد بذلك ذبح عبدة الاوثان الذين كانوا
يذبحونها لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى لغيره
اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب عطا ومكحول
والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك
والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم
اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله
فوجب ان يحرم وروي عن علي بن ابي طالب انه قال اذا
سمعتم اليهود والنصارى يهلون بغير الله فلا تاكلوا
واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد احل ذبايحهم
وهو يعلم ما يقولون المسئلة الخامسة في حكم
المضطر المضطر هو المكلف بالشي الملجى اليه المكره عليه
والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف
حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل منها حتى
مات دخل النار والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه
او بجوع في مخمصة او بفقر لا يجد شيئا البتة فان

Copyright © King Saud University

فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثنا
في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح
ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا يخلوا ان
تكون دائمة فلا اختلاف في جواز الشبع منها وان
كانت نادرة فاختلف العلما فيه وللشافعي قولان
احدهما ياكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة والثاني
ياكل قدر الشبع وبه قال مالك المسئلة السادسة
في قوله غير باغ ولا عاد قال ابن عباس يعني غير باغ
غير خارج على السلطان ولا عاد اي معتد يعني
العاصي بسفره ان ياكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا
يترخص برخصة المسافرين حتى يتوب وبه قال
الشافعي لان اباحة الميتة له اعانة على فساده
وذهب قوم الى ان البغي والعدوان يرجعان الى الاكل
وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان
كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ اي غير طالب
الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اي معتد ما احل له
وقيل غير مستحل له ولا يتزود منها قوله عز وجل
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب نزلت في
رؤسا

في روسا اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون
من سفلتهم الهدايا والمأكل وكانوا يرجون ان
النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
من غيرهم خافوا على ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم
فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموه
فانزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
اي في الكتاب صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام
فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لان
التورية والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث
تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التاويل لانه قد كان
منهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها
عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فهذا هو المراد بالكتمان فيتغير المعنى ان الذين يكتمون معاني
ما انزل الله من الكتاب ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا كتب عليكم
القصاص في القتلى نزلت في حيين من احياء العرب فكان
بينهم قتل وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من
بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت في الاوس والخزرج

Copyright © King Saud University

وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا
ينكحون نساهم بغير مهر واقسموا ليقتلن بالعبد منا
بالحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل الرجلين
منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك فرفعوا
امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انما نزلت هذه الاية
لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية
كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة
وكانوا يتعدون في الحكمين فان وقع القتل على شريفه
قتلوا به عددا ويأخذون دية الشريف اضعافا فدية
الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية العدل
وسوى بين عباده في حكم القصاص في القتلى فان قلت كيف
يكون القصاص فرضا والولي مخير فيه بين العفو والقصاص
واخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولي وقيل
اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة
والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه
فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثل ذلك فلو قتل
رجل رجلا بعصا او خنقه او شدخ راسه بحجر فانه
فيقتل

٤١

فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي
واحد الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي
حنيفة والرواية عن احمد الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى ومعناه انه اذا تكافا الدمان من احرار المسلمين
او الاحرار من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل
صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر
ولا يقتل مومن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولده ويقتل
الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك
والشافعي واحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن
ابي جحيفة قال سالت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم
شي سوى القران قال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة الا
ان يوتي الله عبدا فهما في القران وما في هذه الصحيفة قلت
وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مومن
بكافر وقد اخرج مسلم عن نحو هذا من غير رواية جحيفة
العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اولياء القاتل
الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه
الترمذي وذهب اصحاب الراي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر
بالعبد وهذه الاية مع الاحاديث حجة مذهب الشافعي

Copyright © King Saud University

ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس
بالنفس وان ذلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرائيل
في التورية وهذه الاية خطاب للمسلمين وذهب اصحاب
الراي ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة
بالواحد نبوله عليه رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر
ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه اهل صنعا لقتلتهم
قاله البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن ابيه ان اربعة
قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطا عن ابن
المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة برجل واحد قتلوه
غيلة ثم قال لو تمالا عليه اهل صنعا لقتلتهم جميعا الغيلة
ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به وقوله
لو تمالا اي تعاونوا واجتمعوا عليه كتب اي فرض عليكم الصيام
والصوم في اللغة الامساك ويقال صام النهار اذا اعتدل
وقام قايم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما
اي صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع عبارة
عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص
وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية كما كتب على الذين
من قبلكم يعني الانبيا والامم من لدن ادم الى عهدكم والمعنى
والمعنى ان الصوم عبادة قديمة شاقة والشي الشاق اذا عم

سهل عمله

سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى
كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع الحر الشديد
والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم
في معاشهم فاجتمع راي علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه في
فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتا فجعلوه في فصل
الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا وصاموا اربعين
يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه ان برئ من
وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فيه اسبوعا
ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك اخر فقال
ما شان هذه الثلاثة ايام اتموها خمسين يوما فاتموه وقيل
اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبله
وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان
فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد
يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهي عن صوم يوم الشك لعلكم
تتقون يعني ما حرم عليكم في صيامكم لان الصوم موصلة الى
التقوى لما فيه من كسر النفس ووقاء الشهوات من الاكل والشرب
والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعل اتقياه
من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان
الصوم من شعائرهم اياما معدودات اي مقدرات وقيل

Copyright © King Saud University

فليلات قيل انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام
من كل شهر كان واجب وصوم عاشورا ثم نسخ ذلك بفريضة
صوم رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة
ثم الصوم ق عن عايشة قالت كان يوم عاشورا تصومه
قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه
في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ٥
صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا
فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قبله اياما
معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال
اولا كتب عليكم الصيام وهنا يحتمل صوم يوم او يومين ثم
بينه بقوله معدودات على انه اكثر من ذلك لكنها غير
منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان
فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على
غير رمضان فتكون منسوخة بان فريضة رمضان
نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك بعد غزوة
بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر لاثنى عشر ليلة خلت من
ربيع الاول على راس ثمانية اشهر من الهجرة وقيل في فضل
شهر رمضان وفضل صيامه ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صفدت الشياطين

وفتحت

وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار والصفد ٥
الغل اي شدوا بالاغلال ق عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم
من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اي طلبا لوجه الله
تعالى وثوابه وقيل ايمانا فانه فرض عليه واحتسابا
ثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو ان ٥
يصوم على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه
غير كارهة ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل عمل ابن ادم مضاعف الحسنة عشر امثالها الى
سبعمائة ضعف يقول الله الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع
شهوته وطعامه من اجلي للصايم فرحتان فرحة عند فطره
وفرحة عند لقائه ولخلوف فم الصايم عند الله اطيب من ريح
المسك زاد في رواية النسائي جنة فاذا كان يوم صوم
احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شاتمه احد
او قاتله فليقل اني صايم قوله كل عمل ابن ادم له معناه
ان له فيه حظ لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع
عليه احد وانما خص الصوم بقوله تعالى وان كان جميع الاعمال
الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا يظهر من ابن ادم

Copyright © King Saud University

بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وهو من اعمال القلوب
بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى لقوله الله تعالى
لا جزاء على ما احب لا حساب ولا كتاب له وقوله للصائم
فرحتان فرحة عند فطره اي بالصيام لما بلغ به الجوع
لتاخذ النفس بحاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من
اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند
لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه ولخلوف بضم الخاء وفتحها
لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتاخير الطعام ومعنى
قوله اطيب عند الله من ريح المسك هو الثنا على الصائم والرضى
بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم والجالب للخلوف
والمعنى ان خلوف فم الصائم ابلغ عند الله في القبول من
ريح المسك عندكم قوله الصيام جنة اي حصن من المعاصي
لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث
كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو
التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح
ق عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل فيه الصائمون يوم القيامة
يقال اين الصائمون عن ابي امامة قال اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله امرني بامر ينفعني الله

به

ينفعني الله به قال عليك بالصوم فلا مثل له انتهى واذا
سالك عبادي عني فاني قريب قال ابن عباس قال يهود
المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان
بين السماء خمسماية عام وان غلظ كل سما مثل ذلك
فنزلت هذه الاية وقيل سئل بعض الصحابة النبي صلى الله
عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم
سالوه في اي ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا
اين ربنا فنزلت هذه الاية وهذا السوال لا يخلو اما ان
يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله اما السوال
عن ذات الله فهو سوال عن القرب والبعد بحسب الذات
واما السوال عن صفاته تعالى فهو ان يكون السائل يسال
هل يسمع ربنا دعانا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سالك
عبادي عني فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فاني قريب
فمعناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى عليه شي وفيه اشارة
الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من ساله
ق عن ابي موسى الاشعري قال كنا غزاة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيبرا وقال توجه الى خيبر اشرف الناس على واد
فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال

Copyright King Saud University

رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا
على انفسكم فانكم لا تدعون اصم غايبا انكم تدعون سميعا
قريبا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم ارفقوا بها وقيل
معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب سميع دعاكم اجيب دعوة
الداعي اذا دعان اي اسمع دعا عبدي اذا دعاني وقيل
الدعا عبارة عن التوحيد والثنا على الله تعالى كقول العبد
يا الله لا اله الا انت فقوله يا الله فيه دعا وقوله لا اله الا
انت فيه توحيد وثنا على الله تعالى فسمى هذا بهذا الاعنا
وقوله اجابة لتجانس اللفظة وفيه اشارة الى ان العبد يعلم
ان له ربا يسمع دعاه ولا يخيب رجا من رجاه وظاهر ان
العبد اذا دعا ربه باخلاص اجاب الله دعوته فان قلت
انا نرى الداعي يبالغ في الدعا والتضرع فلا يجاب فما وجه قوله
اجيب دعوة الداعي وقوله ادعوني استجب لكم قلت ذكر العلماء
اجوبة احدها ان هذه الاية مطلقة وقد وردت اخرى
مقيدة اذ هو قوله اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه والمطلق
يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعا هو الطاعة ومعنى
الاجابة هو ... وذلك في الاخرة وثالثها ان معنى الاخاص
وان كان لفظهما عاما فيكون المعنى اجيب دعوة الداعي اذا
وافق القضا واجيبه ان كانت الاجابة خيرا له واجيبه اذا

لم يسئل

اذا لم يسئل اثما او محالا ورابعها ان معناها عام اي
وهو معنى الاية المذكورة في الاجابة واما اعطا الامنية
فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد
يجيب السيد عبده ولا يرد سوله وخامسها ان للدعوة
ادابا وشرايط وهي اسباب الاجابة لمن استعملها واتى
بها كان من اهل ... ومن اخطاها كان من اهل الاعتدا في
الدعا فلا يستحق الاجابة والله اعلم فليستجيبوا لي يعني
اذا دعا الى الايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني
لحوايجهم والاجابة في اللغة الطاعة فاجابة الطاعة
من الله الاثابة وليومنوا بي لعلهم يرشدون اي لكي
يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم فصل
في الدعا واذابه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من
يسئلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له هذا الحديث
من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران
للعلما احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين
انه يجب الايمان به وبانه حق على ما يليق به وتكل علمه الى
الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد

Copyright © King Saud University

ولا نتكلم في تاويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات
المخلوق وعن الانتقال والحركات والمذهب الثاني مذهب
اكثر المتكلمين وجملة من السلف انها تأول على ما يليق به
فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته
وامره وملائكته وقيل انه استعارة ومعناه الاقبال على
الداعين بالاجابة واللطف وفي الحديث الحث على الدعا
والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع اليه يديه ان
يردهما خائبتين اخرجه ابو داود والترمذي وقال
حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال صفر ليس فيه متاع
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما على الارض مسلم يدعو الله به مرة الا اتاه الله
اياها او صرف مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم
فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله اكثر اخرجه
الترمذي قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله
وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء
من قلب غافل لاه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعا
مخ العبادة

مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من فتح له باب الدعا فتحت له ابواب الرحمة وما
يسئل الله شيئا احب اليه من ان يسئل العافية وان
الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضا الا الدعاء
ولا يزيد في العمر الا البر وله عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من لم يسئل الله يغضب عليه ق وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم
يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال
يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم
يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد
دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا
من حسر الطرف اذا كل وضعف ق وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل
اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن
ليعزم على المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخاري
ارزقني ان شئت ليعزم مسئلته اي [illegible] فانه يفعل
ما يشاء لا مكره له ليعزم المسئلة اي لا يكن في دعائك
لربك مترددا قبل اعزم وجد في المسئلة عن فضالة بن

Copyright © King Saud University

عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال
له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا عليه ثم
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدعوا ما شاء اخرجه
الترمذي وقال حديث صحيح احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نساكم سبب نزول هذه الاية انه كان في
ابتداء الامر بالصوم اذا افطر الرجل بالطعام والشراب والجماع
الى ان يصلي العشا الاخرة او يرقد قبلها فاذا صلى ورقد حرم عليه ذلك
كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع اهله بعد ما صلى
العشا فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه ثم اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه
الخطيئة اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا فوجدت
زوجتي طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال يعتذرون
بمثل ذلك فنزلت في عمر واصحابه احل لكم اي ابيح لكم
ليلة اراد بالليلة ليالي الصيام الرفث الى نسايكم الرفث
كلام يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودعته هو ههنا كناية
عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكر
من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع هن

لباس لكم

هن لباس لكم اي سكن وانتم لباس لهن سكن لهن قيل لا يسكن
شي الى شي كسكون احد الزوجين الى الاخر عند النوم وقيل
اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما
لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه علم
الله انكم كنتم تختانون انفسكم قال ابن عباس يريد فيما
ايتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون ليالي الصوم
والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشا وهو من الخيانة واصل
الخيانة ان يؤتمن الرجل على شي فلا يؤدي فيه الامانة
ويقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه فتاب عليكم اي فتاب عليكم
وتجاوز عنكم فاستعجل وعفا عنكم اي محا ذنوبكم
خ عن البرا قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء في رمضان
كله فكان رجال يخونون انفسكم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم وعفى عنكم قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله
به الناس ورخص لهم ويسر فالان باشروهن اي جامعوهن
فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق
بشرة كل واحد بصاحبه وابتغوا ما كتب الله لكم اي قضى في اللوح
المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة
الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل المبلوس ليلة

ليلة القدر وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري
ويقال قيس بن صرمة وذلك ظل يعمل في ارض له وهو صائم
فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت
المراة ان تطعمه شيئا سخنا فاخذت المراة تعمل له ذلك فلما
اخذت فاذا هو قد نام وقد عيي من التعب فايقظته فكره ان يعصي
الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف
النهار حتى غشي عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه
قال يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا فقال له حاله فاغتم لذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقوله طليحا اي
مهزولا مجهودا ع عن البرا قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل
ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان
صائما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت
لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه
فجاءته امراته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نساكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت
كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
بياض النهار

بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطا لان كل واحد منهما يبدو
في الافق كالخيط قال الشاعر

فلما اضاءت لنا سدفه ۞ ولاح من الصبح خيط انارا

السدف اختلاط الظلام واسدف الفجر اضاء ق عن سهل بن
سعد قال لما نزلت كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا
الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا
يزال ياكل حتى يتبين له رويتهما فانزل الله عز وجل من الفجر
فعلموا انه يعني الليل والنهار ق وعن عدي بن حاتم لما نزلت
حتى يتبين لكم الخيط الابيض الاية عمدت الى عقال اسود
وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في الليل
فلا يستبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار

ومن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا يعني ان المشركين
كانوا يسالون الله في الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم
اعطنا غنما وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول اللهم
ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثله
ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل

Copyright © King Saud University

ونصيب خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد
الدنيا وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان
لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله
تعس عبد الدنيا وهذا دعا عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه
من العثار والخميصة ثوب من خز وصوف معلم قوله وانتكس
هذا دعا عليه ايضا لان من انتكس على راسه او في امره فقد خاب
وخسر قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله يقال شاكته
الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم
وانما كان سوال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة
ونعيم الاخرة لانهم ينكرون البعث وماله في الاخرة من
خلاق اي وماله في الاخرة من حظ ولا نصيب ومنهم من يقول
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب
النار يعني المومنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين
فريق اقتصر على الدنيا على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا
لا يعتقدون البعث والاخرة والفريق الثاني وهم المومنين
الذين اجمعوا في الدنيا على طلب الدنيا والاخرة وذلك لان
الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بالام الدنيا ومتاعبها
فالاولى له ان يستعيذ بالله من شرها والامها لانه لو اضطرب
على الانسان عرق من عروقه لتنغص عليه حياته في الدنيا

وتعطل

وتعطل عليه الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب
الدنيا في الدعا من امر الدين فلذلك قال الله تعالى اخبارا عن المومنين
ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق
الى الخير والنصر على الاعدا والولد الصالح والزوجة الصالحة م عن
عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع
وخير متاعها المراة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة
والاخرة بالجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح
وفي الاخرة المغفرة والثواب وقيل من اتاه الله بالاسلام والقران و
واهلا ومالا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة يعني
في الدنيا عافية وفي الاخرة عافية م عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشي او تسأله
اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبني به في الاخرة فعجله لي
في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه
ولا تستطيعه ولكن اذا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه ق خ م عن
انس بن مالك قال كان اكثر دعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اتنا
في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار خ عن عبد الله

Copyright © King Saud University

من السايب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين
الركنين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب
النار **اولئك** اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه
هذا القول ان الله تعالى ذكر حكم الفريق بكماله فقال وما له
في الاخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا اي لكل
فريق من هؤلاء **لهم نصيب** اي حظ بما كسبوا يعني من الخير
والدعا بالثواب والجزا على الدعا بالدنيا من جنس ما كسب ودعا
والله سريع الحساب ذكروا في معنى الحساب ان الله تعالى
يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم
الذي في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها
وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل
ان المحاسبة عبارة عنه وقيل ان الله تعالى يكلم عباده
يوم القيمة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب
وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى
لا يحتاج الى عقد يد وروية فكر ووصف نفسه تعالى بسرعة
الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك
على كمال قدرته تعالى لا يشغله شان عن شان ولا يحتاج
الى آلة ولا امارة ولا مساعد لاجرم كان قادرا على ان يحاسب
جميع الخلائق في اقل من لمحة البصر وروي انه تعالى يحاسب
الخلائق

الخلائق في قدر حلب شاة او ناقة وقيل في معنى كونه تعالى
سريع الحساب اي سريع القبول لدعا عباده والاجابة
لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون في الوقت الواحد كل
واحد منهم لاشياء مختلفة من امور الدنيا والاخرة فيعطي
كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه شي من ذلك لانه
تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل في معنى الاية
ان اتيان القيمة قريب لان كل ما هو كائن وآت قريب
لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة والذكر وساير الطاعات
وطلب الاخرة واذكروا الله يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير
في ادبار الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك ان يكبر مع
كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في الصحيح ان النبي
صلى الله عليه وسلم يكبر مع كل حصاة في ايام معدودات
يعني ايام التشريق وهي منى ورمي الجمار سميت معدودات
وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادي عشر من ذي
الحجة وهو قول قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطا ومجاهد
وقتادة وهو مذهب الشافعي وقيل ان الايام المعدودات يوم
النحر ويومان بعده وهو قول علي ابن طالب ويروى عن ابن عمر ايضا
وهو مذهب ابي حنيفة عن ابن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن

Copyright © King Saud University

الذكر في هذه الايام التكبير خ عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك
الايام وخلف الصلوات وفي فراشه وفي فسطاسه وفي مجلسه
وفي ممشاه وفي تلك الايام جميعًا وفي رواية انه كان
يكبر في قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل
الاسواق حتى يرتج منى اخرجه البخاري بغير سند اجمع
العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو
ان يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع ايام التشريق فاجمعوا
ايضا ان التكبير في عيد الاضحى وفي هذه الايام في ادبار الصلوات
سنة قوله في وقت التكبير فقيل يبتدي به من صلوة الظهر
يوم النحر الى صلوة الصبح من اخر ايام التشريق فيكون على هذا
القول خمسة عشر صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه
قال الشافعي في اصح اقواله قال الامام الشافعي لان الناس
فيه تبع للحاج وذكر الحجاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون
في التكبير يوم النحر من صلوة الظهر وقيل انه يبتدي به من صلوة
المغرب ليلة النحر ويختم بصلوة الصبح من اخر ايام التشريق وهذا
القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر
صلوة والقول الثالث للشافعي انه يبتدي بالتكبير من صلوة
الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلوة العصر من اخر ايام
التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاثة وعشرين صلوة
وهو قول

وهو قول علي ابن طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال
ابن مسعود يبتدي به من صبح يوم عرفة ويختم بصلوة العصر
من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه
قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل ان كان حلالا كبر عقيب ثلاث
ثلاث وعشرين صلوة اولها الصبح من يوم عرفة واخرها
صلوة العصر من اخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبعة
عشر صلوة اولها الظهر من يوم النحر واخرها العصر من اخر ايام
التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر
الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة
قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروي عن ابن مسعود
انه كبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة نزلت في غزوة الاحزاب وهي
غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم من الجهد والشدة
والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت
في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
المدينة في اول الهجرة اشتد عليهم الضرر لانهم خرجوا بلا مال
وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين واثروا رضا الله ورسوله
واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر
قوم النفاق فانزل الله تعالى هذه الاية تطييبا لقلوبهم

ومعنى الاية احسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى
اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان
ولم يصبكم مثل ما اصاب من كان من اتباع الانبياء والرسل
من الشدائد والمحن والابتلا والاختبار ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم اي شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم
من المؤمنين مستهم الباساء اي اصابهم الفقر والشدة والمسكنة
وهو اسم من البوس والضراء يعني المرض والزمانة وضروب
الخوف وزلزلوا اي حركوا بانواع البلايا والرزايا واصل
الزلزلة الحركة وذلك لان الخايف لا يستقر بل لا يزال
يضطرب ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول والذين امنوا معه
متى نصر الله وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر واضبط
للنفس عند نزول البلا وكذلك اتباعهم من المؤمنين والمعنى انه
بلغ بهم الجهد والشدة والبلا ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية
القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة الى هذه الغاية
واستبطوا النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجاب لهم الى طلبهم
والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم البلا والشدة عن ما كانوا عليه
الى ان ياتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى
والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب خ عن خباب
بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

متوسد

متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا
فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل
فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين و
ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده
ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من
صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم
تستعجلون يسئلونك ماذا ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح
وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى
من نتصدق فانزل الله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قوله
كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم
الاية فقال عطا الجهاد تطوع والمراد من الاية اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب النواوي وحكي عن
الاوزاعي نحوه وحجة هذا القول انه كتب يقتضي الايجاب ويكفي
العمل لو مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب
بالموجود في ذلك الوقت وقيل ان الاية على ظاهرها
والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم
مع كل امام برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة عن ابن

Copyright © King Saud University

عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا
هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم
فانفروا وعلى ان الجهاد فرض على الكفاية اذا اقام به البعض
سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار والذي عليه
جمهور العلما قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا
او لم يجاهدوا فمن غزا فيها ونعمة ومن قعد فهو عدة ان
استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغني عنه
قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد
تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف العلما في الناسخ
والمنسوخ في هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة
ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة لان
فيها ذكر الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان
المومنون لينفروا كافة القول الثالث انها محكمة من وجه
ومنسوخة من وجه فالناسخ منه ايجاب الجهاد مع المشركين
بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على [illegible]
الشهر الحرام قال في سبب نزول هذه الاية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في
سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين وامره على

السرية

على السرية وكتب له كتابا وقال له سر على اسم الله ولا تنظر
في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب
فاقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا
منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب
فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله
بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير
قريش لعلك تاتينا بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه
ذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا منكم من كان يريد
الشهادة فلينطلق ومن يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه
معه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا
كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران
ضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما
كانا يتعاقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه
حتى نزل بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم
عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفي
العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله
بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم
فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا

Copyright © King Saud University

راس رجل منكم والبعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا فحلقوا
راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا
وقالوا قوم عمار فلا باس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جماد
الاخر وكانوا يرون انه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا
متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا
امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسروا الحكم
وعثمان بن كيسان اوكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل
فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام وسفك الدماء واخذ الحرائب يعني المال وعيّرون لذلك
اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم
الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لعبد الله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيئا من ذلك
وعنف المسلمون اصحاب السرية فلما منعوا وقال لهم صنعتم
ما لم تامروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد
هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا الحضرمي
ثم امسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندري اذا رجب اصبناه ام

في جمادى

جمادى واكثروا في ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس في
الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم الباقي على اصحاب السرية
وبعث اهل مكة في فداء اسيرهم فقال نفقهما حتى يقدم سعد
وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما
فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان
بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن
فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه
فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فاما
تفسير الاية فقوله تعالى يسئلونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام
يعني رجب سمي بذلك لتحريم القتال وفي السائلين رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون سئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل اخطا ام اصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال
في الحرم وفي الاشهر لا يحل فلما كتب عليهم القتال سئلوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الاية والثاني
ان السائلين هم المشركون وانما سئلوه على وجه العيب على المسلمين
فنزلت هذه الاية يسئلونك عن الخمر والميسر الاية نزلت في عمر بن الخطاب

Copyright © King Saud University

ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة
للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الاية وانما الخمر في اللغة الستر
والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخمر العقل اي تخالطه وقيل
لو تستره وتغطيه فاما القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل انزل
في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام
وهي لهم حلال ثم نزلت بالمدينة في جواب سوال عمر ومعاذ يسلونك
عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله قل فيهما اثم
كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف
صنع طعاما ودعى اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت له صلوة فقدموا احدهم ليصلي
بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبدوا ما تعبدون بحذف لا الى
اخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله الخمر
في اوقات الصلوات فتركها قوم شربها في اوقات الصلوات
وكان الرجل يشربها في صلوة العشاء فيصبح وقد زال السكر في
صلوة الصبح ويشربها بعد صلوة الصبح فيصحو وقت صلوة
الظهر ثم ان عتبان بن مالك فاتخذ صنعا وليمة ودعى رجالا

من المسلمين

من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شووا لهم راس
بعير فاكلوا وشربوا الخمر حينئذ فاخذت منهم فافتخروا عند ذلك
وانتشر خبرهم وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة
في فخر قومه وهجا الانصار فاخذ رجل من بني الحي بعير فضرب به
راس سعد فشجه فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشكى اليه الانصاري فقال عمر اللهم ان في الخمر بيانا شافيا ويروى
ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي سعد وبيده
ناضح له والانصاري يتمثنا بيت كعب بن مالك يمدح قومه
وهما جمعوا الايوا نصر وهجرة فلم يرحي في المعاشر
فاحيا وانا من اخيا حيا من مضى واموا تنا من خير اهل المقابر
فقال حمزة اولئك المهاجرون وجاء الانصاري مستعان حمية
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بفعل حمزة فقوم له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
فانزل الله تعالى الاية التي في المائدة الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رسول الله وذلك بعد غزوة الاحزاب
بايام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى
علم ان القوم لقد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم
انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا استعمل
هنا التدريج وهذا الرفق فلا جرم حرمت الخمر ولم يكن حينئذ

Copyright © King Saud University

يومئذ للعرب عيش اعجب منها ولا هو شيء اشد من الخرق
عن انس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم اسقي
ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت
الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سألوا عنها ولا راجعوها
بعد خبر الرجل الفضيخ بالخاء والضاد المعجمتين شراب يتخذ
من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدخ والمكسور والاهراق
الصب والقلال جمع قلة والمطلقات من حبال الازواج
والمطلقة هي التي يوقع الزوج عليها الطلاق يتربصن بانفسهن
اي ينتظرن ويتربصن ثلاثة قروء جمع قرء والقرء اسم يقع
على الحيض والطهر قال ابو عبيد من الاضداد كالشفق
اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر
وقيل بالعكس واختلف في اصله فقيل اصله الجمع من اقرأ
اي جمع لان وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت
الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان
لقرئه اي لوقته الذي كان فيه لان الحيض ياتي في الوقت
والطهر ياتي لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقراء
اختلف الفقهاء على قولين احدهما ان الاقراء هو الحيض وروي
ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبادة
بن الصامت وابي الدرداء قال عكرمة والضحاك والسدي وله

والاوزاعي

والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه وقال
احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقراء الاطهار وانا اليوم اذهب
الى انها حيض القول الثاني ان الاطهار يروى ذلك عن زيد
بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري والاوزاعي
وابان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول ان
الاقراء هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلوة
ايام اقرائك يعني ايام حيضك لان المراة لا تدع الصلوة
الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما
طلق امراته وهي حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها
حتى تطهر ثم ان شاء امسك وان شاء طلق قبل ان يمس تلك
العدة التي امر الله ان يطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو
الطهر لا الحيض وبعضهم من اللغة قول الاعشى

في كل عام انت جاشم غزوة   تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة   لما ضاع فيها من قروء نسائكا

اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فيضيع اقراؤهن
وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة
الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعند غيره اطول
وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيض فقد انقضت
عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع

Copyright © King Saud University

الطلاق قرء على قول من يجعل الاقرا الاطهار قالت عايشة
اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها
وحلت للازواج ويروى عنها انها قالت الطهر القرء ليست بالحيضة
قال الشافعي والنسا بهذا اعلم لان هذا مما يبتلى به النسا وان
طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت
عدتها وعلى قول من يجعل الاقرا حيضا وهو مذهب ابي حنيفة
لا ينقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة فان كان وقع
الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع في حال
الحيض فان طلقها يعني الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد
اي لا يحل لها رجعتها بعد الثلاث حتى تنكح زوجا غيره
يعني تتزوج غير زوجها الاخر غير المطلق فيجامعها والنكاح
يتناول العقد والوطي جميعا والمراد هنا الوطي نزلت
في تميمة وقيل عايشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي
وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك فطلقها
ثلاثا عن عايشة قالت جاءت امراة رفاعة القرظي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت تحت ابن عمي رفاعة
فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير
وانما معه كهدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوق عسيلته

وتذوق

وتذوق عسيلتك قولها فبت طلاقي اي قطعه والبت القطع
وقولها مثل هدبة الثوب اي طرفه وهو كناية عن استرخاء
الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير عسل
شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان
من العرب من يؤنثه وقيل حملا على المعنى لان المراد منه النطفة
وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن ابن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء
المشددة وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله
عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت
حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى زوجي الاول فان زوجي
الاخر قد مسني وطلقني فقال ابو بكر قد شهدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي
اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابي
فقال لئن رجعت اليه لارجمنك فان طلقها يعني الزوج
الثاني بعد وطئها فلا جناح عليهما يعني على المراة
والزوج الاول ان يتراجعا يعني بنكاح جديد ان ظنا
اي علما وايقنا وقيل ان رجحت لان احدا لا يعلم ما هو
كائن الا الله تعالى ان يقيما حدود الله يعني يقيما بينهما

Copyright © King Saud University

بالعدل وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما
على غير دامثه او بالدلسة التحليل يرجعان الاول مشاجرون العلما
ان المطلقة ثلاثا لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرائط
وهي ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج اخر ويطاؤها ثم يطلقها ثم
تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا
وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب
الاول هو الاصح واختلف العلما في اشتراط الوطء هل ثبت
بالكتاب والسنة وهو على ثلاثة اقوال الاول وهو المختار انه
ثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا
نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد لما روي عن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المحل والمحلل له اخرجه
الترمذي وقال حديث صحيح وروي انه قال هو التيس المستعار
ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح
ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه مكروه
اذا كان في عزمه ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة و
ودليل ذلك ان الاية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطء
مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتها الحرمة
وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امراته
ثلاثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول

فقال لا

فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون لما امرهم به
والوالدات يعني المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن
وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات او مزوجات
يدل عليه ان اللفظ عام وما قام به دليل التخصيص فوجب تركه
على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه يرضعن اولادهن
هذا خبر بمعنى امر والتقدير والوالدات يرضعن في حكم الذي اوجبه
وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب لان
تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها وكمال شفقتها
عليه يدل انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن
لكم فاتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت
الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى هذا
نص صريح في ذلك وان لم يوجد من يرضع الطفل او لم يقبل غير
لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر
وان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى به من غيرها حولين
كاملين الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال
كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولا
وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون
شهرا وهذا التحديد ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعد لمن

بعد لمن اراد ان يتم الرضاعة فلما علق الاتمام بارادتنا
علمنا ان هذا الاتمام غير واجب قطع النزاع بين الزوجين
في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى بالحولين حتى يرجعا
اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت
الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعت لتسعة اشهر
ارضعته حولين احدي وعشرين شهرا لكي ثلثون شهرا
لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال في رواية
الوالبي عنه هو حد كل مولود في اي وقت ولد لا ينقص رضاعه
من حولين بالاتفاق من الابوين فايهما اراد فطامه
الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا ان اتفقا عليه يدل
على ذلك قوله فان اراد فصالا عن تراض منهما وقيل فرض
الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال
المراد بالجمهور ان تتم الرضاعة اي هذا منتهى الرضاع لمن اراد
اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو
على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به وعلى المولود يعني
الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للاباء
ولذلك ينسب الولد الى الاب دون الام قال بعضهم
وانما امهات الناس اوعية مستودعات وللاباء ابنا
وقيل في هذا تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه

مولودا

مولودا على فراشه فكانه قال اذا ولدت المراة لاجل الرجل
وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه رزقهن اي طعامهن
وكسوتهن اي لباسهن المعروف اي قدر الميسرة لا تكلف نفسا
الا وسعها يعني طاقتها والمعنى ان الوالد لا يكلف في الانفاق
عليه وعلى امه الا قدر ما تتسع مقدرته ولا يبلغ استغراق
القدرة والذين يتوفون يعني يموتون منكم واصل المتوفي
اخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال
يتوفون يعني تقبض وتاخذ ويذرون اي يتركون ازواجا
والمراد بالازواج هنا النسا لان العرب تطلق اسم
الزوج على الرجل والمراة يتربصن اي ينتظرن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعني قدر هذه المدة وانما
قال عشرا بلفظ التانيث لان العرب اذا ابهمت العدد
من الليالي والايام غلبوا على الليالي على احدهم ليقول صمت
عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا اظهروا
قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن ليس
احداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكم
في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن
امه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح تنفخ
في الولد في هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ما روى عن

Copyright © King Saud University

ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم تكون علقة
مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب
رزقه واجله وعمله وشقي وسعيد ثم ينفخ فيه الروح
اخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق
الولد يجمع في مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه ينفخ الروح
فيه في هذه الايام الزائدة فصل في عدة المتوفى
عنها زوجها وفيه مسائل المسئلة الاولى عدة
المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة
على نصف مدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه جمهور
العلما وقال ابو بكر الاصم عدة الامة نصف عدة الحراير وتمسك
بظاهر الاية ثم عدة الحرة بوضع الحمل سوا فيه الحرة والامة
ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج
ويدل على ذلك ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت
تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لوي وكان ممن
شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب
ان وضعت حملها بعد وفات زوجها فلما استعلت من
نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها السنابل بن بعكك
رجل من بني عبد الدار فقال ما لي اراك تجملت للخطاب لعلك

ترجين النكاح

بيان عدة

لعلك ترجين النكاح وانت والله ما انت بناكح حتى تمر عليك
اربعة اشهر وعشرا قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت
علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسألته عن ذلك فافتاني فقد حللت حين وضعت حملي
وامرني بالتزويج ان اخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن
شهاب والارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان
كانت في دمها غير انه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الاية
عام في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا
ثم خص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله
تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
الثانية تجب على من توفي عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة
والزينة والطيب ودهن الراس بكل دهن والكحل المطيب
فان اضطرت الى الكحل ففيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك
وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل بالليل وتمسحه بالنهار
عن ام سلمة قالت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين توفي ابو سلمة وقد جعلت علي صبرا فقال ما هذا يا ام
سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب قال انه
يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي
بالطيب ولا بالحنا فانه خضاب قلت باي شي امتشط يا رسول

بيانا
تفلفين

قال بالسد وتقطفين به راسك لخرجه ابو داود والنسائي
نحوه قوله فانه يشب الوجه اي يوقده ويحسنه وينوره من
شب النار اذا اوقدها قوله تقلقين اي تلطخين ان الذين
خرجوا من ديارهم قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها
داوردان وقع فيها الطاعون فخرجت طائفة فسلم الذين
خرجوا وهلك اكثر من بقي في القرية فلما ارتفع الطاعون
رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا اذا اصحابنا
احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن
وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء فيها
فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا
حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه
النجاة فاستقبلهم ملك من اسفل الوادي وملك اخر من
اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا وابن عمر خرج الى الشام فلما
جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن
بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به
بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض فلا تخرجوا منها فرارا
منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك
ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال
عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا
لملكهم

لملكهم ان الارض التي تاتيها بها وباء فلا نخرج حتى
ينقطع بها الوبا فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا
منه فلما راى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب
واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في
انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما
خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت
دوابهم موت رجل واحد فاتى عليهم ثمانية ايام حتى
انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا
عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله
تعالى الم تر يعني الم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو رؤية
القلب قال اهل المعاني هو تعجيب له يقوله هل رايت مثل
هؤلاء كما تقول الم تر الى صنيع فلان وكل ما في القران
الم تر معاينة النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه وهم الوف
قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم قيل ثلاثة
الاف وقيل عشرة الاف لان الله تعالى وقيل بضع وثلاثون
الفا وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا واصح الاقوال
قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة الاف لان الله تعالى
قال وهم الوف الكثير الفا وجمع القليل الاف وقيل معنى وهم
الوف مؤتلفون جمع الف والاول اصح قالوا فمر عليهم

Copyright © King Saud University

مدة فبليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم
حزقيل بن بوذي وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى
وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع
بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوفنا ثم قام بعده حزقيل
وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت
الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها
حزقيل ويقال له ذا الكفل سمي به لتكفله سبعين نبيا
وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف
عليهم وجعل يتفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان اريك
انه قال نعم يا رب فاحياهم الله تعالى وقيل كانوا قومه احياهم
الله تعالى ثمانية ايام وذلك لما اصابهم خرج في طلبهم
فوجدهم موتى فبكى فقال يا رب كنت في ناس يعبدونك ويذكرونك
فبقيت وحيدا لا قوم لي فاوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم
اليك فقال احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقيل انهم قالوا
حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا
الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم
لا يلبسون ثوبا الا عاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لاجالهم
التي كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم تلك الريح في
ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم

من

من الاجال فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم ليستوفوا بقية
اجالهم ولو جاءت اجالهم لما بعثوا فان قلت كيف اميت
هؤلاء مرتين في الدنيا مرتين وقد قال الله تعالى لا
يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم
كانت عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياءهم
كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبياء خوارق
للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون تقدير قوله
الا الموتة الاولى عام مخصوص بمعجزة الانبياء فيكون تقدير
قوله الا الموتة الاولى التي ليست من معجزات الانبياء ولا
من خوارق العادات وفي هذه الاية احتجاج على اليهود
ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم من لم يشاهد
وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث انه
ان قد اخبر الله تعالى وهو الصادق في افعاله انه احياهم
ثم اماتهم في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيامة
حذر الموت اي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل
انهم امروا بالجهاد ففروا من حذر الموت وقوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان
ليجازى عليها فسمى الله تعالى عمل المؤمنين قرضا على رجاء ما وعدهم
من الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيئ قال

Copyright © King Saud University

قال امية بن الصلت كل امرئ يجزي قرضا حسنا او مسيئا
او مدينا كالذي دانا واصل القرض في اللغة القطع سمي به
لان من المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله
ومعنى الاية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه
عنده وهذا لطف من الله تعالى في استدعاء الى اعمال البر والطاعة
وقيل في الاية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباده المحتاجين
من جلتها فهو كذلك ان الذين يؤذون الله اي يؤذون عباد الله
ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة يا ابن ادم
استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب
العباد قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك
لو اطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلف في المراد بهذا
القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة
وقيل صدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى
سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبراني بسنده
عن ابن مسعود قال لما نزل من ذا الذي يقرض الله الاية قال ابو الدحداح
وان الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال
ناولني يدك فناوله يده قال اني قد اقرضت ربي حائطا فيه
ستمائة

ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى اتى الحائط وام الدحداح فيه في عياله
فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط
فاني قد اقرضته ربي فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح
لابي الدحداح وقيل يؤمن ينفق في طاعته فيدخل فيه نوافل
والتطوع فلما فصل طالوت بالجنود اي خرج واصل
الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج
طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف
مقاتل وقيل ثمانون ومائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه
كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما
راوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد
وكان مسيرهم في شدة حر شديد فشكوا الى طالوت قلة
الما بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله
ان يجري لنا انهارا قال ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم
به ليبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس نهر
فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين
لمن شرب منه فليس مني اي فليس من اهل ديني وطاعتي ومن
لم يطعمه اي لم يذقه يعني فانه مني يعني من اهل طاعتي
الا من اغترف غرفة بيده قرئ بفتح الغين وضمها
لغتان وقيل الغرفة بالضم التي تحصل في الكف من الماء والغرفة

Copyright © King Saud University

بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر انتهى حازن
فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المومنون خاصة لقوله
تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه فان قلت فعلى هذا القول
من القائل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكون
اهل الايمان وهم الثلاث مائة وبضعة عشر انقسموا على
قسمين لما حين راو العدوا وكقوته وقلة المؤمنين قالوا لا
طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ما جابهم القسم الاخر بقوله
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين انتهى
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ولولا ان الله
يدفع بعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة بعضنا
وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله
بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين
المساجد والبلاد انتهى يعني القصص التي اقتصها من حديث
الالوف انتهى واماتتهم واحياهم وتمليك طالوت واظهاره
بالاية وهو التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي انتهى حازن
منهم من كلم الله اي كلمه وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات
يعني محمد صلى الله عليه وسلم دفع الله منصبه ورتبته على سائر
الانبياء بما فضله عليهم من الايات البينات والمعجزات
الباهرات

الباهرات فما اوتي نبي من الانبيا اية او معجزة الا اوتي نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا بايات ومعجزات اظهر
مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذي حن عند مفارقته
وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته ونبع
الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الايات والمعجزات التي لا
تحصى كثرة وعظمها واظهرها معجزة واية القرآن العظيم الذي
عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية
الى يوم القيمة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن
عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجوا
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة انتهى حازن والمعنى لا تاخذه
سنة فضلا عن النوم لان النوم والسهو والغفلة محال
على الله تعالى لان هذه الاشيا عبارة عن عدم العلم وذلك
نقص وافة والله تعالى منزه عن النقص والافات وان ذلك
تغير والله تعالى منزه عن التغير وعن ابي موسى الاشعري قال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله
عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه
يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل قوله
يخفض القسط ويرفع اراد بالقسط الميزان الذي يبيع به لعدل

انتهى فان قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات
قلت لما كان المراد اضافة كل ما في السموات سواه اليه من الخلق
والملك وكان الغالب فيما لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل
فعبر عنه بلفظ ما انتهى فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب
التسوية بين الانبيا في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة
واجمعت الامة على ان الانبياء بعضهم افضل من بعض
وان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو
قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا انتهى
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء
سنام وان سنام القران سورة البقرة وفيها اية هي
سيدة اي القران اية الكرسي اخرجه الترمذي انتهى خازن
سال رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال
يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا
تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السؤال
فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه انتهى خازن
م عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر
اتدري اي من كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله الا هو
الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر
انتهى خازن وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل

بعض القران

بعض القران على بعض منهم ابو الحسن الاشعري وابو
بكر الباقلاني قالا تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص
المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتاولوا هؤلاء
ما ورد من اطلاق لفظ اعظم وافضل على بعض الايات
او السور بمعنى عظيم وفاضل ومن جاء في تفضيل بعض
القران على بعض من العلما والمتكلمين قالوا هذا التفضيل
هو راجع الى عظم اجر القاري وجزيل ثوابه انتهى خازن
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا حين يصبح اية الكرسي وايتين من اول حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ من يومه
ذلك حتى يمسي ومن قراها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى
يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب انتهى خازن
قيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكره
على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم
يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام
او القتل ونزل في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني
اذا قبلوا الجزية فمن اعطي الجزية منهم لم يكره على الاسلام
فعلى هذا القول تكون الاية محكمة ليست بمنسوخة وقيل
بل الاية منسوخة وكان ذلك في ابتدا الاسلام لم يؤمر

Copyright © King Saud University

بالقتال ثم نسخت باية القتال وهو قول ابن مسعود
وقال الزهري سالت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى
لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون
الا ان يقاتلوا فاستاذن الله في قتالهم فاذن له ٥
ومعنى لا اكراه في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكراه
عليه انتهى خازن والوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة
الوثقى السبب الذي يتوصل به الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام
خازن وقيل كلما في القران من الظلمات والنور فالمراد به
الكفر والايمان غير الذي في سورة الانعام وهو قوله
تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار
وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة
تحجب عن ادراك حقائق الايمان وسمي الاسلام نورا
لوضوح طريقه وبيان ادلته خازن انتهى عن مجاهد
انه كان كافرا شكا في البعث وهذا معنا قوله تعالى
قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب لقوله تعالى قال كم
ولنجعله اية للناس وهذا اللفظ فلا تستعمل في حق
الكافر وانما يستعمل في حق الانبياء قال قتادة وعكرمة
والضحاك والسدي هو عزير بن ارحيا وقال وهب

بن منبه

بن منبه هو ارميا بن خلقيا من سبط يكرون وهو الخضر
ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى
على احيا خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على
القرية فجائز ان يكون ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون
ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة نبوة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم
ويعرفونه وهو نبي لم يقرا الكتب القديمة واختلفوا في تلك
القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بخت نصر المراد
بالاحياء هنا عمارتها وقيل هي القرية التي اهلك الله اهلها
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وغير ذلك انتهى خازن
فنظر فاذا اعظام ببعض ثم ركب الله تعالى العظام بعضها
على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر والمعنى
وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء لتعلم ولنجعلك
اية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله
اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو اسود الراس ٥
واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز شمط
فكان ذلك اية للناس انتهى خازن اختلفوا في سبب هذا
السوال من ابراهيم عليه السلام فقيل مر على دابة ميتة
وهي جيفة حمار وقيل كانت حوتا وقيل رجلا ميتا

Copyright © King Saud University

بساحل البحر وقيل بحر طبرية فراها وقد توزعها دواب البحر
والبر فاذا مد البحر جات الحيتان واذا جزر البحر جاءت
السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت
منها فلما راى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب اني قد
علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف
الدواب فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا ؞
فعاتبه الله تعالى قال اولم تؤمن الى اخره انتهى خاز
واختلفوا في عدد الاجزا والاجبال فقال ابن عباس امره الله
ان يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها على اربعة
اجبل ربعا من كل طائر قيل جبل على جهة المشرق وجبل
على جهة المغرب وجبل على جهة الشمال وجبل
على جهة الجنوب وقيل جزاه سبعة اجزا ووضعها
على سبعة اجبل وامسك روسهن بيده ثم دعاهن
فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل قطرة من
دم طائر يطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة الى الريشة
وكل عظم يطير الى العظمة الاخرى وكل بضعة تطير
الى البضعة الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها
الى بعض في السماء بغير روس ثم اقبلت سعيا الى روسهن
انتهى قوله ليسكن قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام

ان يبصر

ان يبصر له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة
وقيل لما راى الجيفة على البحر وقد تناولها السباع والطير
ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ذلك ما تفرق
من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت
يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام غافلا في احياء الله
الموتى ولا دافعا له لكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان
المومنين يحبون ان يرى ذلك عيانا كما ان المومنين يحبون
ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون روية الله
والجنة يطلبونه ويسالونه في دعائهم مع الايمان
بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم
ان يصير الخبر عيانا وقيل كان سبب هذا السوال من ابراهيم
انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي
ويميت فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احد الرجلين ؞
واطلق الاخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد
ميت فيحييه فقال له نمرود ليس عاينته فلم يقدر ابراهيم ان
يقول نعم فانتقل الحجة اخرى ثم سال ربه ان يريه كيف
يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي لقوة
حجتي فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم انتهى خازن كلما
جاء طائر الى راسه فان لم يكن راسه دنى منه واذا لم يكن تاخر عنه حتى

ثم اطلق ابراهيم ... ابن عباس انتهى كاز

اي اتبع نفقته التي نفقها عليهم المن والاذى وهو من
عليه بعطائه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه
عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسئل
وانت فقير ابدا او قد بليت بك واراحني الله منك وامثال ذلك
والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان
على فلان اذا اثقله بالنعمة ويقول ذلك بالقول ايضا ومنه قول
الشاعر من علينا بالسلام فانما كلامك ياقوت ودر منظوم
ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على
الانسان بما اذا اعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان ابي يقول
اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا
تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على
اظهاره والمن به واما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر
بقوله او فعله اذا عرفت هذا فنقول المن هو اظهار المعروف
الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكي منهم بسبب
ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى
فيه وذم فاعله فان قلت كيف وصف الله تعالى نفسه بالمنان
فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن
الله افضال على عباده ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق
بينهما انتهى خازن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف
ما اخاف عليكم

ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما
الشرك الاصغر قال الريا يقال لهم يوم تجازي العباد
باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فانظروا هل تجدون
عندهم جزاء انتهى جا . وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل
المؤمن المخلص في انفاقه وسائر اعماله بقوله الله تعالى
كما ان هذه الجنة تريع وتزكوا ولا تخلف سواء كان المطر
قليلا ام كثيرا فكذلك يضعفه الله صدقة المؤمن المخلص
في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يوذي سواء قلت نفقته
او كثرت انتهى خازن يعني انه تعالى لا يخفى عليه نفقة
المخلص في صدقته الذي لا يمن بها فلا يوذي والذي يمن بصدقته
ويوذي انتهى جلالين انما خصها بالذكر لانها اشرف الفواكه
واحسنها ولما فيها من الغذا والتفكه انتهى جلالين بقوله تعالى
فاصابها يعني اصاب تلك الجنة اعصار فيه نار فاحترقت
الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كانها عمود وهذا
مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي بقوله مثل عمل
المنافق والمرائي بعمله في حسنة كحسنة جنة ينتفع بها
صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته
اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل في
قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله لكبره وضعف اولاده

Copyright © King Saud University

فهو لا يجد ما يعود به على اولاده وهم لا يجدون ما يعودون
به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك
حال من اتى يوم القيمة باعمال حسنة لم يقصد بها وجه الله
الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو غاية الحاجة اليها
حين لا مستعتب له ولا توبة وقال الحسيد بن عمير فقال عمر
يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت
هذه الاية يود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال
قولوا نعلم او لم نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير
المؤمنين فقال عمر قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب
الله مثلا لعمل قال رجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له
الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احرق اعماله انتهى حاشية
فان قلت كيف عطف واصابه الكبر على يود وكيف يجوز
عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون
له جنة حال ما اصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى
فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر انتهى
وهنا كما ترى تمثيل حال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم
اليها من القوادح ثم يجدها يوم القيمة عند كمال حاجته اليها
هباء منثورا في التحسر والتاسف عليها انتهى ابو السعود
قال ابن عباس لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا واقبال الاخرة انتهى

اي من خيار

٦٩

اي خيار ما كسبتم وجيد وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة
والصناعات وفيه دليل على اباحة الكسب لانه ينقسم الى طيب
وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه
بحق بورك فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال
الله ورسوله ليس له يوم القيمة الا النار انتهى المتخوض
الذي ياخذ المال من غير جهته كما يخوض الانسان
في الماء يمينا وشمالا انتهى حادي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ياتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما اخذ منه امن حلال
ام من حرام وعنه صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما
قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود
كان ياكل من عمل يده وعنه صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب
ما اكلتم من كسبكم انتهى مختصرا واختلفوا في المراد بقوله
انفقوا فقيل المراد به الزكوة المفروضة لان الامر للوجوب
والزكوة واجبة فوجب صرف الاية اليها وقيل يتناول
الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح
جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك
بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر انتهى خازن

Copyright © King Saud University

تنفقون منه

وعن البراء بن عازب في قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث
قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل ياتي
من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل ياتي بالعنقود والعنقودين
فيعلق في المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام فكان
احدهم اذا جاء اتى العنقود فضربه بعصاه فسقط البسر والتمر
فياكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير ياتي بالعنقود فيه
الشيص والحشف وبالعنقود وقد انكسر فيعلقه فانزل الله
الله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا الى اخر الاية قال ولو ان احدكم اهدى
اليه مثل ما اعطى لم ياخذه الا على اغماض وحياء وكنا بعد ذلك
ياتي احدنا بصالح ما عنده وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم
ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون يعني تتصدقون خازن مختصر
ويستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله
الذين كفروا انتهى او يقال وعدته خيرا ووعدته الشر واذا لم
يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر اوعدته انتهى خازن
فان كان كله رديا فلا باس باعطاء الردي انتهى خازن
قيل سبب نزول هذه الاية ان اناسا من المسلمين كان لهم قرابات
واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم فلما
اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا

يتصدقون

يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على التصدق على المشركين تحملهم
الحاجة الى الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على
اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية
من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام
فحينئذ نتصدق عليهم فاعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فاما كونهم متهدين فليس
ذلك اليك انتهى خازن وارادوا بالهداية هنا هداية التوفيق
واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية فاعطوهم وتصدقوا عليهم
انتهى وقيل معناه ولستم في صدقتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون
الا وجه الله وقد علم الله هذا في قلوبكم فانفقوا عليهم اذا
كنتم تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال
بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله كان لك ثواب نفقتك
واجمع العلماء قال علي الله لا يجوز صرف الزكوة الا الى المسلمين
وهم اهل السهمان المذكوران في سورة التوبة وجوز ابو حنيفة
صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة فعلى هذا تكون الاية مختصة
بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء المسلمين
وفقراء اهل الذمة انتهى خازن مختصر قيل نزلت الاية في الذين

Copyright © King Saud University

يربطون للجهاد في سبيل الله لانهم يعلقونها بالليل
والنهار وفي السر والعلانية عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا
وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه
يوم القيمة يعني حسنات وقيل ان الاية عامة في الذين
ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب
الحاجات والفاقات انتهى خازن م عن جابر قال لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال
هم سواء واصل الربا في اللغة الزيادة ويقال ربا الشيء يربوا
اذا زاد وكثر فالزيادة في الماء انتهى خازن اي يصرعه واصل
الخبط الضرب ولو طئ وهو ضرب على غير استواء ويقال ناقة
خبوط للتي يضرب الارض بقوائمها وتطؤ الناس باخفافها
ومنه قولهم يخبط خبط عشوى للرجل الذي يتصرف في الامور
على غير اهتدا وتمييز وتدبير ويتخبطه الشيطان اذا مسه
بخبل او جنون انتهى خازن ذلك العقاب بسبب انهم نظموا
الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه
استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع
ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا اصلا في الحل وقاسوا به
بيع مع

البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين
في الاول ضايع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى
السلعة او بتوقع رواجها انتهى ابو السعود وذلك اشارة
الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذ
ان بفظاعة المشار اليه انتهى ابو السعود قال بعض
العلماء لو انفقت على خلق الله كان لك ثواب نفقتك
انتهى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف
عليهم من مكروهات ولا هم يحزنون من محبوب فات
انتهى ابو السعود ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم
ثبوته عند عدمها لان عدمها في حال الردة في المسلمين
عند ابي حنيفة رحمه الله وكذا سائر اموالهم وان كان مع
الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف اي الى تحليل الربوا
انتهى ابو السعود وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان
كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الخ روي لثقيف مال على بعض
قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت انتهى ابو السعود
كان مع انعكاس الحرمة فهم المرتدون وما لهم المكسوب
عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم ولا شيء ولا شيء لهم على كل
حال الفئة لم تسلم لهم نفوسهم فكيف بروس اموالهم

فكذلك عند الشارع الحي من عاد باعتبار اللفظ وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد انتهى
ابو اي لا يرضى لان الحب يختص بالتوابين كفار مصر في
تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكاب انتهى ابو السعود
خصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لاسنافاتهما
على سائر اعمال الصالحات على طريقة ذكر جبريل وميكائيل
عقب الملائكة عليهم السلام انتهى ابو فان لم
تفعلوا اي ما امرتم به من الانقياد وترك البقايا اما مع
انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله
ورسوله اي فاعلموا بها من اذن الشيء اذا علم به اما على
الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة انتهى
ابو وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة
في التحذير عما فيه من التشديد والاهوال عن ابن عباس رضي الله عنهما
انها اخر آية وقيل نزل بها جبريل عليه السلام في راس المائتين والثمانين
من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احد وعشرين يوما
وقيل [illegible] ايام احد وثمانين وقيل بسبعة ايام وقيل بثلاث
ساعات انتهى ابو السعود قوله ولا ياب كاتب اي لا يمتنع
احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة

ما علمه

كما علمه الله على طريقة ما علمه من كتابة الوثائق او كما
بينه بقوله تعالى بالعدل او لا ياب ان ينفع الناس بكتابته
كما نفعه الله بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن
الله اليك انتهى ابو السعود وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا
ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة كما شرعه الله وامر به
عند الحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون
الاخر ان يكون كل واحد منهما امنا من ابطال حقه وان
ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترزوا من الالفاظ التي
يقع التنازع فيها وهذه الامور ليس الا لمن هو فقيه عالم
باللغة ومذاهب العلماء بالعدل اي بالحق من غير زيادة
ولا نقصان ولا تقديم ولا تاخير ولا اجل ولا اخير فيدان فائدة
الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا
علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة او تقديم
المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف تعذر عليه
الجحود او النقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة
من الكتابة امر الله تعالى بها انتهى خازن واختلفوا في وجوب
الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل هو واجب
لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع عن الكتابة وايجابها على كل

Copyright © King Saud University

كاتب فاذا طلب الكتابة وتحمل الشهادة من هو اهلها
وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك
لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بما استحب له ان يكتب
ليقضي حاجة اخيه المسلم وتشكر لتلك النعمة التي انعم الله بها
عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبين على الكاتب
والشاهد ثم نسخها الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا
شهيد انتهى خازن يعني ان المطلوب الذي عليه يقر على نفسه
بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفته
لاجله ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان
معناهما واحد انتهى خازن ومن للتبعيض اي شهيدين
كاتبين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم
فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما
بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان
من عليه الحق كافرا فيجوز اشهاد الكافر عندنا ولا يضار
كاتب ولا شهيد هذا نهي عن المضارة واصله يضارر بكسر الراء
الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيابى ان يكتب او الشاهد
فيابى ان يشهد او يضار الكاتب بان يزيد او ينقص او يحرف
ما املي عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا الشاهد
وقيل اصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه ان يدعوا

الرجل

الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولين فيقولان نحن على
شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا
اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهي عن
مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما انتهى خازن فلا يخفى عليه حالكم
وهو مجازيكم به ثم كرر لفظ الله في الجمل الثلاث لادخال
الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى
على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام
والثالثة تعظيم لشانه تعالى انتهى ابو قوله فرهن مقبوضة
اي فالذي يستوثق به يستوثقون او فعليكم او فليوخذ او فالم
شروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر
في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى
الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين
صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان
مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها
وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب توثقا
واعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير
مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون
وقرئ بسكون الهاء تخفيفا انتهى ابو اي بعض الدائنين

Copyright © King Saud University

بعض المدينين بحسن ظنه واستغنى بامانته
عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اي امنه الناس وصفوه
بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض اي
على متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المدين وانما عبر عنه
بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام ولحمله على الاداء امانته
اي دينه وانما سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان انتهى ابو السعود
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله
تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة انتهى ابو السعود
بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه
منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلوا
عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة
فيها اذ التكليف بحسب الوسع انتهى ابو السعود ايمانا
تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرايع والاحكام والقصص
والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه
منزل منه تعالى واما الايمان بحقيقة احكامه وصدق
اخباره ونحو ذلك من فروع الايمان به من الحيثية
المذكورة وفي هذه الاجمال اجلال لمحله عليه السلام
انتهى ابو السعود وقد روي انه لما نزل وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الاية اشتد ذلك
على اصحاب

على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام
ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج والجهاد
وقد انزل عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فقراها القوم فانزل الله عز وجل امن الرسول
بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير انتهى ابو السعود
ثم انزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا
للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من
من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز
والتكليف الزام ما فيه من الكلفة والمشقة والوسع ما يسع
الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا
من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون
مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة
كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر انتهى ابو السعود
وقد روي ان اليهود اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم
بعد العلم بتحقيق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة
في ذلك كما في قوله تعالى واتنا ما وعدتنا على رسلك انتهى ابو السعود

Copyright © King Saud University

وقد روي ان اليهود اذا نسوا شيئا عجلت فلما خرجوا
من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان ما خرم كرز بن علقمة
الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذا عثرت فقال
كرز تعسا لما بعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز لم يا اخي قال انه
والله النبي الذي كان ننتظره فقال له فما يمنعك عنه وانت
تعلم قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا
فلو امنا به لاخذوا منا كله فوقع ذلك في قلب كرز واضمره
الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم
ثياب الحبرات جبب واردية فاخذ يقول بعض من
راهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راينا وفدا
مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال
عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلموا ولئك الثلاث
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه
كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق
من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى
هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث
ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت

وقلت

وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا فقالوا اسلمنا
قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام ادعاؤكم لله
تعالى ولدا قالوا ان لم يكن له ولد فمن ابوه. فقال عليه السلام الستم
تعلمون انه لا يكون ولد الا يشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون
قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا فقالوا لا فقال
عليه السلام الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا
في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا الا
ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان الله صور عيسى
في الرحم كيف يشاء وان ربنا لا ياكل شيئا ولا يشرب ولا يحدث قالوا
بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة
ووضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان
يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه
السلام فكيف يكون هذا الها كما زعمتم فسكتوا فابوا الا جحودا
فانزل الله تعالى من اول السورة الى نيف وثمانين اية تقريرا لما
احتج به عليه السلام واجاب به عن شبههم وتحقيقا
للحق الذي فيه يمترون انتهى ابو السعود اي ميلا عن
الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة
الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في
عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد انتهى

Copyright © King Saud University

اي لكل واحد منه ومن المحكمات كل واحد هن متشابهات
ومحكمة منزل منه من عنده يقال لا مخالفة بينهما واضاء
وبحقيقة على مراده به تعالى انتهى من تمام مقالة الراسخين
اي لا تزغ قلوبنا من نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا نر
القدسي كموسى عليه السلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع
الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغ عنه وقيل معناه لا تبتلينا
ببلاء تزيغ فيه قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والتاويل الصحيح
او الى الايمان بالقسمين وجعل نصب نصب بلا ترغ على الظرفية
انتهى ابو السعود اولئك الموصوفون بالكفر حطب جهنم
وحصبها الذي تسعر به فان اريد حالهم عند التسعير وايثار
الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقريره والا فهو
للايذان بان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة
بمنزلة الهدر فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم
وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما يخفى وهم
يحتمل الابتداء ان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستا
مستانفة مقررة لعدم الاغنا او معطوفة على خبران وايا
ما كان نفيها متعين للعذاب الذي بين ان اموالهم
واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار
بضم الواو وهو مصدر اي هل وقودها انتهى ابو السعود

الداب مصدر

الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه وتعب نقل استعماله
في معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه
خبر لمبتدا محذوف انتهى ابو السعود شرع في بيان حال من كفر به
والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاوصاف وقيل نجران
او اليهود من قريظة او النضير او مشركوا العرب اي لن تغني عنهم
كما لن تغني عن اولئك انتهى ابو السعود المراد بهم اليهود لما روى
عن ابن عباس رضي الله عنه ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه
النبي الامي الذي بشرنا به موسى عليه السلام في التورية نعته
وهموا باتباعه فقال بعضهم حتى تنظروا الى وقعة له اخرى
فلما كان يوم احد شكوا وقد بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في
ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا الى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت انتهى ابو السعود قال اهل السنة المزين هو الله تعالى
لانه تعالى خالق جميع افعال العباد ولانه تعالى خلق جميع ملاذ
الدنيا واباحها لبعيده واباحتها للعبد تزين بها قال الله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا
ما على الارض زينة لها وقال تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالا

Copyright © King Saud University

طيبا فكل يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يويد ذلك ه
قراة مجاهد زين بفتح الزاء على تسمية الفاعل انتهى ابو السعود
الصابرين يعنى على اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات
وفي الباساء والضراء وقيل الصابرين على دينهم والصادقين
يعني في ايمانهم وقال قتادة وهم قوم صدقت نياتهم واستقامت
السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول
والفعل والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق
في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق في
النية العزم على الفعل حتى يبلغه والقانتين يعني المطيعين
لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة ه
والمواظبة عليها والمنفقين يعني اموالهم في طاعة الله
تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه
وصله رحمه والزكوة والنفقة في جميع القربات والمستغفرين
بالاسحار يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد الظلمة
الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان
وقت السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار فكان هذا
دابهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيى الليل ثم يقول
يا نافع اسحرنا فيقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت
نعم قعد يستغفر ويدعوا وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى
كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني
فاستجيب له من يسئلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له
وفي لفظ لمسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني
الحديث انتهى خازن وروى البغوي بسند الثعلبي عن غالب
القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش
فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان انحدر
الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الاية شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله
الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله
به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله ه
وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت
سمع فيها شيئا فصليت الصبح معه وودعته ثم
قلت له اني سمعتك تردّدها فما بلغك فيها شيئا
قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك
اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا محمد قد
مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيمة
فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق

Copyright © King Saud University

من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة انتهى خازن وذلك ان
اليهود والنصارى قالوا انا على ما سميتنا به يا محمد انما هو
اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه
فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اذ يحتج عليهم بانه
اتباع امر الله الذين هم مقرون به انتهى اي انقدت له بقلبي
ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف
جوارح الانسان الظاهرة فان اخضع وجهه لشيء فقد
خضع له سائر جوارحه وقيل المراد بالوجه العمل اي اخلصت
عملي لله وقصدت عبادتي الى الله ومن اتبعني يعني ومن اسلم
كما اسلمت انا انتهى خازن روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قرا هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله
ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى
اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله
ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله تعالى وان تولوا ابو السعود
عن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله
اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا
او رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال يا عبيدة
قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا في اول النهار في

ساعة واحدة

في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد
بني اسرائيل فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا
جميعا من اخر النهار ابو السعود وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان
يهوديا فقال عليه السلام لهما ان بيننا وبينكم التورية
فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم ابو السعود
اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من
المجلس وهم معرضون بقلوبهما اذا اعتراض اي وهم
قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل انتهى
ابو السعود قيل ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات
الكفار راية اليهود فتفضحهم على رؤس الاشهاد ثم
يامرهم الى النار انتهى خازن فان ابو العباس المقري ورد لفظ
الحساب في القران على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى
وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة
قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب انتهى ابو السعود

Copyright © King Saud University

وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود
هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهو
اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى
طمع في ملك فارس فانزل الله تعالى هذه الاية. وقيل
ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا ينقل النبوة عن
بني اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الاية وجلال اليهود
قل اللهم معناه يا الله خذف حرف الندا زيد الميم في اخره
وقيل ان الميم فيه معنا امر وهو يا الله امنا بخير اي قصدناه
مالك الملك اي ملك العباد وما ملكوا وقيل مالك ملك
السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل
معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يبقى الملك احد غيره
انتهى خازن قال اللهم الميم عوض من حرف الندا ولذلك لا يجتمعان
وهذا من خصايص اسم الجليل لدخوله عليه مع حرف التعريف
وقطع همزة ودخول تاء القسم عليه انتهى ابو السعود مالك الملك
اي جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف
فيه كيف ما يشاء ايجادا واعداما واحياءا واماتة وتعذيبا
واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند
سبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية انتهى ابو السعود

تؤتي الملك

تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه
مالكية الملك وتحقيق لاختصاصهما به تعالى حقيقة
وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبي عنه ايثار الايتا
الذي هو مجرد الاعطا على التمليك المؤذن بثبوت المالكية
حقيقة انتهى ابو السعود وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها
ونقلها من قوم الى اخرين انتهى ابو السعود فان قلت كيف قال
بيدك دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي
يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين الذي انكرته اليهود
والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه من تشاء ولذلك على
رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافي ان يكون بيده
غيره فيكون المعنا بيدك الخير وغيره الا انه خص الخير بالذكر
لانه المنتفع به والمرغوب فيه انتهى خازن روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة
من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من
بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام
واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء
ما بين لابتيها فكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه
المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب

Copyright @ King Saud University

الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور
الحمر في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها
قصور صنعا واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها
وبشروا فقال المنافقون الا تعجبون نبيكم ويعدكم ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح
لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان
تبرزوا فنزلت انتهى ابو روى الضحاك عن بن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام
يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام
وجعلوا في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فقال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله
وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا
شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم
قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر والنواهي
فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه في حق الاولياء وايثار
الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية
الاطاعة والاشعار بعليتها فان الاطاعة المامور
بها طاعته

بها طاعته عليه السلام من حيث انه رسوله لا من حيث
ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجب الاطاعة
ودواعيها ففي المحبة المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم
وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار
الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار
بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان
التولي عن الطاعة كفر وبان محبته تعالى مخصوصة بالمؤمنين
انتهى ابو السعود لما بين الله تعالى ان الدين المرضي عنده
هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين
فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته
ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته
شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة
فبدا ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلوة والسلام
واتبعه ذكر مبدا عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته
للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه
اهل الكتابين في شانهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان
محاجتهم في ابراهيم عليه السلام وادعائهما انتمائهما الى ملته
ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية
ثم نص على جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله تعالى

Copyright © King Saud University

وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة
انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان امهم طائفة
مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسل الله مصدقا لما معهم
تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه
المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وحتم الطاعة
جسما سياتي وتخصيص ادم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر
ومنشا النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه ادم الثاني انتهى نوا
وهو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء
بغير ان يرزقه بغير تقدير لكثرته وبغير استحقاق تفضلا
منه تعالى وهو تعليل لكثرته من عند الله اما من تمامه
كلامها فتكون في محل النصب واما من كلامه تعالى فهو استيناف
روى ان فاطمة الزهرا رضي الله عنها اهدت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال
هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما
فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان يرزق من يشاء
بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة
سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع
اهل بيته رضوان الله عليهم اجمعين فاكلوا واشبعوا
وبقي الطعام

وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها انتهى ابو السعود
عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول خير النساها مريم بنت عمران وخير النساها خديجة بنت
خويلد قال كثير في الاشارة وكيع الى السماء والارض فكأنه اراد
وكيع بهذه الاشارة تغير الضمير في قوله خير نساها ومعناه
خير كل نساء بين السماء والارض قال الشيخ محي الدين النووي
والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها
واما التفضيل بينهما فمسكوت عن ابي موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم
بنت عمران واسية امراة فرعون وفضل عايشة على النساء
الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل
طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من مرقه بغير ثريد
وثريد ما لا لحم فيه افضل من مرقه بغير ثريد وفضل عايشة
على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح
بتفضيلها على مريم واسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على
نساء هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون

Copyright © King Saud University

اخرجه الترمذي استثنا منقطع لان الاشارة ليست من
قبل الكلام او متصل على ان المراد من الكلام ما فهم منه المرام ه
ولا ريب في كونه الرمز من ذلك انتهى ابو السعود واذ ا
منصوب بمضمر معطوف على الضمير السابق عطف القصة
وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت
امراة عمران منصوب بناصبه فتذبر اي واذكر ايضا من
شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة يا مريم وتكرير
التذكير للاشعار بمزيد الاعتنا بما يحكى من احكام الاصطفا
والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة
فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم
وهذا من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة
بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها وارهاصا لنبوة
عيسى عليه السلام لما كان الاجتماع على انه تعالى لم ينبي امراة
وقيل الهاما انتهى ابو السعود ان الله اصطفاك اولا
حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم الله يتقبل غير الولد
انثى وربالك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق
الجنة وخصك بالكرامة السنية وطهرك اي من يستقذر
من الافعال والاقوال ومما قذفك به اليهود بانطاق الطفل
واصطفاك اخرا على نساء العالمين بانه وهب لك عيسى
عليه السلام

عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء
وجعلكما اية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون
تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى
عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما
مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي
لتبادر كون الكل شيئا واحدا انتهى ابو السعود امرت
بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها
وايذانا بفضيلة كل منها واصالتها وتقديم السجود على
الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكونه السجود
افضل اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك
كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللايق الترقي من الادنى الى
الاعلى واما ليقترن اركعي من الراكعين للاشارة بان
من لا ركوع في صلوتهم ليسوا مصلين انتهى ابو السعود
قرى بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين
والجمع وقرى فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما تنفخ
فيه طائرا وما اخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش
وهو الذي يطير في الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل
الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال
ان الانثى منه لها ثدي وتحيض وذكروا ان عيسى عليه السلام

Copyright @ King Saud University

لما ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون
عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره
كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فهو طير يطير بين السماء
والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه
فاذا غاب عنهم سقط ميتا لتمييز فعل الخلق من فعل الخالق
وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى انتهى حاوي
يعني ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل اوان
الكلام ووقت الكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه
في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية
وتكلم ببراءة امه لما رموها به اهل القرية من القذف
ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني
وحدثته فاذا اشغلني عنه انسان سبح وهو في
بطني وانا اسمع ولما تكلم ببراءة امه سكت بعد ذلك
فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن
عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ
مبلغ النطق وكهلا يعني ويكلم الناس في حال الكهولة
والكهل في اللغة هو الذي اجتمع قوته وكمال شبابه
والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين ومن الصالحين
يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق
ويعقوب

ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم اوصاف
عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه
بالاوصاف العظيمة لان الصلاح اعظم المراتب واشرف
المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج
الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلما
وصفه الله تعالى بكونه وجيها في الدنيا والاخرة ومن
المقربين وانه يكلم الناس في المهد وكهلا وصح اردفه بقوله
ومن الصالحين ليكمل له اعلا الدرجات واشرف المقامات
انتهى حاوي قال ابن عباس قد احيى اربعة انفس عازر وابن العجوز
وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام
بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت
اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة
ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم
المقبرة فدعى الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى
فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مر به
وهو ميت على عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق
الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما
ابنة العاشر فكان يا خذ العشر من الناس ماتت بنت له
بالامس فدعى الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولد

[illegible]

لها واما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعاه باسم
الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا
من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان
فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن
دعوتك بالاسم الاعظم ثم قال له مت فقال بشرط ان
يعيذني الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل
اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما
لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي
او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو قائم وقيل مميتك
في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان او
مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم
الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله رفعه
من غير وفاة ولا نوم كما قاله الحسن وابن زيد وهو اختيار
الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس ورافعك الي الى
محل ملائكتي ومقر كرامتي ومطهرك من الذين كفروا اي
من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل
الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل
والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة
محمد صلى الله عليه وسلم

محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوا عليه من النصارى
فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام الى يوم
القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى
ان الجعل او الفوقية والنصارى وتخلص الكفرة من الذ
ل بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما
بعدها فيفعل الله بهم ما يريد ان مثل عيسى الاية
قال ابن عباس مع اختصار منه ان رهطا من
وفد نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم
السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شانك
تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد
الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا فهل
رأيت يقول رايت له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاء
جبرئيل عليه السلام فقال له قل لهم اذا اتوك ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب انتهى حاوي
وحكي ان بعض العلماء اسر في بعض بلاد الروم
فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم
اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان يحيي الموتى قال

فقال حزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل
اربعة الاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال
جرجيس اولى لانه طبخ وحرق انتهى حاوي ثم من جادل
من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان
عيسى وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكي من بعد ما
جاءك من العلم اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الايات
البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من
الضلال والغي انتهى ابو السعود وروي انهم لما دعوا الى
المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالفوا للعاقب وكان
ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم
يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من
امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت
صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة
على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا للحسين والحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين
وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا

يبقى

ولا يبقى على الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم
راينا الا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا
قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن
لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا قال عليه
السلام فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة
ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا
عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الفا من صفر والفا
من رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك
وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل
الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على
النصارى كلهم حتى هلكوا انتهى ابو السعود قال المفسرون لما قدم
وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود فاختصموا في ابراهيم
عليه السلام فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على
دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما
وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد
الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى
يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله

Copyright © King Saud University

فانزل الله عز وجل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم
نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده
فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت
النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم الاية فان قيل
وكذلك القران انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف
يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما او
جيب عنه بانه بان الله عز وجل اخبر في القران
بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس التوراة والانجيل
ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت
ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى
انتهى حاوي وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ورواه
محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث الهجرة الحبشة
قال لما هاجر جعفر بن ابي طالب واناس معه من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت

قريش

قريش في دار الندوة قالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا
واهدوه الى النجاشي ولعله يدفع اليكم من عنده من قومكم
ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص
وعمارة بن ابي معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر
حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له
ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصلاحك محبون وانهم
بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم
رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد
منا احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامور والجاناهم
الى الشعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد
فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك
ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم
وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا واية ذلك انهم اذا دخلوا
عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك
بها الناس رغبة في دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي
فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله
فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر
فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو

الى عمرو والى صاحبه قال الا تسمع كيف يرصون بحربائه
وما اجابهم به الملك فساهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا
له فقال عمرو بن العاص الا انهم يستكبرون ان يسجدوا
لك فقال لهم النجاشي ما منعك ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية
التي تحيني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله
الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن
نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية
التي رضيها الله وهي الاسلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي
ان ذلك حق وانه في التورية والانجيل قال ايكم الهاتف
يستاذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال
انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح
عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن
اصحابي فمر هذين الرجلين ان يتكلم احدهما ولينصت
الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر
للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان
كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فردنا عليهم قال النجاشي اعبيد هم
ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية
فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا
فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا
اموال الناس

اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي
ان كان قنطار فعلي قضاؤها فقال عمرو ولا قيراط
فقال فما تطلبون منهم قال كنا وهم على دين واحد
وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره
فبعثنا قومنا اليك لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين
الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر اما الدين
الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد
الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الاسلام جاءنا
به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم
موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم على
رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع
اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي
انشدكم الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين
يوم القيمة نبيا مرسلا فقالوا اللهم قد بشرنا به عيسى فقال
من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر فقال النجاشي
لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم
عنه فقالوا يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف
وينهانا عن المنكر ويامرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم
ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا علي مما يقرا

عليكم فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت
عينا النجاشي من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث
الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب
النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما
يقولون في عيسى وامه فقرا عليهم سورة مريم فلما اتى
ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدرما يقذي العين
وقالوا والله مازاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل
على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانهم سيوم بارضي امنون
من سبكم واذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة
اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم
قال هولاء الرهط وصاحبهم الذي جاوا من عنده ومن
اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد
النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هو
هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ
مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وانزل الله
عز وجل اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم
في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابراهيم للذين
اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين انتهى
خاوي ومعنى الاية لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس
كونوا

كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعوا الناس عبادة
نفسه دون الله وقد اتاه الله ما اتى من الكتاب والحكم
والنبوة وذلك ان الانبيا موصوفون بصفات لا يحصل
معها ادعا الالهية والربوبية منها ان الله تعالى اتاهم
الكتب السماوية ومنها اتيان النبوة ولا يكون الا بعد
كمال العلم وكل هذه تمنع من الدعوة ولكن كونوا ربانيين
يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول
على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام
ما يدل عليه واختلفوا في معنى الربانيين فقال ابن عباس
كونوا فقها علما معلمين وقيل معناه حكما وحلما وقيل
الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم وكباره وقيل
الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم
بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع
بين علم البصيرة والعلم والسياسة للناس ولما مات
ابن عباس رضي الله عنه قال محمد بن الحنفية اليوم مات
رباني هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى
الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة
الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة انتهى
خاوي فان البغوي قال الله عز وجل للانبيا حين

استخرج الذرية من صلب ادم والانبيا فيهم كالمصابيح اخذ
عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم اقررتم واخذتم
على الاية وقال الامام الفخر الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق
ما قرر في عقولهم من الدلايل الدالة على ان الانقياد من الله واجب
فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم
بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه
بتقرير هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق انتهى
حاوي افغير دين الله يبغون وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا
فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا
الفريقين بري من دين ابراهيم الهمزة للاستفهام والمراد منه
الانكار والتوبيخ يعني فبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح
الدلايل لهم ان دين ابراهيم هو دين الاسلام تبغون
قري بالتا على الخطاب الحاضر افغير دين الله تطلبون
يا معشر اليهود والنصارى وقري باليا على الغيبة ردا
على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
انتهى حاوي قال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى
وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون

قداظل

قد اظل نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله قوما يرشد الله
للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اي جحدوا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اي تصديقهم اياه واقرارهم
به وبما جاء به من عند ربه وشهدوا ان الرسول حق يعني
وبعد ان اقروا واشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه
حق وصدق وجاءهم البينات يعني بالحجج والبراهين
والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها تثبت النبوة
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم الى الحق
والصواب لما سبق في علمه تعالى انهم ظالمون وقيل
لا يهديهم في الاخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف
قال في اول الاية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال في اخرها
والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه
تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما كفروا انما هو مختص
باولئك المرتدين عن الاسلام ثم قال الله تعالى عم ذلك
الحكم في اخر الاية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني
جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلي وانما سمي
الكافر ظالما لانه وضع العبادة في غير موضعها انتهى حاوي
قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على

حالها وفائدتها انها للعطف والتقرير ولو تقرب
الى الله بملاء الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه
وكذلك لو افتدى من العذاب بملاء الارض ذهبا لن يقبل
منه وفي هذا اكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول في
جميع الوجوه انتهى حاوي فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك
حلالا على ابراهيم قالوا تحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح
وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل كل الطعام الى آخره
يعني ليس الامر على ما تدعي اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم
بل كان ذلك حلالا عليه واسمعيل واسحاق ويعقوب بسبب
من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده وانكروا اليهود
فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضارها فعجزوا عن
ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه
الاشياء على ابراهيم انتهى حاوي مختصرا وروي انهم لم يجسروا
على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من
الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ
الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما
قبلها انتهى ابو السعود يعني قل يا محمد صدق الله فيما اخبر ان
النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد ان
كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود

وقيل صدق

قل يا محمد صدق الله فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام وقيل
صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة
لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرائيل بسبب تحريم
اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في ان سائر الاطعمة محللة
على بني اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم ففيه
تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما
انزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود انتهى حاوي قال الضحاك
لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التورية وانما
حرموه لانفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل
فكذبهم الله تعالى فقال تعالى قل فأتوا بالتورية انتهى حاوي اي
اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم
وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن
امن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لا ملة محمد صلى الله عليه وسلم
انتهى حاوي قوله ان اول بيت الاول هو الفرد السابق المتقدم
على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء وسواء حصل
عقبه شيء اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اي وضعه
موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات وموضعا
للحج والطواف ويزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات
وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال الله تعالى

سواء العاكف فيه والباد انتهى خازن فان قلت كيف اضاف
الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافة الى الناس اخرى بقوله
ووضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف
والتعظيم كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك
فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلوتهم انتهى خازن
قيل ان ادم لما اهبط الى الارض واستوحش وشكى الوحشة فامر
الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء الى زمان
نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقي
موضع البيت اكمة بيضاء الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام
فامر ببنائه وعن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال
المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم جعل
لك الارض مسجدا فحيث ادركت الصلوة فصل زاد البخاري
فان الفضل فيه مباركا قيل لان الطاعات وسائر العبادات
تضاعف ويزداد ثوابها انتهى خازن اللام في قوله ولتكن
لام الامر اي لتكن منكم دعاة الى الخير منكم وقيل ان كلمة من
في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل
اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل امة في قوله
تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون

عن المنكر

عن المنكر اما بيده او لسانه او بقلبه عن ابي سعيد الخدري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف
الايمان فعلى هذا يكون معنى الاية كونوا امة دعاة الى الخير
امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا يقول الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة اذا قام به واحد سقط عن
الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك ان في الامة من
لا يقدر على المعروف والنهي عن المنكر لعجز او ضعف فحسن
ادخال لفظ من في قوله ولتكن منكم امة يدعون وقيل ان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة
الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم امرا بالمعروف
ناهيا عن المنكر انتهى خازن يعني ولا تكونوا يا معشر
المسلمين كالذين تفرقوا يعني اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى في قول اكثر المفسرين واختلفوا اي في دين الله
وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما
ذكرهما للتاكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع
الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين
انتهى خازن انما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف
علامة التانيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة

Copyright © King Saud University

السنة والجماعة انتهى حاوي واولئك لهم عذاب عظيم يعني
هؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الاخرة وفيه زجر
عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام
اي عقد الاسلام انتهى حاوي يعني اذكروا يوم تبيض وجوه
المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة
وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود
وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان
احدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية
عن الغم والحزن وهو مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر
بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله
مكروه اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم
قال الله واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعني من
الحزن فعلى هذا بياض الوجه اشراقها وسرورها واستبشارها
بعملها وذلك ان المؤمن اذا راى القيمة على ما قدم من خير
وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك
وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته واعطى
صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وعن
شماله واما الكافر والظالم على خلاف ذلك انتهى حاوي

كنتم خير امة

كنتم خير امة كلام مستانف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم
عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة
التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة
على عدم سابق ولا لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا
رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او في ما بين
امم السابقة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس صفة
لازمة اللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة
اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى نفع
الناس واذ فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم
ومصلحتهم قال ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس
للناس تاتون بهم في السلاسل وتدخلونهم في الاسلام
وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله
بالقتال فهم يقاتلون الكفر فيدخلونهم في الاسلام فهم
خير امة للناس انتهى ابو السعود وتؤمنون بالله اي ايمانا
متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب
وجزاء وانما اخره للذي عن الامر بالمعروف والنهي مع تقدمه
عليهما وجودا ورتبة لان دلالته على خيريتهم للناس اظهر
من دلالته عليهما وليقترن بقوله ولو امن اهل الكتاب لكان
خيرا لهم اي لو امنوا كما امنتم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من

Copyright King Saud University

الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم
وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوا على الايمان
من ايتاء الاجر مرتين انتهى ابو السعود فهو محيطة بهم من جميع
جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي
المسلمين والنصارى ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة
والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم انتهى ابو السعود
اي ليس جميع اهل الكتاب مشاركين في الاتصاف بما ذكر من
القبايح والابتلا بما يترتب عليها من العقوبات انتهى ابو السعود
وقيل مستانفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون
اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة
من الخضوع لله كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما المراد بالسجود هو الخضوع انتهى ابو السعود
قال ابن عباس هم بني قريظة والنضير فان معاندتهم
كانت لاجل المال وقيل هم مشركو قريش فان ابا جهل كان كثير
الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا
على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا
بالاموال والاولاد وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين فرد الله تعالى عليهم فقال لن تغني عنهم
انتهى ابو السعود مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا

بيان

بيان لكيفية عدم اغنا اموالهم التي كانوا يعولون عليها في
جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة
وما موصولة اسمية حذف عائدها اي حال ما ينفقه الكفرة
قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصة العجيبة
التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر اي برد شديد
فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة
كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا خبرا
والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية
من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر
فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه
وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في قوله تعالى
كمثل الذي استوقد نارا انتهى ابو السعود قال ابن عباس
كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من الصداقة
والقرابة والحلف فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مجاهد نزلت
في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك
يؤيده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ وهي صفة المنافقين واياما كان فالحكم عام

Copyright King Saud University

للكفرة كافة انتهى ابو السعود يقال الا في الامر اد قصر فيه ثم
استعمل معدى الى مفعولين في قولهم الدلة نصحا ولا الوه جهدا
على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد اي لا يقصرون في
الفساد انتهى ابو السعود بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا
ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة
وذكر المس مع الحسنة والاصابة بالسيئة اما للايذان بان
مدار مساتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم
تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة
انتهى ابو السعود روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعى عبد الله
بن ابي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا
تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا
ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة ورجعوا خائبين
قال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون
انا قد جبنا عنهم فقال عليه السلام اني قد رايت مناما بقرة
تذبح حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما

فاولته

فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع
حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة
فدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر
واكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا الى
اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري رضي الله عنه
يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخل
الجنة بقول اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف
فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما
راوا ذلك ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله
ما رايت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها
حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح
بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث
من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال
فكانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر
وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره
الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا
عنا بالنبل لا ياتون من ورائنا ولا تبرحوا من مكانكم
فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم انتهى اي تجبنا وتضعفا
والطائفتان بنو اسلمة من الخزرج وبنو حارثة من ه

Copyright © King Saud University

من الاوس وذلك ان رسول الله عليه وسلم خرج الى
احد في الغزو رجل وقيل ستماية وخمسين وكان المشركون
ثلاثة الاف رجل فلما بلغوا الشرط انخذل عبد الله بن ابي
بثلث الناس ورجع في ثلاثماية وقال علام نقتل انفسنا
واولادنا فتبعه ابو جابر السلمي وقال انشدكم الله في
نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم
وهمت الطايفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي فعصمهم
الله فثبتهم ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد
فذكر الله عليهم عظيم نعمته عليهم فقيل اذ همت والظاهر
انها ما كانت الا همة وحديث نفس فلما اخلو النفس
عنه عند الشدايد انتهى ابو السعود ومعنى الاية ليس من
الامر مصالح العبادي شي الاما اوحي اليك وان الله
تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم
فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل
ليس لك مسئلة هلاكهم والدعا عليهم لان الله تعالى
اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه
ليس لك من امر خلقي شي الا ما وافق امري انما انت عبد
مبعوث
لانذارهم

لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او يتوب
عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس
لك من الامر شي كلام معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه والتقدير ليقطع في ذلك كله قال بعض العلماء
والحكمة في منفعة صلى الله عليه وسلم من الدعا عليهم
ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه
سيسلم فيتوب عليه او سيولد منه ولد مسلما برا
تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعا عليهم
لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعى عليهم بالهلاك
هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه بقاهم
ليتوب بعضهم ويستخرج من بعضهم بالقتل والموت وهو
قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون المراد بعذابهم في الدنيا
وهو القتل والاسر وفي الاخرة وهو عذاب النار انتهى خازن
قال ابن عباس هذا تهديد للمومنين ان يستحلوا ما حرم
الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم
هذه الاية اخوف اية في القران حيث اوعد الله المومنين
بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويتجنبوا محارمه
وقال الواحدي في هذه الاية تقوية لرجاء المومنين رحمة الله
تعالى لانه قال اعدت للكافرين دون المومنين انتهى خازن

اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة
وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع
الواجبات وترك المنهيات فيدخل فيها ما مر من الامور
المامور بها والمنهي دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة
لما ان التخلية مقدمة على التحلية تتعلق بمحذوف وقع
صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم
ابو السعود اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض
بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريق التمثيل
فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن
عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى
لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصيصها بالصفة
اي عينت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الان وانها
خارجة عن هذا العالم وهذا تصريح في نفي وجوب العذاب
والتقييد بالمغفرة وعدمه كالمنافي له انتهى ابو السعود
فصل في فضل الاستغفار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الله قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفعني الله بمنه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه

استحلفه

استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني ابو بكر
وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد مؤمن او قال ما من رجل يذنب ذنبا
فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الا غفر له ثم قرا هذه
الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
ذكروا الله الى اخر الاية اخرجه ابو داود والترمذي وقال
هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة
فرفعوه ورواه مسعر وسفيين عن عثمان بن المغيرة
فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسما الا هذا الحديث
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم
الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم
فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب اخرجه ابو داود م
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم
يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ق عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال
اذا اذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال الله
تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا علم ان له ربا يغفر
الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي رب

اغفر ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان
ان له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال
اي رب اغفر ذنبي فقال تبارك وتعالى ان عبدي اذنب ذنبا
فعلم ان له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب وفي رواية اعمل
ما شئت فقد غفرت لك قال عبد الاعلى لا ادري اقال في
الثالثة او الرابعة اعمل ما شئت عن انس قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم ما دعوتني
ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم
لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك
ولا ابالي يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم
اتيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء هو السحاب قراب
الارض ملاؤها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف اخرجه
ابو داود والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط
البخاري ومسلم عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره او قال عسى الله ان يغفره
الا من مات مشركا او مؤمن قتل مؤمنا متعمدا اخرجه ابو داود
انتهى حاوي

يعني تنقلبون

انتقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون
الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع
وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين
ان موت محمد وقتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه
بدليل موت سائر الانبياء قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين
انبيائهم بعد موتهم ومن ينقلب على عقبيه يعني فيرتد عن
دينه ويرجع الى الكفر فلن يضر الله شيئا يعني بارتداده لان
الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غني عن العالمين وانما
يضر المرتد والكافر نفسه انتهى حاوي وذلك ان الله تعالى يامر
ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذنه وامره والمراد
من الاية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء
العدو باعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع
المقدور وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك حاوي
واعلم ان هذه الاية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة
في جميع الاعمال وذلك الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد
فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من
اراد بعمله الدار الاخرة فجزاء ايضا فيها ه حاوي وما ضعفوا
لعدوهم ولكن صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم في
وهذا تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف

Copyright © King Saud University

بتقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة
المشركين واستكثارهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا
بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والمقصود
من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء واتباعهم لتقتدي
هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجهاد ه حاوي بين الله تعالى انهم كانوا صعد
مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة
والنصر من الله تعالى والمقصود اي يقتدي بهم في هذه الطريقة
الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل
ما فعلوا او قلتم مثل ما قالوا ه حاوي يعني الذين يفعلون
مثل ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده ان
يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهو
انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم محسنين
وذلك ان ابا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم احد متوجهين
الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا
قتلناهم حتى لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم
فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب
يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول
يكون الموعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا

بيوم احد

بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله
صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر انتهى حاوي
وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراحة والغم
الثاني هو ما سمعوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل
فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجزاهم الله بذلك القتل والهزيمة
وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين
عليهم والغم الثاني حين اشرف ابو سفيان عليهم وذلك ان
ابا سفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون
اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم
ذلك انتهى حاوي وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم
اولا ثم عفى عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان
وفي الاية دليل على ان صاحب مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله
وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفى عنهم بعد ذلك انتهى حاوي
وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اشتد علينا الخوف ارسل الله علينا النوم واني لاسمع قول
معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول
لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا فقوله تعالى يغشى

Copyright © King Saud University

انتهى

طائفة منكم يعني المؤمنين حاوي يقولون لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا ها هنا وذلك ان المنافقين قال بعض
لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم
نقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا
ها هنا وعن بن عباس في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق
يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا
ها هنا قيل ان الذي قال ليس لنا من الامر شيء هو عبد الله
بن ابي سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شيء هو معتب
بن قشير انتهى حاوي يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل
يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو
قوله تعالى حكاية عنهم يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا
هنا انتهى حاوي اي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة
كما علمه غيبا لان المجاوزة انما يقع على ما علمه مشاهدة
وقيل معناه يعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل ليبتلي
اولياء الله ما في صدوركم فاضاف الابتلا اليه تفخيما
لشان اوليائه المؤمنين انتهى حاوي اي انهزموا وهربوا
يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة
ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وطلحة بن عبيد الله

وعبد الرحمن

عبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم
اجمعين انتهى حاوي هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحي والمميت
هو الله فقط يحي المسافرين والمغازي ويميت المقيم والقاعد
عن الغزو وكما يشاء فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل يحمي
احدا من الموت انتهى حاوي يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون
من خير وشر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين
لان مقصودهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله هو المحي والمميت لمن قدر
له البقا لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان
اقام ببيته عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون
لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلان يموت
في الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت
في بيته فلا فائدة واليه الاشارة بقوله ولئن قتلتم
في سبيل الله او متم لمغفرة الى اخره انتهى حاوي وقد قسم
بعض مقامات العبودية ثلاثة اقسام من عبد الله
خوفا من ناره امنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله
تعالى لمغفرة من الله ورحمة ومن عبد الله شوقا الى جنته
اناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان رحمة

Copyright © King Saud University

من اسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم ٥
لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي تجلى له الحق سبحانه
وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون
انتهى حاوي فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة من الله ٥
وما صلة لنت لهم اي سهلت لهم اخلاقك وكثرت احتمالك
ولم تسرع اليهم تضيق على ما كان يوم احد منهم ومعنى فبما ٥
رحمة من الله وهو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
للرفق والتلطف بهم وان الله القى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم
داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم انتهى حاوي
واختلف العلماء في المعنى الذي من اجله امر الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رايه
ونزول الوحي اليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا
واكرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما
ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في امر الحروب ونحوه
من امور الدنيا ليستظهر برايهم فيما تشاورهم فيه وقيل
امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا
لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم
فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور
شق عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى ان ما به الى
مشاورتهم

الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده
من امته انتهى حاوي عن عمران بن حصين قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير
حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون
ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة
بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال
انت منهم فقام اخر فقال يا نبي الله ادع الله لي ان يجعلني
منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله
حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا اخرجه الترمذي انتهى حاوي قال مقاتل والكلبي نزلت
في غنائم احد حين ترك الرماة المركز للغنيمة خشي ان يقول
النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا تقسم كما قسم
يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
الم اعهد اليكم ان تتركوا المركز حتى ياتيكم امري قالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل
فانزل الله هذه الاية انتهى حاوي والمعنى افمن اتبع
رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم
درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله

Copyright © King Saud University

هم درجات عائد الى قوله افمن اتبع رضوان الله فقط
لان غالب العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات
لاهل النار ولان باء وصف من باء بسخط من الله ان مأواه
جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله
وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير من العمل بمعاصيه انتهى جاوي
وقيل انهزم المشركون يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد فلما
عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل الانهزام المشركين
مرتين وانهزم المسلمون مرة واحدة انتهى جاوي يعني
فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما
حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولا يقع التسلية
الا اذا علموا ان ذلك كان بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون
بما قضى الله عليهم انتهى جاوي نزلت في عبد الله بن ابي المنافق
واصحابه وفي المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم
الذين استشهدوا باحد فيكون اخوانهم في النسب لا في الدين
والقول الثاني ان المراد باخوانهم المنافقين فعلى القول الاول
يكون معنى الاية الذين قالوا لاخوانهم اي عن اخوانهم الذين
قتلوا باحد لو اطاعونا ما قتلوا لانهم بعدما قتلوا لا يخاطبون
وعلى القول الثاني يكون معنى الاية الذين قالوا وهم عبد الله
بن ابي واصحابه لاخوانهم يعني من المنافقين انتهى جاوي
قيل نزلت

وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين
وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انها نزلت في شهداء
احد ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه انه لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في
جوف طير خضر ترد انهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي الى
قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم
ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا احياء في الجنة
لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى انا
ابلغهم عنكم وانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون انتهى جاوي فصل في فضل الجهاد
ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغدوة
في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ق عن سهل بن
سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رباط يوم في سبيل الله خير
من الدنيا وما فيها وموضع سوط احدكم في الجنة خير من الدنيا
وما عليها عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمي له
عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر اخرجه ابو داود
والترمذي عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قاتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان

له اجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله او نكب نكبة فانه
يجي يوم القيمة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران والريح ريح
المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهداء
اخرجه ابو داود والنسائي مفرقا في موضعين ه حاوي
روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحا
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ه
فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب
اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان ولا يخرجن معنا الا من
حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة
حتى بلغ حمراء الاسد وهي من المدينة على ثلاث ليال وكان
باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر
والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ه ابوا
خ عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى
قوله وقوله حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي
في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم ه حاوي يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين
باوليائه وقيل معناه يعظم اولياءه في صدوركم لتخافوهم
وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين
واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ه
ويوثرون امره واولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان
اذا خوفهم

اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا امرهم انتهى حاوي قيل هم كفار
قريش وقيل هم المنافقون ورؤسا اليهود وقيل هم قوم ه
ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في
الكفر بجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم
وقيل بمسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى يسارعون في نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك
منصور عليهم انهم لن يضروا الله شيئا يعني بمسارعتهم
في الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله
شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة يعني لا يجعل لهم نصيبا
في ثواب الاخرة فلذا خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الاية دليل
على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة
انتهى حاوي وروى ابن جرير الطبري عن الاسود قال قال عبد الله
ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرا ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما
وقرى نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار قال ابن
الانباري قال جماعة اهل العلم انزل الله هذه الاية في
قوم يعاندون الحق سبق في علمه انهم لا يؤمنون فقال
انما نملي لهم ليزدادوا اثما بعنادهم الحق وخلافهم الرسول
صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايته

Copyright © King Saud University

الله يملي على العاصي فان ذلك استدراجا من الله لخلقه
ثم تلا هذه الاية وقال الزجاج وهؤلاء قوم اعلم الله
نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون ابدا وان نفاقهم
يزيدهم كفرا وهذه الاية حجة ظاهرة على القدرية حيث
اخبر الله تعالى انما يطيل اعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا
كفرا واثما وغباه حاوي اختلف العلماء في سبب نزول هذه
الاية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك
فهو في النار والله عليه غضبان وان من اطاعك واتبعك
على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن
يؤمن بك فانزل الله هذه الاية وقال السدي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عرضت علي امتي في صورها في الطين كما
عرضت على ادم واعلمت من يؤمن ومن يكفر فبلغ ذلك
المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن
به ومن يكفر به ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله
واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا في علمي لا تسألوني
عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا انباتكم به فقام
عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي يا رسول الله قال
حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبالقران

دينا وبالقران اماما وبك نبيا فاعف عنا عفى الله عنك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله
هذه الاية انتهى حاوي قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الاية
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله
فقير يستقرض منا ونحن اغنيا وذكر الحسن ان القائل هذه
المقالة هو حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل
ومحمد بن اسحاق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق
الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة
وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا فدخل ابو بكر ذات
يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص
بن عازورا وكان من علمائهم ومعه حبر اخر يقال له اشيع
فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عنده
تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فامن وصدق واقرض
الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب
فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا
وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا
فان الله فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر وضرب وجه
فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي

بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال
يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم
اغنيا فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله
تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله
قول الى اخره وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من
اليهود لكنهم رضوا بمقالة هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلوا
ان يكونوا قالوا هذه المقالة اعتقادا لذلك القول او قالوا استهزا
وايهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل
وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله انتهى حاوي ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقروا
ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين رواه
الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام
لا يقطعها اقروا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط
في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقروا ان شئتم فمن زحزح
عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع

الغرور

الغرور انتهى حاوي يعني بالمصائب والامراض والجرح
والقتل وفقد الاقارب والعشاير وخوطب بهذه الاية
المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون
من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها
وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم
ممن تصيبه الشدة فينكرها انتهى حاوي والجملة تعليل الجواب
الشرط واقع موقعه كانه وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فان
تفعلوا فقد احسنتم او فقد اطبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون
ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقويهم فالجملة حينئذ
جواب الشرط في ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية
مع اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى نهر ابو اي واذكر يا محمد
وقت اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى
والمراد منهم العلما خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب
العلما والاحبار من اليهود خاصة واخذ الميثاق هو التوكيد
والالزام لما بيان ما اتوه من الكتاب وهو قوله لتبيننه
للناس يعني لتبينن ما في الكتاب وليظهرنه للناس حتى
يعلمونه وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل
ان يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه يعني ولا يخفون

ذلك على الناس فنبذوه يعني الكتاب وقيل الميثاق ورا
ظهورهم اي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا
به ثمنا قليلا يعني المآكل والرشى التي كان ياخذونها من
عوامهم وسفلتهم بئس ما يشترون ذمهم الله تعالى على
فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الاية وان كان مخصوصا
بعلما اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان
يدخل فيه علما هذه الامة الاسلامية لانهم اهل الكتاب
وهو القران وهو اشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق
اخذ الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيا فليعلمه واياكم وكتمان
العلم فان كتمانه هلكة وقال ايضا مثل عالم لا يقال به
كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا ياكل
ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع
هذا علم علما فبذله وهذا سمع خبرا ووعاه فقبله عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيل علما
يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي انتهى خازن
يعني ولا يحسبن الفارحين والمعنى لا يحسبن الذين
يفرحون فرحهم نجيا لهم من العذاب نزلت هذه الاية
في المنافقين وعن سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه فرحوا
بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا وحلفوا له واحبوا
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا يحسبن الذين الخ
انتهى خازن عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا
لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع
مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما
مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة
اخرجه ابو داود والترة النقص انتهى خازن قال فخر
الرازي في قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
لا يقتضي نفي الاخزا مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل الاخزا حال
ما يكونوا مع النبي وهذا نفي لا يناقضه اثبات الاخزا في الجملة
لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت اخر والله اعلم
انتهى خازن قال ابن عباس واكثر المفسرين هو محمد صلى الله
عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي
المنادي هو القران قال اذ ليس كل احد لقي النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright King Saud University

ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القرآن ويفهمه فاذا
اوفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن
مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلائل على الوحدانية
فصار كالداعي اليها والسلام في الايمان بمعنى الى يعني ينادي
للايمان ان آمنوا بربكم انتهى حاوي والمقصود من قوله
سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعا ممن
اراد ان يدعوا فليقدم الثنا على الله اولا ويدل عليه قوله
سبحانك ثم بعد ذلك الثنا ياتي بالدعا ويدل عليه قوله فقنا
عذاب النار انتهى حاوي وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية
وكذلك التكفير وهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان
الالحاح في الدعا مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم
من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالمغفران
ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير بالطاعات من الذنوب
انتهى حاوي فان قلت كيف سالوا الله انجاز ما وعد والله
لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق
فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب
اللجا الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية
كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم
مغفور وهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى
والتضرع

والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو سيما العبودية نزلت
في المشركين وذلك انهم كانوا في رخا ولين من العيش يتجرون
ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعدا الله فيما نرى من
الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد غيره
من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يغتر قط والمعنى لا يغرنك
ايها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم
في الارض للتجارات وطلب الارباح والمكاسب جواب
قسم محذوف اي والله لا كفرن والجملة القسمية خبر
للمبتدا الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما ساله
الداعون بخصوصه بعدما وعد ذلك عموما انتهى ابو
اي ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور
بكل واحد مما ذكر في خبر الصلة المذكوره او باثنين منها
او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض
جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية
خبر للمبتدا الذي هو الموصول وهذا صريح بوعد ما ساله
الداعون بخصوصه بعدما وعد ذلك عموما الموصولا
من البين كما هو راي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم بوعد
على اتصاف كل فرد بكل كان قد اضيع عمل من اتصف بالبعض

Copyright © King Saud University

عن عمر بن الخطاب قال جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو في مشربة واني لعلى حصير ما بينه وبينه شي
وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وعند رجليه
قرظ مصبوغ وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير
في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى
وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون
لهم الدنيا ولنا الاخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية
والمشارب العلالي انتهى حاوي عن سهل بن سعد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط في سبيل الله خير
من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم في الجنة خير من
الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله
او الغدوة خير من الدنيا وما عليها م عن سلمان الخير
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم
او ليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه
عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتان وقيل
المراد بالمرابطة انتظار الصلوة بعد الصلوة قال ابو سلمة
عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط
فيه ولكنه انتظار الصلوة خلف الصلوة ويدل على صحة هذا
التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الا ادلكم

الا ادلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به
الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء
على المكاره وكثرة الخطايا الى المساجد وانتظار
الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط
اخرجه مسلم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال محمد بن
كعب القرظي يقول الله عز وجل اتقوا الله فيما بيني
وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل
المعاني في معنى هذه الاية يا ايها الذين امنوا اصبروا
على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة
اعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل
اصبروا على النعما وصابروا على البأسا والضراء ورابطوا في
دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون
في دار البقا وقيل اصبروا على دار الدنيا ومحنها ورجاء
السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة
ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم
الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله اعلم
بمراده واسراره كما انتهى حاوي خطاب للكافة فهو
كقوله يا بني ادم اتقوا ربكم احذروا ربكم ان تخالفوه
فيما امركم به او نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال فقال

Copyright © King Saud University

تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من اصل واحد
وهو ادم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ النفس
وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم ° ° ° °
ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذا الكمال
انما قال ولدته اخرى لتانيث الخليفة ثم خازن وذلك
ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام القى عليه النوم ثم خلق
ثم خلق حوى من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما
استيقظ راها جالسة عند راسه فقال ما انت قالت امرة
خلقت قال لما خلقت قالت خلقت لتسكن الى مال اليها والفها لانها خلقت
منه واختلفوا في اي وقت خلقت حوى فقال كعب الاحبار
ووهب وابن اسحاق خلقت قبل دخول الجنة قال ابن مسعود
وابن عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها وبث منهما
يعني نشر واظهر من ادم وحوى رجالا كثيرا ونساء انما وصف
الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه
على ان اللايق بحال الرجال الظهور والانتشار وحال النساء
الاختفا والخمول انتهى حاوي ق عن عايشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش فتقول من وصلني
وصله الله ومن قطعني قطعه الله ق عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سره ان يبسط عليه رزقه وينسا في اثره فليصل

رحمه قوله

رحمه قوله ينسا في اثره اي يوخر في اجله خازن ق عن جبير
بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة
قاطع قال سفين في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن
قال من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه
ثم خازن قيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شي من امر خلقه
فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا
كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى عن عروة انه سال عايشة
عن قوله عز وجل وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النسا الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت ابن
اختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها
ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحها الا ان يقسطوا
في اكمال الصداق وامروا بالنكاح من سواهن قالت عايشة °
فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك °
فانزل الله عز وجل ويستفتونك في النسا الى وترغبون ان
تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات
جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق
واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا
غيرها من النسا قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان
ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها او يعطوها حقها الاوفى

Copyright © King Saud University

من الصداق هـ خازن اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم
فقيل هم النساء نهى الله الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم سواء كن
ازواجا او بناتا او امهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول
لا تعطي ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد
نهي الله فيفسده عليك وقيل هو امرأتك وابنك السفيه
قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله
لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكون هم الذين
يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهما امسك مالك
واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم
انتهى خازن يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته وذلك لما نهى
عن ايتاء المال للسفيه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق
من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومن الرزق
من العباد وهو الاجر الموظف المعلوم لوقت محدود
وقولوا لهم قولا معروفا يعني قولا جميلا يؤثر في القلب
ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر
والصلة قال عطا يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت فلك
حظا وقيل معناه الدعاء اي ادعوا لهم قال زيد ان لم يكن ممن
يجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل
معناه قولوا لهم قولا تطيب به انفسهم وهو ان تقول الولي لليتيم

السفيه

السفيه مالك عندي وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت
اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم
وكسوتكم اياهم امر دينهم وما يصلحهم وما يتعلق بالعلم
والعمل وابتلوا اليتامى الاية نزلت في ثابت بن رفاعة و
في عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو
صغير فجاء عمه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخي
يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله
فانزل الله هذه الاية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم
في عقولهم واديانهم وحقوق اموالهم انتهى خازن وظاهر
الاية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز
لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة
ينتظر الى خمسة وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشر
فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير
احوال الانسان كما قال عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع
دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس انتهى ابو السعود
نزلت هذه الاية في اوس ثابت الانصاري وترك امرأة
يقال لها ام كحة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما
ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا
ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا من ماله وذلك انهم

Copyright © King Saud University

كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من
الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطي الا
من قاتل وحاز الغنيمة وحمل حوزة فجاءت ام لحة امراة
اوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مات
اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امراته وليس عندي
ما انفق عليهن وترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد
وعرفجة ولم يعطياني ولا بناتي منه شيئا وهي في حجري
ولا يطعمني ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا
ولا يحملن كلا وينكين تحذرا فانزل الله هذه الاية وبين
انه لارث ليس مختصا بالرجال بل امر مشترك فيه الرجال
والنسا فقال تعالى للرجال يعني الذكور من اولاد الميت
وعصبته نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون
يعني من الميراث انتهى خازن يعني اولادا صغارا خافوا
عليهم يعني الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون
عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك
فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا قدم
لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا يزالون به حتى
ياتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يامروه
بالنظر

بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى
كما انكم تكرهون بقاء اولادكم في الضعف والجوع من غير مال
فاخشوا الله ولا تحملوا المريض ان يحرم اولاده الضعفا
من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل
لنفسك فلا ترضه مثل هذا الفعل لنفسه فلا ترضه لاخيك
المسلم وكما انه لو كان هذا القائل هو الموصي لسره ان يحثه
من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون
الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت
ويريد ان يوصي بشي فيقول له من حضره من الرجال اتق الله
وامسك مالك لولدك فيمنعونه من الوصية لاقاربه
المحتاجين وقيل يحتمل ان تكون الاية خطابا لمن قرب
اجله ويكون نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقرا
ضعفا ضايعين بعد موته انتهى خازن قال السدي يبعث
من اكل مال اليتيم ظلما يوم القيمة ولهب النار يخرج من فيه ومن
مسامعه واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من راه باكل مال اليتيم
وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله
عليه وسلم عن ليلة اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر
كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في
افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من

Copyright © King Saud University

هؤلاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون
في بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع
في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما
خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات
وجميع التصرفات الردية المتلفة للمال لان ضرر يحصل بكل
ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود
وانما ذكر البطون للتاكيد كقولك رايت بعيني وسمعت
باذني انتهى خازن فلما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على
الناس واحترزوا عن مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية
فشق ذلك على الناس فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم
فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم
ناسخ لهذه الاية وهذا غلط لان هذه الاية واردة
في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا
لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الاثام وقوله ان
وان تخالطوهم فاخوانكم فانها واردة على سبيل
الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان من اعظم القرب
انتهى خازن البيان بالعكس ايضا الا ان لحظها احضروا
استحقاقه اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة
وذا الغرض هذا اذا لم يكن معها احد الزوجين اما اذا كان
معهما

معهما ذلك فللام ثلث ما يبقى بعد فرض احدهما الا ثلث
الكل كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع
كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما
عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبته وذلك خلاف
وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد من له اخوة من فوق الثلث
سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا
او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين
بالاب فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه
فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند
ابن عباس لهم على كل حال احوان هنا هو الحجب عنده لا يحجبونها
دون الثلث **فصل** في الحث على تعليم الفرايض اعلم ان علم
الفرايض من اعظم العلوم قدرا واشرفها فخرا وافضلها
ذكرا وهو ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة
اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في
فروعها واصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى
قسمتها وانزلها في كتابه مبينة في محل قدسه وقد حث
رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض والقران
وعلموا الناس فاني مقبوض اخرجه الترمذي وقال فيها

Copyright © King Saud University

اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ
مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان
في الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا
الفرائض وعلموها فانها نصف العلم وهو اول علم ينسى
وهو اول شيء ينزع من امتي اخرجه ابن ماجه والدارقطني
انتهى خازن والله عليم يعني انه تعالى عليم بمصالح عباده ومضارهم
وبما يفرض عليهم بالاحكام وقيل عليم بمن يجوز وصيته ومن
لا يجوز حليم يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة
ممن جار في وصيته وقال سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح
والاناءة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل
والحليم هو الصفوح مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة
تلك حدود الله يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه
السورة في مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما
سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة
للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس
يريد ما حدود الله في فرائضه انتهى خازن وان كانت
اي المولودة واحدة اي مرة واحدة ليس معها احد ولا اخ
وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف

مما ترك

مما ترك وقرئ واحدة على كانت التامة واختلف في البنتين فقال
ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما
وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لان الله تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل
حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما
الثلثان ثم توهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد فرد بقوله تعالى
فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة
لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق
فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين
امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث
قال فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي لابوي الميت غير
النظم الكريم بعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد
منهما بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدا الذي هو قوله تعالى
السدس وبين الخبر الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا
على استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد
الاجمال قوله تعالى فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه
ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وان لم يذكر
لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه
او عين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب
الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول

Copyright © King Saud University

فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الاية هل
فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من اهل
الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك
وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الاية من لم يرض بقسمة
الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث
ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك عن رد حكم الله و لم
يرض بقسمته كفر بذلك فاذا كفر كان حكمه حكم الكفار في
الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته وان مات وهو مصر على ذلك
كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الاية للمعتزلة والله اعلم
انتهى خازن واللاتي جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة
انتهى خازن وهذا خطاب للاولياء اذا طلبوا اربعة من الشهود
يشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام اي استمعوا
شهادة اربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة
والذكور قال عمر الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة
سترا يستركم به دون فواحشكم انتهى خازن انما التوبة
على الله يعني التوبة يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى
عند وقيل على بمعنى من اي من الله وقال اهل المعاني ان
الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم
على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيئا انجز ميعاده وصدق

لمعنى

لمعنى قوله ان اوجب على نفسه من ايجاب لهم عليه لانه تعالى
يفعل ما يريد انتهى خازن معنى الذنوب والمعاصي سميت سوءا
لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها بجهالة قال قتادة اجمع اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمدا كان
او غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء
فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله جاهل لانه لم
يستعمل ما معه من العلم من الثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك
سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتي الانسان
بالذنب مع العلم بانه ذنب لكن مجهول عقوبته وقيل معنى
الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية انتهى خازن
وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النساء وهذه للرجال لان الله حكم
في الاية الاولى بالحبس في البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان
المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في البيت
انقطعت مادة المعصية واما الرجال فلا يمكن حبسه في
البيت لانه يحتاج الى الخروج في صلاح معاشه واكتساب
قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول
والفعل فاذوهما يعني عيروهما بالقول باللسان وهو
ان يقال له اما خفت الله اما استحيت من الله حيا وقال

وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان
واليد يؤذي بالتعيير ويضرب بالنعال انتهى خازن قال ابن عباس يريد
المشرك وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان
الثوري هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار حتى
اذا حضر احدهم الموت يعني وقع في النزع وعاين ملائكة الموت وهو
حالة السوق حين يساق الروح للخروج من جسده قال اني تبت
الان قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع
من قبولها مشاهدة الاهوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال
وكذلك لا يقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى ادركه
الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين
الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك
ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
انتهى خازن نزلت في اهل المدينة وذلك انهم كانوا في
الجاهلية وفي الاسلام اذا مات الرجل وخلف امراة
جاء ابنه من غيرها او قريبه من ذوي العصبة فالقى
ثوبه على تلك المراة او على خبائها فصار احق بها من نفسها
ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق
الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ
هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج

ايضارها

يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت
هي فيرثها فان ذهبت المراة الى اهلها قبل ان يلقي عليها ولي
زوجها ثوبه كانت احق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي ابو قيس
بن الاسلت الانصاري رحمه فقام ابن له من غيرها يقال له
حصين وقيل اسمه قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها
ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها لتفتدي منه فاتت كبيشة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس
توفي وورث نكاحي ابنه فهو لا ينفق علي ولا هو يدخل بي
ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى ياتي امر الله
فيك فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم
ان ترثوا النساء كرها يعني ميراث نكاح النسا وقيل معناه
ان ترثوا اموالهن كرها يعني وهن كارهات قال ابن عباس
هذا في الرجل تكون له امراة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه
مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر
فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امراته ثم يراجعها
ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب
لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المراة انتهى خازن
قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله في ولدها
خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الاية

Copyright © King Saud University

ندب امساك المراة مع الكراهة لها الاية اذا كره صحبتها
ويتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليها واحسن
هو صحبتها استحق الثنا الجميل في الدنيا والثواب الجزيل
في العقبى وقيل في معنى الاية انكم ان كرهتموهن ورغبتم
في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا
كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتزوج
غيره خيرا منه انتهى خازن وان تجمعوا بين الاختين يعني
لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سوا كانت
الاخوة بينهما نسبا او رضاع والجمع بين الاختين يقع
على ثلاثة اوجه احدهما ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا
العقد فاسد لا يصح فلو تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم
ببطلان الثانية فلو طلق بائنا جاز له نكاح اختها الوجه
الثاني من صور الجمع من الاختين وهو ان يجمع بينهما
بملك اليمين فلا يجوز ان يجمع بينهما في الوطي فاذا
وطي احدهما حرمت الثانية حتى يحرم الاولى ببيع او هبة
او عتق او كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين
الاختين وهو ان يتزوج احدهما ويشتري الاخرى فيملكها
بملك اليمين فذهب بعض العلما الى انه لا يجوز الجمع بينهما
لان ظاهر الاية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم
الجمع بينهما

الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه
والقول الاول اصح واولى لما روي قبيصة بن ذويب
رجلا سال عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع
بينهما فقال عثمان احلتهما اية وحرمتهما اية فاما انا
لا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله فقال اما انا فلو كان
لي من الامر شيء لم اجد احدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال
ابن شهاب اراه علي بن ابي طالب قال مالك انه بلغه عن ابن
الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك في الموطا انتهى خازن
قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الاية فيها في نساء كن
هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن
ببعض المسلمين ثم تقدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله
المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال الا ما ملكت ايمانكم
يعني السبايا اسرن ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن
وطيهن بعد الاستبراء لان السبي يرتفع به النكاح بينها
وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من
المشركين فكرهوا غشيانها فانزل الله هذه الاية انتهى خازن
اختلف العلما في اقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير

Copyright © King Saud University

لا قله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون
صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي ٥
واحمد واسحاق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو
قول مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ٥
دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق
لا يتقدر ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت
امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت
نفسي لك فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها
وصوبه ثم طاطا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رات المراة
انه لم يقض فيها شيئا جلست انتهى خازن واحل لكم ما وراء
ذلك يعني واحل لكم ما سوى ذلك الذي ذكر من المحرمات
وظاهر هذه الاية يقتضي حل كل ما سوى المذكور من الاصناف
المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف اخرى
سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها
وبين المراة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل ٥
لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح ٥
المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان
من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة ولقادر
على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بامة ومن ذلك ان من

كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة
ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتابيد
بهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الاية فعلى
هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ
العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عام مخصص
انتهى خازن اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد
ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح
لان اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع
به فهو متاع فاتوهن اجورهن يعني مهورهن وانما سمي
المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس ببدل الاعيان كما سمي بدل
منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الاية
هو نكاح المتعة وهو ان ينكح المراة الى مدة معلومة
بشيء معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق
ويستبري رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء
الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة وحرمها
عن سبرة بن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع
من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده
منهن شيء فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا

بيان حديث

والى هذا ذهب جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم
ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة واختلفوا في
ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث
سبرة الجهني انتهى خازن ان تبتغوا باموالكم فيه اضمار
تقديره واحل لكم ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم التي تنكحو
بصداق او تشتروا بثمن وفي الاية دليل على ان الصداق
لا يتقدر بشي فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى
ان تبتغوا باموالكم انتهى خازن اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله
على نكاح المتعة قال اراد انهما اذا عقدا الى اجل على مال
فاذا تم الاجل فان شاءت المراة زادت في الاجل وزاد
الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان
ثم نسخ وحرم ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح
قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من [illegible]
الابراض المهر والافتداء والاعتياض قال الزجاج معناه
لا جناح عليكم ان تهب المراة للزوج مهرها وان يهب الرجل
للمراة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه انتهى خازن
يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة
والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك
وانما خص الاكل بالذكر ونهي عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات
الواقعة

الواقعة على الوجه الباطل لان معظم المقصود من
المال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل ومال
غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما
اكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في اكل المال بالباطل
جميع العقود الفاسدة انتهى خازن هذا الاستثناء منقطع
لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل
فكان لا ههنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعني
بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من
المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار
ما لم يتفرقا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا
وكانا جميعا او يخير احدهما الاخر فتبايعا على ذلك فقد وجب
وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع
فقد وجب البيع اخرجاه في الصحيحين انتهى خازن اي
لا تقتلوا بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين
واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في حجة الوداع الا ترجعوا بعدي كفارا يضرب
بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهي للانسان عن قتل
نفسه ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها
خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه
في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن
قتل نفسه بحديدة يتوجى بها في بطنه في نار جهنم خالدا
فيها ابدا انتهى خازن قال عطا يريد انه لم يغب عنه علم ما
خلق ويرا فعلى الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه
بجميع الاشيا وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيمة
بكل ما علموه وعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين
ووعيد للعصاة المخالفين انتهى خازن الرجال قوامون
نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقبا وفي امراته حبيبة
بنت زيد بن ابي زهير ويقال امراته بنت محمد بن مسلمة
وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشزت كريمتي فلطمها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها
لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل
اتاني فانزل الله هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا
امرا واراد الله امرا والذي اراد خير ورفع القصاص انتهى خازن
يعني ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة
العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات
وبالامامة

وبالامامة لان منهم الانبيا والخلفا والائمة ومنها
ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة غير زوج
واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث وبيده الطلاق
والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على
فضل الرجال على النساء انتهى خازن عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
لامرت المراة ان تسجد لزوجها اخرجه الترمذي انتهى
خازن واختلفوا العلما فقال بعضهم حكم الاية مشروع
على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع لان
مجرى الاية يدل على الترتيب قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يعظها بلسانه فان تنتهي فلا سبيل له عليها فان
ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب
بعث الحكم وقال اخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز
اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وقيل ان
له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه
احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها
وان يضربها عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسئل الرجل فيما يضرب
امراته اخرجه ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دعى الرجل امراته الى فراشه فابت ان تجي

Copyright © King Saud University

فباتت غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي
رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده
ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان
الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها وفي
رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة
حتى تصبح وفي رواية اخرى حتى ترجع انتهى خازن تقديره واحسنوا
بالوالدين احسانا يعني برا بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين
بعبادته وتوحيده لتأكيد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى
الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى
في تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة ق عن ابي هريرة
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال ثم امك
قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال من قال ثم امك قال
ثم من قال ثم ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم اباك
ثم ادناك فادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم
بر اباك م عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك
والديه عند الكبر او احدهما ولم يدخل الجنة انتهى خازن
ق عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من

رغم انفه ص

يقول من سره ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره يؤخر
له في اجله وعمره انتهى خازن خ عن سهل بن سعد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار
بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد
في سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي
لا يفطر انتهى خازن اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي
قرب جواره منك والجار الجنب هو الذي بعد جواره عنك وقيل
الجار ذي القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليست
بينك وبينه قرابة ق عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت
انه سيورثه وعن عائشة مثله خ عن عائشة قالت قلت يا رسول الله
ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا م عن
ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت
مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي رواية اوصاني خليلي
صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل
بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف ق عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن احدكم والله لا يؤمن
احدكم والله لا يؤمن احدكم قيل من يا رسول الله قال الذي

لا يؤمن جاره بوايقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره
بوايقه البوايق الغوايل والشرور انتهى خازن يعني شهيدا على
هؤلاء الذين سمعوا القران وخوطبوا ق عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي القران فقلت يا رسول الله
اقرا عليك القران وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري
فقرات عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الاية فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الان
قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت
فيهم او قال ما كنت فيهم شك احد رواته انتهى خازن لو تسوى بهم
الارض يعني لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا انهم لم
يبعثوا لانهم كانوا في الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي
يقول الله تعالى للبهائم والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى
بهم الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكونوا ترابا انتهى خازن
قال سعيد بن جبير سال رجل ابن عباس فقال اني اجد في
القران اشيا تختلف علي قال هات ما تختلف عليك قال
منها قوله ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى
والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله تعالى
لاهل الاسلام ذنوبهم فيدخلهم الجنة فيقول المشركون
والله ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم

وتنطق ايديهم

وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا
ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القران لان كلا من
عند الله وقال الحسن انها مواطن موطن لا يتكلمون ولا تسمع
الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله
ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون
على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفي موطن
لا يتساءلون وفي موطن يسئلون الرجعة واخر تلك المواطن
يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون
الله حديثا انتهى خازن سبب نزول هذه الاية ما روي عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما
فدعانا فاكلنا واسقانا خمرا قبل ان تحرم الخمر فاخذت منا
فحضرت الصلوة فقدموني فقرات قل يا ايها الكافرون اعبد
ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح واخرجه
ابو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن
بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلوة فامهم
علي في المغرب فقرا قل يا ايها الكافرون فخلطوا فيها فنزلت

Copyright © King Saud University

الاية لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
انتهى خازن وقيل ان الاية نزلت في وحشي وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه
ورجع الى مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا على الاسلام
الا انا سمعنا بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية
وقد دعونا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا
فلولا هؤلاء الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
قراوهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف الا نعمل عملا
صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فبعث بها اليهم فدخلوا فبعثوا انا نخاف ان لا نكون
من اهل المشية فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال اخبرني كيف قتلت حمزة
فلما اخبره قال غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به
الى ان مات ففي هذه الاية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا
مات من غير توبة فانه في خطر المشية ان شاء عفى
عنه وادخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم
ادخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة
لما دون الشرك

لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
في الاية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في
الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى
يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا ما روي
عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات
الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية ان
الله لا يغفر ان يشرك به الاية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن
عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل الصالحات لم
يدع من الخير شيا الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في النار فقال
ابن عباس الرجل لم يدع من الشر شيا الا عمله غير انه لم يشرك
بالله شيا فقال عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما انه
لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت
عمر عن علي بن ابي طالب قال ما في القران احب الي من هذه الاية ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اخرجه الترمذي
وقال هذا حديث حسن غريب م عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات
لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار
انتهى خازن نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود

Copyright © King Saud University

ندموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على النبي صلى
الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابي سفيان فاحسن
مثواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم اهل
مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان
يكون هذا مكر منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا
لهذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون
بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجي
منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة
فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد صلى الله
عليه وسلم ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف
انك امرؤ تقرء الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم
فانا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض علي دينكم
فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوما ونسقيهم الماء
ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت
ربنا ونطوف به ونحن من اهل الحرم ومحمد فارق دين
ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين
محمد الحديث فقال كعب انتم اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله
تعالى الم تر يعني يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني
كعب بن الاشرف

كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت
يعني بسجودهم للصنمين انتهى خازن ام لهم نصيب من الملك الى
اخره هذا جواب الجزم مضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من
الملك فلا يؤتون الناس نقيرا وصفهم بالبخل في هذه الاية وقد
ووصفهم بالجهل في الاية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الاية
الاية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة
فيهم والنقير هي النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة
ويضرب به المثل في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له انتهى خازن
يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا
كامثال القراطيس وروي ان هذه الاية قرئت عند عمر بن الخطاب
فقال عمر اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ
عندي تفسيرها يبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن
تاكلهم النار في كل يوم سبعين الف مرة وعن ابي هريرة رضي
يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع
م وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او قال
ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام انتهى خازن
وقيل ان الاية عامة في جميع الامانات ولا يمنع من خصوص
السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها

الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام القسم الاول رعاية
الامانة في رعاية الله عز وجل وهو فعل المامورات وترك
المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شي حتى الوضو
والغسل من الجنابة والصلوة والزكوة والصوم وساير انواع
العبادات القسم الثاني رعاية الامانة مع نفسه وهو ما ائتمنه
الله عليه من ساير اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب
والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم
وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شي من اللهو والفحش ولا
كاذيب ونحوه ثم ساير الاعضا على نحو ذلك القسم الثالث
هو رعاية امانة العبد مع ساير العبيد عباد الله فيجب عليه
رد الودايع والعواري الى اربابها الذين ائتمنوه عليها
ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب
ويدخل في ذلك وفا الكيل والميزان ولا تطفف فيهما
ويدخل في ذلك عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح
العلما للعامة فكل هذه الاشيا من الامانات التي امر الله
عز وجل بها باداتها الى اهلها وروى البغوي بسنده عن
انس قال ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال

لا ايمان

لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له انتهى خازن قال
السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله ص
صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم وجاء
منهم رجل الى عمار بن ياسر قد اسلم فامنه فرجع الى الرجل فجاء خالد
فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم فقال خالد تجير
علي وانا الامير فتنازعا فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز
امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم انتهى خازن وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني
فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد
عصاني م عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يامر بمعصية
فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة خ عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل
عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله
وقال ميمون بن مهران امراء السرايا والبعوث انتهى خازن
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا يعني بليغا يوثر في قلوبهم موقعه
وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم
يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم

Copyright © King Saud University

من النفاق قتلتهم لان هذا القول بليغ في نفوسهم كل مبلغ
وقيل معناه فاعرض عنهم في الملاء وقل لهم في انفسهم اذا
خلوت بهم قولا بليغا اي اغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس
معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وقيل هذا
الاعراض منسوخ باية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة
فقال بعضهم ايصال المعنى الى الفهم في احسن صورة من اللفظ
وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة
سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل
احسن الكلام ما قلت الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام
ما شوق اوله الى سماع اخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة
الا اذا سابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه
الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ
في الاية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني مشتملا
على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد
بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه
في القلوب واثر في النفوس وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله
اذن في ذلك وامر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه اي
طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه ان تكون طاعة الرسول

طاعة الله

طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من
رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد من
الرسل الذي فرضت طاعته على من ارسلته اليهم ففيه
توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت انتهى خازن نزلت هذه الاية
في الزبير بن العوام ورجل من الانصار روى عن عروة بن الزبير عن
ابيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم
في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء
فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري
ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى
يرجع الى الجدر ثم قال الزبير والله اني لاحسب هذه الاية نزلت
في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم انتهى خازن
والحرة الارض الحجرة الملبسة بالحجارة السود قوله فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي تغير وهو قوله فلما
احفظه اي اغضبه قوله حتى يرجع الى الجدر بفتح الجيم اصل الجدار
فاستوعى له حقه اي استوفى له حقه هذا صريح وهو ان كان
ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي وحقه تمام السقي

[illegible]

Copyright © King Saud University

نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير
لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير
لونك قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك
استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم اذا ذكرت الاخرة
اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني اخاف وان
دخلت كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل اني لا اراك
ابدا فنزلت هذه الاية وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال كيف يكون لقاءك وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن
اسفل منك فكيف نراك فانزل الله هذه الاية ومن يطع الله يعني
في اداء الفرائض واجتناب النواهي فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الاخرة انتهى خازن
الحذر الاحتراز من خوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم
ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر ههنا السلاح يعني خذوا
اسلحتكم وعدتكم وانما سمي السلاح حذرا لان به يتقي ويحذر
وقيل معناه احذروا عدوكم والقائل ان يقول اذا كان المقدور
كائنا فلا ينفع الحذر فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله تعالى
وقدره كان الامر باخذ الحذر بقضاء الله وقدره فانفروا ثبات
اي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية او انفروا جميعا

يعني

يعني او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم
انتهى خازن نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع
اهل الايمان في الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في
حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليتاخرن ليتثاقلن عن الجهاد
وهو عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وكان راس المنافقين خازن
هذا خطاب للمنافقين اي فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله
وقيل هو الخطاب للمؤمنين المخلصين اي فليقاتل المؤمنون
في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي
يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدل العوض بعوض
والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرون الذين يبيعون حياتهم
في الدنيا بثواب الاخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان
والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين
يبيعون الحيوة الدنيا ويختارون الاخرة وثوابها على
الدنيا الفانية خازن وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا
جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن ان
ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال
من اجر او غنيمة لفظ مسلم خازن قال ابن عباس يريد
ان قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل

Copyright © King Saud University

وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون اذى شديدا وكان اهل
مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم
بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم ولم يكن لهم
بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى
الاية ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين
وقال ابن عباس معناه عن المستضعفين لان المراد صرف
الاذى منهم خ عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
والمستضعفين الاية قال كنت انا وامي من المستضعفين وفي رواية
ابن مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال
والنسا والولدان قال كنت انا وامي ممن عذر الله انا من الولدان
وامي من النسا فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس
يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال
والنسا والولدان فانهم ممن عذر في ترك القتال والولدان جمع
وليد وهو الصبي الصغير انتهى خازن نزلت في المنافقين واليهود
وذلك ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم
النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود
امسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود
ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا حين قدم علينا هذا
الرجل واصحابه فقال الله تعالى ان تصيبهم يعني المنافقين

واليهود

واليهود حسنة اي خصب الثمار ورخص في السعر يقولوا
هذه من عند الله يعني من قبل الله وان تصبهم سيئة
اي جدب في الثمار وغلا في السعر يقولوا هذه من عندك
يعني من شوم محمد واصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة
يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى
من عندك انت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون
هذا اخبار عن المنافقين خاصة قل اي قل لهم يا محمد كل من
عند الله يعني الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة
والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما
السيئة فابتلاء من الله انتهى خازن فما لهؤلاء القوم اي فما
شان هؤلاء القوم المنافقين واليهود قالوا ما قالوا لا
يكادون يفقهون حديثا يعني لا يفقهون معاني القران وان
الاشياء كلها من عند الله عز وجل خيرها وشرها انتهى خازن
وفي المخاطب بهذا الكلام قولان احدهما انه عام وتقديره وما
اصابك ايها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم بري لان الله عز وجل
قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد عصمه
من حين ابتعثه فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على
ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم

Copyright © King Saud University

خازن

النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء انتهى
وقد تعلق بظاهر هذه الاية القدرية قالوا نفى الله السيئة
عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الاية حسنة
الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من المعاصي بل المراد
من الحسنة في هذه السيئة ما يصيب الانسان من النعم والمحن
وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة والمعصية
اصابني وانما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل
انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه ولما ذكر من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل
بهذا قول القدرية انتهى خازن لعلمه ان العلم الرادون معناه
وتدبيره وانما وقع موضع ضميرهم الموصول فقيل اي الذين ه
يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم
برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه لعلمه اولئك
الرادون الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه
وتدبيره منهم اي من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر
من صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولما تغلوا في حقه
ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف

وقيل

وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم
ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها فكلمة من في منهم
بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوه
وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين
يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم
ومعرفتهم بامر الحروب ومكايدها انتهى ابو السعود الا
قليلا اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع
فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير
اذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فانهم
بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاية من هذه ه
الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا
القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى
المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره
ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم
الا قليلا فعلى هذا في القولين في الاية تقديم وتاخير
وقيل هو راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره
الزجاج ومعلوم ان حرف الاستثناء الى ما يليه به اولى من صرفه

الى المبلغ البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لا تبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهو قوم امنوا واهتدوا
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزل القران في مثل زيد بن عمرو
بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي
رضي الله عنهم اجمعين انتهى خازن فقاتل في سبيل الله الى اخره
نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان من حرب
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى
بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد ودعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم
فانزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد
العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف
الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل
ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك
النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا
سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهذه الاية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الاية
دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم
بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده

ولو لم يكن

١٢٧

ولو لم يكن اشجع لما امره بذلك انتهى خازن فصل
في فضل السلام والحث عليه وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاسلام
خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن
لم تعرف قوله اي الاسلام خير اي خصال خير وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة
حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شيء اذا فعلتموه
تحاببتم افشوا السلام بينكم وعن عبد الله بن سلام قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس افشوا
السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام والناس نيام
تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح عن ابي امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم
ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجة انتهى خازن هذه
لام القسم تقديره والله الذي لا اله الا هو ليجمعنكم الله
في الموت والقبور الى يوم القيمة يعني الى يوم الحشر والبعث
لا ريب فيه يعني لا شك في ذلك اليوم انه كائن ومن
اصدق من الله حديثا يعني لا احد اصدق من الله فانه
لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب واعني ان القيمة
كائنة لا شك فيها ولا ريب انتهى علوي خازن اختلفوا

في سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم احد
من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم
منافقون وقال اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام
وعن زيد بن ثابت قال فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد
رجع ناس ممن خرج معه فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقال فرقة لا نقتلهم فنزلت
فما لكم في المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد انتهى خازن
والهجرة على ثلاثة اوجه اولا هجرة المؤمنين اول الاسلام من
مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهي الخروج مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى
الله عنهم وفي هذه منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا
في سبيل الله والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه
بقوله فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة
واختار الاقامة على الكفر انتهى خازن فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين ان هذا منسوخ
باية القتال وهو قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال
بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملنا على المعاهدين

فكيف

فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة ستجدون اخرين قال ا
قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة
فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم
يقول له قومه بماذا امنت فيقول امنت بهذا القرد والعقرب
والخنفساء واذا لقوا اصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي رواية
اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه
الصفة انتهى خازن الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي
وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة فاسلم ثم
خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن
في اطم من اطامها فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت
لابنيها الحرث وابي جهل بن هشام وهما اخوا عياش بن ربيعة
لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى تاتوني به فخرجا حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم
فقالوا انزل فان امك لم يظلها سقف بعدك وقد حلفت
لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا
ان لا نكرهك على شيء ونحول بينك وبين دينك فلما ذكروا
له جزع امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه
من المدينة واوثقوه بنسعة وجلدوه كل واحد منهم مائة

Copyright © King Saud University

جلدة ثم قيدوا به على امه فلما اتاها قالت لا احلك والله من
وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما
شاء الله فاعطاهم الذي ارادوا فاتاه الحرث بن زيد فقال
يا عياش اهذا الذي كنت عليه لان كان هدى لقد تركت الهدى
ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته
وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياش اسلم بعد ذلك
وهاجر واسلم الحرث بن زيد بعد وهاجر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس عياش حاضر يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا
عياش يسير بظهر قبا ان لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك
يا عياش اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من امري وامر الحرث
ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما
كان لمؤمن الى اخرها انتهى خازن اراد الله اذا كان رجل مسلما
في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله ولم يعلم
باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه
اذا كان المقتول مسلما في دار الحرب الاسلام وهو من
نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه في دار الحرب وهم
حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان
الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه

الكفارة

١٢٩

الكفارة تحرير رقبة دون الدية لانه لم يكن من بين قومه
وبين المسلمين عهد انتهى خازن فصل في احكام
تتعلق بالاية وفيه مسايل المسألة الاولى في بيان صفة
القتل قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد
وخطا اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل غالبا
فقتل به ففيه القصاص عند وجود الكافي او دية حالة مغلظة
في مال القاتل وما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان
بما لا يقتل مثله غالبا مثل ان ضربه بعصى خفيفة او رماه
بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة
على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين واما الخطا المحض فهو
ان لا يقصد قتله بل قصد شيئا اخر فاصابه فمات منه فلا
قصاص عليه وتجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث
سنين ومن صورة القتل الخطا ايضا ان يقصد عند رمي مشرك
او كافر فيصيب مسلما وقتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه لباس
المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطا في الفعل والثانية
خطا في القصد المسألة الثانية في حكم الديات ودية الحر
المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم
او الدنانير في قول وفي قول بدل مقدر وهو الف دينار او اثني عشر
الف درهم ويدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص

Copyright © King Saud University

قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان مائة
دينار او ثمانية الاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ
على النصف من دية المسلم وكانت كذلك حتى استخلف
عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل
الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثني عشر الف درهم
وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى اهل الشاء الفي شاة وعلى اهل
الحلل مائتي حلة قال وترك دية اهل الكتاب ولم يرفعها
فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود نزلت في مقيس بن
ضباعة الكناني وكان اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه
هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامركم ان علمتم قاتل هشام بن ضباعة ان تدفعوه الى اخيه
مقيس فيقتص منه وان لم تعلموا فادفعوا اليه ديته
فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله
ما نعلم له قاتلا ولكن نؤدي اليه ديته فاعطوه مائة
من الابل فانصرفوا راجعين الى المدينة فاتى الشيطان
مقيس فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك فتكون
عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس مكان
نفس وفضل الدية فقتل الفهري فرماه بصخرة فقتله

ثم ركب بعيرا

ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك
قتلت به فهرا واحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع
وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاصنام اول راجع
نزلت ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعني قاصدا قتله فجزاؤه جهنم
خالدا فيها الخ [illegible] وقد تعلقت المعتزلة
والوعيدية بهذه الاية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في
النار واجاب علماء السنة بان الاية نزلت في كافر قتل مسلما
وهو مقيس بن ضباعة فتكون الاية على هذا مخصوصة وقيل هذا
الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان
كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن ابي مجلز في قوله ومن
يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله
ان يتجاوز عن جزائه فعل اخرجه ابو داود وقيل ان الخلود
لا يقتضي التابيد بل معناه دوام الحالة التي هي عليها ويدل
عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام
بقائها وانما ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التابيد كقوله
خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم
ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان
معنى الخلود المذكور في الاية ان الله تعالى يعذب القاتل
المؤمن عمدا في النار الى حين يشاء الله ثم يخرجه منها بفضله

Copyright © King Saud University

رحمته وكرمه فاذا قد ثبت في احاديث الشفاعة الصحيحة
اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المؤمن عمداً
عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء لان الكفر اعظم من هذا القتل وان كانت توبة
الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن
تقبل من القاتل اولى انتهى خازن روي عن ابن عباس قال مر رجل من
بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم
فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه
فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت
الامر اذا تاملته قبل الاقتحام عليه وقرئ فتثبتوا من
التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى
تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدموا
عليه انتهى خازن لا يستوي القاعدون الاية خ عن زيد
بن ثابت قال املى على النبي صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون
من المؤمنين والمجاهدين في سبيل الله فجاء ابن ام مكتوم وهو يمليها
علي فقال والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت
وكان

وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه
على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه
فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر ق عن البراء بن عازب لما نزلت
لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكى ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر انتهى خازن م عن جابر كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا
معكم حبسهم المرض انتهى خازن قال ابن عباس كنت انا وامي ممن
عذر يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلوة ق عن ابي هريرة قال
لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية
قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة
والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر
اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف ومن يهاجر في
سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قال الزجاج يعني
مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مراغما مهاجرا يعني ان المهاجرين
لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو
ماخوذ من الرغام مهاجرا يعني ان المهاجر وهو التراب يقال

Copyright © King Saud University

رغم انفه اذا لصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف
والتراب ذليل حقير فجعلوا قوله رغم انفه كناية عن حصول
الذل ويقال رغمت فلانا بمعنى هجرته انتهى روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما بعث بالايات المتقدمة الى مسلمة مكة قال
جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لاهدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه الى سرير متوجها
الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه
على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت
قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد فهي هجرة
الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم انتهى ابو السعود
وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر
جايز ويدل عليه ما روي عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب
ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا فقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله
بها عليكم فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن عبد الله
بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصروا الصلوة

وانما قال

وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا الصلوة ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن اخي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن في ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان نصلي ركعتين في السفر اخرجه
النسائي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من
المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين اخرجه
الترمذي والنسائي واجاب جمهور قوله تعالى ان خفتم ان كلمة
ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم
يقتضي عند عدم الخوف لا يحصل رخصة القصر واذا كان كذلك
كانت الاية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن
بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القران فان قلت اذا
كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فائدة قيد
بحال الخوف قلت انما نزلت الاية في بعض اسفار النبي صلى الله
عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل
هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع انتهى خازن
فصل في احكام تتعلق بالاية وصفة صلوة
الخوف وفيه مسايل المسئلة الاولى قال ابو يوسف
والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلوة الخوف
كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعد

نعلها وقال المزني من اصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت
واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه
صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة
وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلوة مشروطة بكون النبي صلى
الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا
تفيد الشرط وذهب جمهور العلما والفقها ان هذا الحكم ثابت
في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الاية وجب ان يثبت في حق
غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم
صلوا كما رايتموني اصلي ولان اجماع الصحابة على فعلها وقد روي
عن علي ابن طالب رضي الله عنه انه صلى صلوة الخوف وكذلك حذيفة
بن اليماني صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهولاء مخالف من
الصحابة واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم
الصلوة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
فان سائر امته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله تعالى يا ايها
النبي اذا طلقتم النسا الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله
عليه وسلم دون امته كقوله تعالى خالصة لك من دون
المومنين ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم
صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكوة
لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم

واجيب

واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت واما العدم عند
تغيره فسلم المسئلة بكلمة ماهو الاحوط للصلوة وابلغ في الحراسة
فهو مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلوة الخوف
ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه
فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي
بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم
وذهبوا الى وجاه العدو فتحرس وتاتي الطائفة الثانية
التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد
حتى يتموا لانفسهم الصلوة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي
عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع
النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلوة الخوف ان طائفة
صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى النبي صلى الله عليه وسلم
بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه
العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت
من صلوته ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم ثم سلم بهم
اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم
هو سهل بن حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار
الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القران واحوط للصلوة

Copyright © King Saud University

وابلغ في حراسة العدو واما كونه اشد موافقة لظاهر
القران فان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا معك
وهذا يدل على ان الطائفة الاخرى قد صلت وقوله فليصلوا
معك ظاهر يدل على ان جميع صلوة الطائفة الثانية
حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الصلوة من حيث
انه لا يكثر فيها العمل من المجي والذهاب وكونها احوط لامر
الحروب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا في الصلوة كان
امكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب
قوم الى ان الطائفة الاولى تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب
الى وجه العدو فتحرس وهم في صلوتهم ثم تاتي الطائفة
الثانية فتصلي مع الامام ركعة الثانية ويسلم الامام
وهم يسلمون بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة
الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلوتها ثم تذهب
ثم تاتي الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضي بقية
صلوتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب
ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا
وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا
على العدو

سان الاولى

على العدو وا فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى
فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة
وسجدتين ثم يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
تم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطائفتان
فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين
اخرجه النسائي قال ابو بكر السني سمع الزهري من ابن عمر
ولم يسمع هذا منه والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن
عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف باحدى الطائفتين
ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا
في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة
وهؤلاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلوة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه
وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء
الاخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة
وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي واب
شهاب المالكي وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان
الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين هو
الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ذكرت

ئفتين

Copyright © King Saud University

اول الصلوة وهي في حكم من خلف الامام واما الطائفة
الثانية فلم يدركوا اول الصلوة والمسبوق فيما قضى يقضي
كالمنفرد في حكم صلوته المسئلة الثالثة فيما اذا كان
العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلوة الخوف ه
فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا
وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر
بالسجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود
وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتاخر الصف المقدم ثم ركع
النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف
الذي يليه كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحو
العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه
انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم
وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم
اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلوة
الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ه
ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه ه
فيما اذا كان العدو في جهة القبلة المسئلة الرابعة اذا اشتد
الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومون بالركوع
والسجود

والسجود الى اي كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب ابي حنيفة
انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا قضوا ما فاتهم من
الصلوة ولصلوة الخوف صور اخرى مذكورة في كتب الفقه
وليس هنا موضعها والله اعلم انتهى خازن انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق قال ابن عباس نزلت هذه الاية في رجل من
الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث
سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت
الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق الجراب
حتى انتهى الى داره ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له
زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده
طعمة فحلف بالله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب
الدرع لقد راينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه
واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودي
دفعها الي طعمة بن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة
من اليهود قال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن صاحبهم فهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله
هذه الاية وقيل ان زيد السمين اودع الدرع عند طعمة فجحد
طعمة فانزل الله هذه الاية انا انزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب

Copyright © King Saud University

يعني القران بالحق يعني بالصدق وبالامر والنهي والفصل
انتهى خازن يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه امر الله بالتحفظ
والتحرز والاحتياط لئلا يتجرى العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزو بني محارب وبني انمار فنزلوا
ولا يرون من العدو احد فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاجته حتى قطع الوادي والسماء ترش
بالمطر فسال الوادي فجاء السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين اصحابه فجلس تحت شجر فبصر به غورث بن الحارث
المحارني فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه
السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم
على راسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني
الان رسول الله صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه من زلخة
زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان فقال
لا احد فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال
لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ولا اعين عليك عدوا فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خير مني
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث
الى اصحابه فقالوا له ويلك يا غورث ما منعك منه فقال
والله لقد اهويت

لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ما ادري من
زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر ومن هذه الاية
ولا جناح عليكم الى اخره قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف
جريحا فنزلت فيه ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم
انتهى خازن بما اراك الله يعني بما علمك الله واوحى اليك سمي العلم
اليقيني روية لانه جرى مجرى الروية في قوة الظهور روي عن
عمر انه قال لا يقول احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل
ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رايه لان الراي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه
اياه راي احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دل هذه
الاية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي
والنص المنزل عليه ولا تكن يعني يا محمد للخائنين خصيما يعني
ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عليهم وهو
وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له واستغفر الله يعني
مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة
ان الله كان غفورا يعني لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها
لهم رحيما يعني بعباده المؤمنين فصل وقد تمسك

بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنب من الانبيا وقالوا لو لم
يقع منه صلى الله عليه وسلم ذنب لما امره الله بالاستغفار والجواب
عما تمسكوا مذكور في الخازن فليرجع عليهم يعني يضمرون ويقدرون
ويزورون في اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل
وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم
فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول
اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع
الله نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به وكان الله بما
يعملون محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اسرار عباده
وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية انتهى ومن
يعمل سوءا او يظلم نفسه نزلت هذه الاية في ترغيب طعمة
في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا
عنه وقيل هي عامة في كل مسيء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع
من اطلاق الحكم ومعنى الاية ومن يعمل سوءا يسوء به غيره كما
فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خصه بما يتعدى الى الغير
باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايضا لا المضر الى الغير او يظلم
نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه
ومن يعمل سوءا اي قبيحا او يظلم نفسه برميه البريء وقيل السوء كل ما
ياثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه ثم يستغفر الله يعني
من ذنوبه

ببيان في الخازن

١٣٧

يجد الله غفورا رحيما ففي هذه الاية دليل على حكمين احدهما
ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان
قوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني
ان ظاهر الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم
انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على
الذنوب فان قلت الخطيئة والاثم اثنا فكيف وحد الضمير
في قوله ثم يرم به قلت معناه باحد هذين المذكورين بريئا
وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الاخر وقيل انه يعود
الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود
الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريئا انتهى خازن وقيل هو استثنا
منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها او معروف
يعني او امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها هو
معروف لان العقول تعرفها او اصلاح بين الناس يعني
الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا
فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه وامر به عن
ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم
بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى
يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات
البين هي الحالقة اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي

Copyright © King Saud University

يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق
الشعر ولكن تحلق الدين خ عن سهل بن سعد ان اهل قبا
اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم ق عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي
معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس
الكذاب الذي يصلح بين الاثنين او قال بين الناس فيقول
خيرا او ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم اسمعه
يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث يعني في الحرب
والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المراة
زوجها انتهى خازن ومن يفعل ذلك يعني هذه الاشياء التي ذكرت
ابتغاء مرضات الله يعني طلب رضاه لان الانسان
اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعلها رياء وسمعة
لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
الحديث فسوف نوتيه يعني في الاخرة اذا فعل ذلك
ابتغاء مرضات الله اجرا عظيما لا حد له لان الله تعالى
سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلمه الا الله تعالى ومن
يشاقق الرسول نزلت في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق
وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة
هرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل

فيه ومن

١٣٨

فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان
واصله من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق غير الاخر
من بعد ما تبين له الهدى اي وضح له التوحيد والحدود وظهر
له صحة الاسلام وذلك ان طعمة كان قد تبين له ما انزل فيه
واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول
صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام ويتبع غير
سبيل المومنين يعني يتبع غير طريق المومنين وما هم عليه
من الايمان ويتبع عبادة الاوثان نوله ما تولى ونصله
اي نكله في الاخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار
لنفسه ونصله جهنم يعني ونلزمه جهنم واصله من
الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفا وساءت مصيرا
وبيس المرجع الى النار وروي ان الشافعي سئل عن اية في كتاب
الله عز وجل تدل على ان الاجماع حجة فقرا القران ثلثمائة
مرة حتى استخرج هذه الاية قوله ويتبع غير سبيل
المومنين وذلك لان اتباع غير سبيل المومنين ولزوم
جماعتهم واصحابهم ضلال لان الله تعالى الحق الوعيد لما
يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المومنين فثبت بهذا
ان اجماع الامة حجة ان الله لا يغفر ان يشرك به نزلت في طعمة
بن ابيرق ايضا لانه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه

Copyright © King Saud University

الاية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني شيخ منهمك في المعاصي الذنوب غير اني لم
اشرك بالله من ذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم
اواقع المعاصي جراة على الله عز وجل وما هممت طرفة عين
اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما الحال عند الله
فانزل الله هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذا نص
صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت
ان المشرك اذا تاب من شركه وامن قبلت توبته وصح ايمانه
وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك ويغفر ما دون
ذلك يعني ما دون الشرك لمن يشاء يعني لمن يشاء من اهل التوحيد
قال العلما لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا
انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشية فيمن لم يتب
من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة
من غير توبه فهو على خطر المشية ان شاء غفر له وادخله الجنة
بفضله ورحمته وان عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك
انتهى خازن ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني فقد
ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه
فان قلت لم كررت هذه الاية بلفظ واحد في موضعين
من هذه السورة وما فضل ذلك قلت فائدة ذلك التاكيد

اولان

اولان الاية المتقدمة نزلت في سبب اهل مكة وهو ان
الاية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة ابن ابيرق ونزلت هذه
الاية في سبب ارتداده وموته على الشرك انتهى خازن ليس باما نيكم
ولا اماني اهل الكتاب الامنية افعولة من التمنية والتمني
تقدير شي في النفس وتصويره فيها والامنية هي الصورة الحاصلة
في النفوس من التمني الشي اذا وقع في نفسه واراده ونفى الخاطب بقوله ليس
باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب للمسلمين
واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال
اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون
نبينا خاتم الانبيا وكتابنا يقضي على الكتب وقد امنا بكتابكم
ولم تومنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم والقول الثاني انه
خطاب لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطابه
لاهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
والمعنى ليس الامر بالاماني انما الامر بالعمل الصالح من يعمل سوءا
يجز به قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لاهل الكتاب
ما تمنوا لكن من عمل سوءا يعني شركا فمات عليه يجزيه النار وقال
الحسن هذا في حق الكفار خاصة لانهم مجازون بالعقاب على الصغيرة
والكبيرة ولا يجزي المومن بسوء عمله يوم القيمة ولكن يجزي باحسن
عمله ويتجاوز عن سياته ويدل على صحة هذا القول سياق الاية

بيان اليهود

وهو قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا
هو الكافر فاما المؤمن فله ولي ونصير وقال اخرون هذه
الاية في كل من عمل سوء من مسلم ونصراني وكافر وقال ابن عباس
هي قائمة في كل من عمل سوء يجز به الا ان يتوب قبل ان يموت
فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه لما
نزلت هذه الاية شقت على المسلمين مشقة عظيمة وقالوا
يا رسول الله واينا من لم يعمل سوء غيرك فكيف الجزاء قال منه
ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر امثالها حسنات
ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له
تسع حسنات فويل لمن غلب احاده اعشاره واما ما كان
جزاء في الاخرة فيقابل بين حسناته وسياته فيلقى مكان كل
سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى
كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روي
عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوء يجز به بلغت من
المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة
حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم وعن ابي
بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا اقرئك اية نزلت
علي قلت بلى يا رسول الله فاقرانيها فلا اعلم الا اني وجدت
انقضاضا في ظهري فتمطات لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما شانك يا ابا بكر قلت يا رسول الله بابي انت وامي واينا لم
يعمل سوء وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما انت يا ابا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس
عليكم ذنوب واما الاخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به
يوم القيمة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب انتهى خازن
نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون الا اناثا الا كل من عبد شيئا
فقد دعاه لحاجته وفي قوله اناثا اقوال احدها انهم كانوا يسمون
اصنامهم باسماء الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة
قال الحسن كانوا يقولون الصنم كل قبيلة انثى بني فلان والقول
الثاني اناثا يعني امواتا قال الحسن كل شيء لا روح فيه كالحجر والخشبة
هي اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن
المؤنث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدراهم تنفعني ولان
الانثى انزل درجة من الذكر والميت انزل درجة من الحي
كما ان الموات ارذل الحيوانات فاطلقوا اسم الانثى على
الجمادات والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة
ويقولون هم بنات الله وان يدعون اي ما يعبدون

Copyright © King Saud University

الا شيطانا مريدا قال ابي كل صنم يدخل في جوفه ويتراءا
للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان
يدعون الا شيطانا وقيل هو ابليس لانه هو اغواهم واغراهم
على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم عبادة والمريد
والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة انتهى خازن ولاضلنهم
عن طريق الحق والمراد به التزيين والتوسيع والا فليس له من
الاضلال شيء ولامنينهم قال ابن عباس يريد تسويف التوبة
وتاخيرها وقال الكلبي امنينهم انه لا جنة ولا نار ولا
بعث وقيل امنينهم ادراك الجنة مع عمل الصالح وقيل
زين لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى المعاصي وقيل
امنينهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليوثروها على
الاخرة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يعني يقطعونها
ويشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون اذان
الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا
على انفسهم الانتفاع بها ولا يردونها من ماء ولا مرعى
وسولهم ابليس ان هذه قربة ولامرنهم فليغيرن
خلق الله قال ابن عباس دين الله وتغيير دين الله هو
تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو
تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم كل مولود على الفطرة فابواه يهودانه
وينصرانه يعدهم ويمنيهم يعني الشيطان يعد حزبه
واولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيه اياه ما يوقع قلب
الانسان من طول العمر ونيل ما اراد من الدنيا ومن نعيمها
ولذاتها وكل ذلك غرور يجب على العاقل ان لا يلتفت الى
شيء منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما اراد منها وان
طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو
فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بان لا جنة ولا نار ولا بعث
فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية وما يعدهم الشيطان
الا غرورا يعني باطلا وضلالا اولئك يعني الذين اتخذوا
الشيطان وليا وماواهم جهنم يعني مرجعهم ومستقرهم
جهنم ولا يجدون عنها محيصا يعني جهنم محيصا مفرا ومعدولا
يعني لا يعدلون عنها ومن يعمل من الصالحات من ذكر
او انثى وهو مؤمن قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به
قال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فنزلت هذه الاية
قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الاية فضيلة المؤمنين
على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض لان
احدا لا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها
استحق الثواب فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا قال

Copyright © King Saud University

ابن عباس يريد لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل
المبالغة في نفي الظلم و وعد بتوفيقه جزا اعمالهم من غير
نقصان ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن
لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا
يعني ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية
والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذي كان عليه
ابراهيم عليه السلام واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين
احدهما الاعتقاد واليه اشار بقوله اسلم وجهه
يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه
اخلص طاعته لله وقيل فوض امره الى الله الامر الثاني من مباني
الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني
في عمله فيدخل فيه الحسنات والمفروضات والطاعات
وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن
يريد وهو موحد لله عز وجل ولا يشرك به قال العلما وانما
صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله
ورضاه وهما احسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله
اسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضا لانها تابعة لها
واتبع ملة ابراهيم يعني دين ابراهيم عليه السلام حنيفا
يعني مسلما

يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان
باطلة وحنيفا بان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون
للمتبع كما تقول لقيته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم
عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج
والختان ونحو ذلك انتهى خازن وان امراة الاية وعن
عايشة نزلت في المراة تكون عند الرجل لا يستكثر منها
فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني
ثم تزوج غيري وانت في حل من النفقة على القسمة لي
قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يصلحا
والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن سلمة
ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال
له رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج
عليها اخرى شابة واثرها عليها وجفى الاولى فاتت ابنة
محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية وقيل كان رجل له امراة قد كبر وله
منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا
تطلقني عني على اولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت
وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب
الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهن ان اليتيمة

Copyright © King Saud University

اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوا بسنتها
في كمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها
التمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان
ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها
حقها الاوفى من الصداق انتهى خازن ذكر قصة الهجرة ٥
الاولى وسبب نزول هذه الاية قال ابن عباس وغيره من
المفسرين في قوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى قالوا ان قريشا ايتمرت ان يفتنوا
المومنين دينهم فوثبت كل قبيلة على من امن منهم فاذوهم
وعذبوهم فافتتن من فتن منهم وعصم الله من شا منهم
ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان
يمنعهم من المشركين ولم يومر بعد بالجهاد امر اصحابه بالخروج
الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم
عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج ٥
اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان
وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام
وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن
عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير
وابو سلمة

وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية ٥
وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت
ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهل بن بيضا فخرجوا الى ٥
البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة
وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي ٥
صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر
بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر
الى ارض الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا سوى
النسا والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن
العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردوهم
اليهم فدخل عمرو بن العاص فقال له ايها الملك انه خرج
فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبي وانه
قد بعث اليك رهط ليفسد واعليك قومك فاحببنا
ان ناتيك ونخبرك خبرهم وان قومك ليسلونك ان
تردهم اليهم فقال حتى نسيلهم فامر بهم فاحضروا فلما
اتوا باب النجاشي فقالوا استاذن اوليا الله فقال ايذنوا
لهم مرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط
من المشركين ايها الملك الا ترى انا قد صدقناك انهم لم يحيوك
بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني ٥

بتحيتي قالوا انا حيينا بتحية اهل الجنة وتحية الملائكة
فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر
بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه
القاها الى مريم العذرا ويقول في مريم انها العذرا البتول قال
فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على
ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت
وجوههم فقال هل تعرفون شيا مما انزل على صاحبكم قالوا
نعم قال اقرؤوا فقرا جعفر سورة مريم وهنالك قسيسون ورهبانا
وسائر النصارى فعرفوا ما قرئ فانحدرت دموعهم مما عرفوا
من الحق فانزل الله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون الى اخر الايتين فقال النجاشي لجعفر واصحابه
اذهبوا فانتم سيوم بارضي يعني الكم امنون فرجع عمرو وصاحبه
خايبين واقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار
الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره
وقهر اعداؤه وذلك في سنة من الهجرة وكتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على عمرو بن اميه الضمري ان يزوجه
ام حبيبه بنت ابي سفين وكانت قد هاجرت مع زوجها
ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة
يخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك

واعطت

واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد
في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق
مبلغه اربعماية دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
النجاشي فارسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما
جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تاخذها
وقالت ان الملك امرني لا اخذ منك شيا وقالت انا صاحبة
دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمد صلى الله عليه وسلم وامنت
به وحاجتي اليك مني ان تقريه مني السلام قالت نعم وقد
امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من دهن
وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فخرج من
خرج اليه مع من قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه وكان يسئلني عن النجاشي
فقرات عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل
بينكم وبين الذين عاديتم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ ابا سفيان ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة فقال ذلك الفحل
لا يجدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي
صلى الله عليه وسلم ابنه اذهي في ستين من اصحابه وكتب اليه

Copyright © King Saud University

يا رسول الله اني اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد
بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر واسلمت لله رب العالمين
وقد بعثت اليك ابني ازهى وان شئت ان اتيك بنفسي فعلت
والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر
حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر
سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون
رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهم سورة يس الى اخرها فبكى القوم حين
سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان
ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الاية فيهم وهي
قوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا
نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم
السبعون وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في
ثمانين رجلا اربعين من نصارى نجران من بني الحرث بن كعب
واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميون قال قتادة
نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا شريعة من الحق مما جا بها
عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به وصدقوه
فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا

الذين

الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان
للحق انتهى خازن فاثابهم الله بما قالوا يعني بالتوحيد الذي
قالوه وانما علق الثواب وهو قوله تعالى جنات تجري من
تحتها الانهار بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما
يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان
بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا
اقترن بالمعرفة بما سبق يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين
خالدين فيها يعني في الجنات وذلك جزاء المحسنين يعني
للموحدين المخلصين في ايمانهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا
لما ذكر الله عز وجل الوعد المؤمني اهل الكتاب وما اعد لهم من
الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه واطلق
القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر
والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم
انتهى خازن فان قلت ان ظاهر هذه الاية يقتضي انه شرع محمد
صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام ولهذا
لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك
فما الجواب قلت ان شرع محمد ابراهيم وملته داخلاتان
في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة

Copyright © King Saud University

خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد
صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة
في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع
محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم
لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله
وعبادته ولهذا اختصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع
الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذلك
اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا
عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم
وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول
شرعه وملته واتخذ الله ابراهيم خليلا يعني صفيا والخلة
صفا المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل
الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع الى
الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء
وسمي ابراهيم خليلا لانه دعا الى الله وقيل لانه تخلق
باخلاق حسنة وخصال كريمة وقيل الخليل المحب الذي
ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليلا لانه احبه الله
محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وانشد في معنى
الخلة التي هي بمعنى المحبة قد تخللت له في مسلك الروح مني

وبذا سمي الخليل خليلا وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة
سميت خلة للاختلال الذي تخلو الانسان فيها وسمي ابراهيم
خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله
للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر مثالبه ونصره
والثنا عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله
اماما للناس كلها اماما يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من
اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم عليه السلام
ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من
الناس فاصاب الناس سنة قحط فقصد الناس باب ابراهيم
يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تاتيه من صديق له
بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال
خليله لغلمان ابراهيم لو كان ابراهيم انما يريد الطعام
احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس فرجع
غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة
فقالوا لو حملنا من هذا من هذه البطحا ليرى الناس
انا قد جئنا بالميرة فانا نستحي ان نمر بهم وابلنا فارغة
فحملوا من ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم اتوا الى ابراهيم
عليه السلام فاعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان
الناس بيابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد

Copyright © King Saud University

ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاوا بشي قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملي باجود دقيق يكون حواري فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين لكم هذا قالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم عن عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيف فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمي ابراهيم خليل الله م عن انس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله انتهى خازن فصل قد اتخذ محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم

لو كنت

لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غيره لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء في الحديث عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذي باطول منه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قال اهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر واريد به الجنس ذكر بلفظ ما وكان الله بكل شيء محيطا يعني محيطا علمه احاطة وهو العلم بالشيء من كل جهة ووجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليهم عليه ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم الاية قال ابن عباس نزلت في بنات ام كجة وقد تقدمت قصتهن في اول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها وان كانت

Copyright © King Saud University

غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفي رواية قالت هي
اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب فلا
يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه
ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك
وانزل هذه الاية ويستفتونك يعني ويستخبرونك
يا محمد في شان النسا وحالهن والاستفتا طلب الفتوى
وهو اظهار ما اشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه
قال المفسرون والذي استفتوه وهو ميراث النساء
وذلك انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار من الاولاد
فلما نزلت اية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المراة
والصغير فاجابهم الله بهذه الاية قل الله يفتيكم فيهن
يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شان النسا وحالهن
وما يتلى عليكم في الكتاب يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم
والمعنى ان الله يفتيكم في النساء بما انزل في كتابه عليكم
وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه
تعظيم حال هذه الاية التي تتلى عليكم وانها في اللوح
المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من
اعظم الامور عند الله تعالى التي يجب مراعاتها وان المخل
بها ظالم في يتامى النساء قيل معناه في النساء اليتامى
وقيل في اليتامى

وقيل في اليتامى واولاد النساء لان الاية نزلت في يتامى ام كجة
اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن يعني في اليتامى ما فرض لهن
من الميراث وهذا على قول من يقول ان الاية نازلة في ميراث
اليتامى والصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب لهن من الصداق
وترغبون ان تنكحوهن يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن
وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن
نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في اموالهن
م عن عايشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في
جمالها ومالها ويريد ان ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن
الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن
قالت عايشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عز وجل يستفتونك في النساء الى قوله وترغبون الى
يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا
لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق انتهى خازن ولن
تستطيعوا ان تعدلوا الاية يعني ولن تقدروا ان تسووا
بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه
وليس من كسبكم ولو حرصتم يعني في العدل والتسوية
بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك فلا تميلوا كل الميل
يعني الى تجويرها في القسم والنفقة والمعنى انكم لن تسووا

نسهم عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج
عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهي في اظهار ذلك الميل في القول
والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت
له امراتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيمة وشقه ساقط اخرجه
الترمذي وعن ابي داود من كانت له امراتان فمال الى احدهما جاء
يوم القيمة وشقه مائل عن عايشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا
تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود والترمذي
فتذروها كالمعلقة يعني فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها
كالمعلقة لا ايما ولا ذات بعل كالشيء المعلق لا هو في السماء
ولا في الارض فصل فيما يتعلق بحكم الاية وجملته ان الرجل
اذا كانت تحته امراتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن
في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز
وجل في ذلك وعليه القضا للمظلومة والتسوية شرط في
البيتوتة اما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط في
القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وامة قسم
للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة وان تزوج جديدة
على قديمات عنده يخص الجديدة بان يبيت عندها
سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها
بثلاث ليال

بثلاث ليال ثم انه يستانف القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضا
عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روي ابو قلابة
عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا
واذا تزوج ثيبا اقام عندها ثلاثا ثم قسم قال ابو قلابة ولو شئت
لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه
في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له ان يحمل
معه بعض نسائه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان
يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد
مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن
عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها
معه اخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة
وجب عليه اخذ نسائه اجمعين وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في
الارض يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى
انه يغني من سعته وفضله اشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه
لانه من ملك السموات والارض لا تفنى خزائنه ثم خازن قال السدي
ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه
مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فانزل الله هذه
الاية وامر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقبله هذه

الآية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق في خطاب لقومه الذين
جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل وامرهم الله تعالى ان يكونوا
كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع
الشهادات واجتناب الجور عنها قال ابن عباس كونوا قوامين
بالعدل في الشهادات على من كانت شهداء لله يعني تقيموا
شهادتكم لوجه الله كما امركم فيها فيقول الحق في شهادته ولو
على انفسكم يعني ولو كانت الشهادة على انفسكم امره تعالى العبد ان
يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى
شهادة في كونه موجبا الحق عليه والوالدين والاقربين يعني ولو كانت
الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوي رحمه واقاربه والمعنى
فقولوا الحق ولو على انفسكم او على الوالدين او على الاقارب فاقيموا
الشهادة الشاهدة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا
ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير الى اللفظ
دون المعنى يعني فالله اولى بالغني والفقير انتهى خازن
قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني
كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام
وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا
اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن

بك وبكتابك

بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب
والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد
والقران وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الآية انتهى خازن
قال ابن عباس نزلت في اليهود امنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم
العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
وقيل انهم امنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم امنوا بداود ثم كفروا
بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين
وذلك انهم كفروا بعد الايمان ثم امنوا يعني بالسنتهم وهو
اظهارهم الايمان ليجري عليهم احكام المؤمنين ثم ارتدوا
كفروا بموتهم على الكفر وقيل بذنوب احدثوها في الكفر وقيل
هم قوم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه
وذلك لان من تكرر منه الايمان الكفر بعد الايمان مرات كثيرة
يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لم يكن مؤمنا
بالله ايمانا صحيحا وازديادا وهو الكفر هو استهزاؤهم
وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل
توبته ام لا حكي عن علي بن ابي طالب انه لا تقبل توبته بل
يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة انتهى خازن
فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان
المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا

Copyright © King Saud University

اخر والخبث منه وهو الاستهزا بالاسلام والمسلمين ٥
وافشا اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل
الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق
من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام
بلسانه ولا يعمل بشرايعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت
احكامه واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فلهما
لتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد خلف واذا ايتمن خان فان هذه الخصال
صفات المنافقين فمن عملها فقد تشبه بالمنافق
ولن تجد لهم نصيرا يعني ولن تجد يا محمد لهولا المنافقين
من ناصر ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى
الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى الا الذين
تابوا يعني من النفاق واصلحوا يعني اصلحوا الاعمال فعملوا
بما امر الله به وادوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه واعتصموا
واعتصموا بالله يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به واخلصوا
دينهم لله يعني واخلصوا طاعته واعمالهم التي عملوها
واردوا بها ولم يريدوا رياء وسمعة فهذه الامور
الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فكذلك قال الله تعالى
فاولئك يعني

فاولئك يعني التائبين من النفاق من المومنين يعني
في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المومنين وسوف يؤتي
الله المومنين اجرا عظيما يعني في الاخرة ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى
لا يعذب الشاكر المومن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه
وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لان الغني الذي
لا يحتاج الى شي من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر
اوجبه عليه العدل والحكمة فان اقمتم بشكر نعمته وامنتم
به فقد انقذتم انفسكم من عذابه قال اهل المعاني فيه تقديم
وتاخير تقديره ان امنتم وشكرتم لان الايمان متقدم على
ساير الطاعات ولان الشكر لا ينفع معه عدم الايمان
ولان الواو توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل
ينظر يعني ببصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده
وخلقه فيشكر اعظيما مبهما ثم اذا تمم النظر ثانيا انتهى به النظر
الى معرفة المنعم عليه امن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك
الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في
الذكر وكان الله شاكرا يعني مثيبا عباده المومنين موفيا اجورهم
والشكر من الله الرضي بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه
وقيل لما امر الله عباده بالشكر عليما يعني بحق شكركم وايمانكم

Copyright © King Saud University

سمي الجزا شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة
الله تعالى كونه مثيبا على الشكر عليما يعني بحق شكركم وايمانكم
فيجازيكم على ذلك لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
قال اهل المعاني معنى انه تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء ولا غير
الجهر به ايضا من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثنا
متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثنا منقطع ه
والمعنى لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلما
لا يجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك ه
يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص
في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق
مني او غصب ويحو ذلك وان شوتم جاز له ان يشتم بمثله ه
ولا يزيد شيا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا
فعلى الاول وفي رواية فعلى البادي منهما حتى يتعدى المظلوم
اخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو احد على
احد الا ان يكون مظلوما فانه قد ارخص له ان يدعو على
من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم انتهى خازن وان صبر فهو خير
له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل
اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد من الظلم

وقيل نزلت

وقيل نزلت الاية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يروه ولم
يحسنوا ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتي
وقال مقاتل هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته
فيخرج من عنده فله ان يشكر ما صنع به قال مجاهد هو الرجل
ان ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده
فيقول اساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في ابي بكر ه
الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم
حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل شيا
حتى رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما
رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت
هذه الاية وكان الله سميعا يعني لدعا المظلوم عليما
بما في قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق ان تبدوا خيرا
قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة و
والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء او تخفوه
يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة
تعملوا بها كتبت لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له
واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة
في قسمين احدهما صدق النية مع الحق والثاني مع الخلق

Copyright © King Saud University

مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين ايضا
وهما ايصال نفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة
بقوله او تعفوا عن سوء فدخل في هاتين الكلمتين جميع
اعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى
ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقرا جهرا او تخفوها فتعطوها
سرا او تعفوا عن مظلمة فان الله كان عفوا قديرا يعني لم يزل
ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عمن ظلمكم
واقتدوا بسنة الله عز وجل يعفو عنكم يوم القيمة
لانه اهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله
كان عفوا لمن عفى قديرا على ايصال الثواب اليه انتهى خازن.
فان قلت لماذا سمي ظفر المومنين فتح وسمي ظفر الكافرين
نصيبا قلت تعظيما لشان المومنين وتخسيسا لحظ
الكافرين ولان ظفر المومنين امر عظيم تفتح له ابواب
السماء حتى ينزل النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما هو
الا حظ دني ونصيبا خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في
الدنيا ولهم في الاخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب
الذي نالوه من المسلمين فالله يحكم بينهم يوم القيمة يعني
الفريقين فريق المومنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع
السيف عن المنافقين في الدنيا لاجل كراهتهم بل اخر عذابهم
الى يوم القيمة

الى يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا
ومنه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس
ان المراد به يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين
بدليل عطفه على قوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة روى
ان رجلا سال علي بن ابي طالب عن هذه الاية ولن يجعل الله
للكافرين على المومنين سبيلا وهم يقتلونا فقال ولن يجعل الله
للكافرين يوم القيمة على المومنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا
على المومنين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله
لم يجعل للكافرين على المومنين سبيلا بان يمحوا دولة المومنين
بالكلية ويستبيحوا بيضتهم فلا يرى احد من المومنين
وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المومنين سبيلا
بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيمة ويتفرع على
ذلك مسائل من احكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم
ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه
الاية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم
لا يقتل بالذمي بدليل هذه الاية انتهى خازن قال بن انما قيل
لانهم يفعلون ريا وسمعة ولو اراد بذلك القليل وجه الله
لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا المراد بذكر
الصلاة والمعنى انهم لا يصدقون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم

أحد من المؤمنين فلا يصلون وإذا كانوا مع المؤمنين ٥
يتكلفون تعلق ق عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين
تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة قوله العائرة بالعين
المهملة المتحيرة المترددة لا تدري لأي الغنمين ومعنى
تعير تتردد وتذهب على يمينا وشمالا مرة إلى هذه ومرة
إلى هذه لا تدري إلى أين تذهب ومثل هذا المنافق مرة ٥
مع المؤمنين ومرة مع المنافقين أو ظاهره مع المؤمنين
وباطنه مع الكافرين يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الآية
لما ذم المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين
أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين بقوله لا تولوا الكفار من
دون أهل ملتكم ودينكم فتكونوا كالمنافق أوجبت له النار
من المنافقين والسبب هذا أن الأنصار بالمدينة كان لهم
من يهود بني قريظة حلف ومودة فقالوا يا رسول الله
من نتولى فقال المهاجرين انتهى إن المنافقين في الدرك الأسفل
من النار يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات
بعضها تحت بعض سميت طبقات جهنم دركات لأنها
متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفلة عليهم تتوقد
فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل توابيت من حديد مقفلة
عليهم النار

عليهم النار انتهى خازن نزلت في اليهود أجمعين وذلك
أنهم آمنوا بموسى والتورية وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد ٥
صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى
جميعا وذلك أن اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم أجمعين ويريدون أن يفرقوا إلى آخره يعني ويريدون
أن يفرقوا بين الإيمان بالله والإيمان برسله ولا يصح الإيمان
بالله مع التكذيب ببعض رسله ويريدون أن يتخذوا بين
ذلك سبيلا يعني بين الإيمان بالبعض دون بعضهم
يتخذون مذهبا يذهبون إليه ودينا يدينون بها أولئك
يعني من هذه صفته هم الكافرون حقا يعني يقينا
وإنما قال ذلك توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم أن الإيمان
ببعض الرسل اسم الكفر وليعلم أن الكفر ببعض
الأنبياء كالكفر بكلهم لأن الدليل الذي يدل على نبوة البعض
وهو المعجزة لزم منه أنه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة
وقد وجدت المعجزة بجميع الأنبياء للزوم الإيمان بجميعهم
انتهى خازن يعني يسئلك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود
وذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود
قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا فأتنا بكتاب

Copyright © King Saud University

جملة واحدة من السماء كما اتى موسى بالتورية وقيل سالواه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم
وقيل سالوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان ٥
يشهد لك انك رسول الله ولان هذا السوال من اليهود سوال
تعنت واقتراح لا سوال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل
الايات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم
كانت قد تقدمت وظهرت ولان طلب الزيادة من باب التعنت
انتهى خازن فقد سالوا موسى اكبر من ذلك يعني اعظم من الذي
سالوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع
لليهود حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوال تعنت
والمعنى لا يعظمن عليك يا محمد مسالتهم ذلك فانهم من
افراط جهلهم واجترائهم على الله لو اتيتهم بكتاب من السماء
لما امنوا بك وانما اسند السوال الى الذين كانوا في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم وان وجد السوال من ابائهم الذين كانوا في
ايام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين
بسوالهم ومشاكلين لهم في التعنت فقالوا يعني اسلاف هولاء
اليهود ارنا الله جهرة فعفونا عن ذلك يعني عن ذلك الذنب
العظيم فلم نستاصل عبدة العجل والمقصود من هذا التسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هولاء الذين يطلبون منك ٥

يا محمد ان تنزل

يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا
او لجاجا فاني قد انزلت التورية جملة واحدة على موسى واتيته
من المعجزات الباهرات والايات البينات ما فيه كفاية
ثم انهم طلبوا الروية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل
ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد
وفي قوله نعفونا عن ذلك استدعا الى التوبة والمعنى ان اولئك
الذين اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم نعف عنكم
انتهى خازن ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما رفع لهم من الشبه
فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا يعني علمه علما
تاما واصل ذلك ان القتل للشي يكون عن قهر واستيلاء
وغلبة ومعنى الاية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما
تاما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن كذلك
حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما
قتلوه يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل انه يقينا يرجع الى
ما بعده تقديره وما قتلوه بل رفعه الله اليه يقينا والمعنى انهم
لم يقتلوا عيسى وما صلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره
من الذين كفروا وخلصه مما ارادوه به وقد تقدم كيف كان
رفعه في سورة ال عمران بما فيه كفاية وقوله تعالى وكان الله عزيزا
يعني في اقتداره على من يشاء من عباده حكيما يعني في انجاء عيسى

عليه السلام وتخليصه في اليهود وقيل عزيرا يعني منتقما
منتقما من اليهود وسلط عليهم طيطوس بن ستيسانوس
الرومي فقتل مقتلة عظيمة حكما حكم باللعنة والغضب على
اليهود حين ادعوا هذه الدعوة الثانية قوله تعالى وان
من اهل الكتاب يعني وما احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
يعني عيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته
هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله ليؤمنن
به يعني محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجد
للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الاية حتى يرجع الضمير اليه
وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان
عود الضمير اليه اولى قبل موته اختلف المفسرون في هذا الضمير
الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع
الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن
بعيسى قبل موته موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان
عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه
انه اذا وقع في الياس حين لا ينفعه ايمانه احترق او تردى
من شاهق او سقط عليه جدار او كله سبع او بخلة فقيل
له ارايت من خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهوى فقيل له
ان ضرب عنقه هل يتخلج بها لسانه وعن شهر بن حوشب

قال الحجاج

قال لي الحجاج اية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه
الاية وقال اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب
عنقه فلا اسمع ذلك منه فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت
ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا
فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا
فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حين لا ينفعه
ايمانه وقال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن
قلت قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض
بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم
هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل
ان يضطروا مع انتفاع جدواه وذهب جماعة من اهل التفسير
الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس
ايضا والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موته
وذلك عند نزوله من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل
الكتاب الا امن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
قال عطا اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني
ولا احد يعبد غير الله الا امن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل
على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم

يفيض
حكما قسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية و
المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة
خير من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شئتم وان
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا ه
فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن ه
القلاص فلا يسعى عليها احد ولتذهبن الشحنا والتباغض
والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه في الصحيحين
ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في اخر الزمان في هذه الامة
ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل برسالة ه
مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه
الامة واماما من ائمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب
يعني يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه
ويحذلك قاله لهم وقوله تعالى ولكن شبه لهم يعني ه
القي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلما في صفة
التشبيه الذي شبه على اليهود في امر عيسى عليه السلام فروى
الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهود عيسى عليه السلام
ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت واحاطوا بهم فلما ه
دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم
سحرتمونا

سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه
من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم وقال انا
عيسى وصوره الله تعالى على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه
فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى
مثل ذلك فرفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك
وفي رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن
بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم
يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه
فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى
فجحد وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذوا اخر فجحد كذلك
فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا
فقال ما تجعلوا لي ان دللتكم على عيسى فجعلوا له ثلاثين درهما
فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه
فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة
ذكر لنا ان اعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه و
ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف
عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله
فالقي شبهه على ذلك الرجل فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء
وقيل ان اليهود حبسوا عيسى وجعلوا عليه رقيبا يحفظه ونقل

Copyright © King Saud University

شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ فقتل وصلب ورفع الله
عيسى في مجلسه ذلك الوقت قال الطبري واولى الاقوال بالصواب
ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى القي على جميع من كان مع
عيسى في بيت حين احيط به وبهم من غير مسيلة عيسى اياهم ذلك
ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام
من كل مكروه ارادوه به من قتل وغيره وليبتلي الله من اراده
ابتلاه من عباده ويحتمل ان يكون القي شبهه على بعض اصحابه
بعد ما تفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك
فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه
هو عيسى لما راوا شبهه به وخفي امر عيسى عليهم وكان حقيقة
ذلك الامر عند الله تعالى فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه يعني في قتل عيسى هم
اليهود لفي شك منه يعني من قتله وذلك ان اليهود لما قتلوا
ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القي شبه على وجه ذلك
الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه
غير جسد عيسى واصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه
اليهم فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع
الله عز وجل عيسى الى السماء وصاحبهم فقالوا ان
كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين
المسيح هذا هو

المسيح هذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى
فبعضهم يقولون ان القتل وقع على ناسوت عيسى بدون لاهوته
وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رايناه
قتل وبعضهم يقول رايناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم
فيه قال الله تعالى ما لهم به من علم يعني انهم قتلوا من قتلوا على
شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى ام
غيره الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا قال ابن عباس لم يقتلوا
ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء عائدة على الظن
والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا
عظيما يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى
على خلق الولد من غير اب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم
هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما
هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر
عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك
فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم ثم
قوله عز وجل وقولهم انا قتلنا اي ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى
عليه السلام وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل
جميعا ورد عليهما بقوله وما قتلوه وما صلبوه وفي قوله رسول الله
قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله

Copyright © King Saud University

على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لا وجه الحكاية
عنهم ودبران الله ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول
القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته كما كانوا يذكرونه
من القول القبيح وقوله تعالى ولكنه شبه لهم يعني القي
شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب انتهى خازن يعني ورفعنا
فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان
بني اسرائيل امتنعوا عن قبول التورية والعمل بما فيها فرفع
الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد
والميثاق وقلنا لهم يعني والطور يظلهم ادخلوا
الباب سجدا فخالفوا ادخلوا وهم يزحفون على ستوائهم
وقلنا لهم لا تعدوا في السبت فاعتدوا واصطادوا
وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت واخذنا
منهم ميثاقا غليظا يعني واخذنا منهم عهدا مؤكدا
شديدا بانهم يعملون بما امرهم به وان ينتهوا عما نهاهم
الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق ونحو قوله تعالى
فبما نقضهم ميثاقهم يعني فبنقضهم وفيما فائدة للتوكيد
والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم
وفعلنا بهم ما فعلنا وكفرهم بايات الله يعني وبجحودهم
بايات الله الدالة على صدق انبياءه وقتلهم الانبياء

يعني بعد

يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم بغير حق اي
بذلك القتل وقولهم قلوبنا غلف يعني قلوبنا اوعية وقولهم
على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع اغلف
وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا اوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا
اليه فرد الله عليهم بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يعني
بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا
يعني ايمانهم بموسى والتورية وكفرهم بما سواه من الانبياء
والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل
هم عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا من اليهود انتهى
خازن وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعني
لا يقبلها ممن يبذلها من اليهود ولا يقبل من احد الا الاسلام
او القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم
فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا
اجباره على الاسلام ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيمة
بل القيمة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه
السلام بل الناسخ هذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لانه هو المبين للنسخ وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة
محمد صلى الله عليه وسلم على ان الامتناع من قبول الجزية في ذلك

Copyright © King Saud University

الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم ويوم
القيمة يكون عليهم شهيدا يعني يكون عيسى عليه السلام
شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى
انهم اتخذوه ربا واشركوا به ويشهد على تصديق من
صدقه منهم وامن به قال قتادة معناه ان يكون شهيدا
يوم القيمة انه قد بلغ رسالة ربه واقر على نفسه بالعبودية
انتهى خازن فبظلم من الذين هادوا الى اخره يعني حرمنا
عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم لاجل ظلم عظيم
ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكروه من نقضهم الميثاق
وما عدد عليهم من انواع الكفر والكبائر العظيمة مثل
قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وكقولهم ارنا الله جهرة
ولعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات
كانت لهم حلالا وهي ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وقال الطبري في معنى
الاية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا
به ربهم وكفروا بايات الله وقتلوا انبيائهم وقالوا
البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه
من المطاعم وغيرها التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم
الذي اخبر الله عنهم وروى عن قتادة قال عوقب القوم
بظلم

١٦٠

بظلم ظلموه وبغي بغوه حرمت عليهم اشيا ببغيهم وظلمهم
انتهى خازن لكن الراسخون في العلم منهم يعني من اليهود وهذا
استثنا استثناه الله عز وجل عن امن من اهل الكتاب ممن
تقدم وصفهم وصفتهم في الايات التي تقدمت بتبيين فيما
تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الاية حال من
هذه المدينة منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون
في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثنا والراسخون
في العلم الثابتون في العلم المبالغون فيه اولوا الابصار النافذة
والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا
من اهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته
فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
يعني بالله ورسله يؤمنون بما انزل اليك يعني بالقران الذي
انزل اليك وما انزل من قبلك يعني ويؤمنون بسائر الكتب
التي انزلها الله على انبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد
بالمؤمنين هنا قولان احدهما اهل الكتاب والثاني
المهاجرون والانصار انتهى خازن وما انزل الله على احد من
هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى
فهذا لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على واحد هؤلاء
الانبياء قادحا في نبوته فكذلك لم يكن انزال القران

Copyright © King Saud University

على محمد صلى الله عليه وسلم قادحًا في نبوته بل قد انزل عليه كما
انزل عليهم قال المفسرون وانما بدا الله عز وجل بذكر نوح
عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير على المشركين
وانزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان اول عذبت امته
لرد هود دعوته واهلاك اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كادم
عليهما السلام وكان اطول الانبياء عمرا عاش الف سنة لم تنقص
قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره
ثم ذكر الله الانبيا من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده
ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال واوحينا
الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم
اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمان واتينا داود زبورا يعني واتينا داود كتابا مزبورا
يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل
على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم حلال
ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثنا على الله عز وجل
ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم
ويقرا الزبور وتقوم علما بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس
خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف
الجن وتجي الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف

الطيور على راس

الطيور على راس الناس وهم يستمعون لقراءة داود
ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل
كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية وعن ابي
موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو
رايتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا
من مزامير داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله
يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرا
التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلما انما لم يكن يذكر موسى
في هذه الاية لان الله تعالى انزل عليه التورية جملة واحدة وكان
المقصود من ذكر من الانبياء في الاية لم ينزل على احد منهم كتابا
جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى ورسلا
قد قصصناهم عليك من قبل لما نزلت هذه الاية المتقدمة
قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الاية وفيها
ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم
عليك من قبل يعني سميناهم في القران وعرفناك اخبارهم الى
من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم ورسلا لم نقصصهم
عليك اي لم نسمهم عليك ولم نعرفك اخبارهم قال
اهل المعاني الذين نوه الله تذكرهم من الانبيا يدل على
تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما

Copyright © King Saud University

يعني خاطبه من غير واسطة لان كلّم بالمصدر يدل على
تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا اشك
لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال اراد الحائط
يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما
في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب يسمي كلما
يوصل الى الانسان كلاما باي طريق لكن لا تحققه بالمصدر
فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى
تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة
وروى الطبري بسنده عن عدة طرق عن كعب الاحبار قال
كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلم الله
موسى بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا افهم حتى كلمه بلسانه
اخر الالسنة فقال يا رب هذا كلامك قال لو سمعت كلامي
يعني على وجهه لم يكن شيئا قال موسى يا رب هل في خلقك شيء
يشبه كلامك قال لا واقرب خلقي شبها بكلامي اشد ما يسمع
من الصواعق قال بعض العلماء كما ان الله تعالى خص موسى
عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة
من الانبيا فكذلك انزال التورية عليه جملة واحدة لم
يكن قادحا في نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء
قوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين يعني انا اوحينا

اليك

١٦٢

اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اولاد
النبيين رسلا الى خلقي مبشرين من اطاعني واتبع امري وصدق
رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف
امري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن
سؤال اليهود وانزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود
من بعثة الرسل وهو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده
والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف فذلك وهذا
المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما
متفرقة اولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال
الكتاب عليهم لم تكن تعرف شيئا من العبادات
ولم تألفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع
التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد نفورا
من تلك التكاليف وثقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى
بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه
واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا
احكام التورية الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القران
نجوما متفرقا لكن الله يشهد الاية قال ابن عباس دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم والله اعلم انكم
لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه

Copyright © King Saud University

الاية وفي عنه قال ان رؤسا مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد انا نسئلهم عن اليهود عنك وعن صفتك في
كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن
الله يشهد بما انزل اليك يعني ان جحد هؤلاء يا محمد وكفروا
بما اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا
فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك
من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان تشهد وان القران
لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه انزل عليك وشهادة
الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القران البالغ في الفصاحة
والبلاغة الى حد عجز الاولون والاخرون عن معارضته
والاتيان بمثله فكان معجزا واظهار المعجزة شهادة ه
يكون المدعي صادقا لاجرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك
يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القران الذي انزل عليك انزله
بعلمه يعني تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين
صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلمه قال وحكم
باللغة معناه انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله عليك
وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه انزله بما علم من مصالح
عباده انزاله عليك انتهى خازن والمقيمين الصلاة اختلف العلماء
في وجه نصبه فحكي عن عايشة وابان بن عثمان انه غلط من الكتاب

ينبغي

١٦٠٣

ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلوة قال عثمان بن عفان
ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتهم فقيل
له افلا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم
حلالا وذهب عامة الصحابة وساير العلماء من بعدهم
الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطا من كاتب ولا غيره
واجيب عن ما ورد عن عثمان بن عفان وعايشة وابان
بن عثمان بانه هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القران
هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف
يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي
ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان
لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيئا فاسدا
ليصلحه غيره ولان القران منقول بالتواتر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري
في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع اللحن في خط
المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب
سيبويه على مثله وهو شواهد وربما غبي عليه ان
السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام
وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة
ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم اذا اختلف

Copyright © King Saud University

العلماء في المقيمين الصلوة اهم الراسخون في العلم ام غيرهم
على قولين احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر
المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة قالوا والعرب تفعل
ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح او ذم
فربما خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا
باخره الى اعراب اوله وربما اجروا بين اعراب اخره على اعراب
اوسطه وربما اجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا
على معنى الاية لا يبعدون قومي الذين هم سم العداة وافة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر وهذا على
معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى قول جاء في مولد
المطعمين وهم المعينون والقول الثاني ان المقيمين الصلوة غير
الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلوة خفض بالعطف
على قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الاية
والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين
الصلوة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع احدهم عن اقام الصلوة
وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني
واختاره والمؤتون الزكوة عطف على والمؤمنون لانهم من
صفتهم والمؤمنون بالله واليوم الاخر يعني والمصدقون

بوحدانية الله

بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب
والعقاب اولئك يعني من هذه الاوصاف صفتهم سنؤتيهم
اجرا عظيما يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله
واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده قال ابن عباس قال عدي بن زيد
يا محمد ما نعلم ان الله انزل على بشر من شيء من بعد موسى فانزل
الله هذه الايات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سوالهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء
جملة واحدة فاجاب الله عز وجل عن سوالهم بهذه الاية
فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح
وبجميع الانبياء المذكورين في هذه الاية وهم اثنا عشر نبيا
والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هولاء الانبياء وانتم يا معشر
اليهود معترفون بذلك لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا
فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار
على عيسى ان يكون عبدا فنزلت لن يستنكف المسيح يعني
لن يانفوا لن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع
الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اي من انفت

منه واصله من نكفت الشيء نحيته ونكبت الدمع اذا نحيته
باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولن يمتنع ولن يانف
المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون يعني ولن
يستنكف الملائكة وهم حملة خلقه وقيل لما ادعى النصارى
في عيسى انه ابن الله لما راوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه
الشبهات التي وقعت للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته
لن يستنكف ان يكون عبدا وكذلك الملائكة المقربون وانهم
مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله
وقد يستدل بهذه الاية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه
الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى
الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه انه تعالى لم يقل ذلك
رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة
بنات الله وانهم الهة كما رد على النصارى فانهم يقولون بتفضيل
الملائكة يعني كما ان عيسى عبد الله فكذلك الملائكة عبيد لله
يستفتونك الاية نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري وعن جابر
بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
يعودانى ماشيين فاغمي علي فتوضا النبي صلى الله عليه وسلم ثم
صب علي من وضوئه فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم

١٦٥

فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم
يرد علي شيئا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة وفي رواية قلت يا رسول الله انما يرثني
كلالة فنزلت اية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا نزلت
وفي رواية للترمذي وكان لي تسع اخوات حتى نزلت
اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولابي داود
اشتكيت وعندي سبع اخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله اوصي لاخواتي
بالثلثين قال احسن قال بالشطر قال احسن ثم خرج وتركني
فقال يا جابر ما اراك ميتا في وجعك هذا وان الله
قد انزل فبين لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان
جابر يقول انزلت هذه الاية في يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة وروى الطبري عن قتادة ان الصحابة اهمهم
شان الكلالة فسالوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
هذه الاية وروى ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه
حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها
حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سال

Copyright © King Saud University

حذيفة عنها فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها
وجاء ان يكون عند تفسيرها فقال له حذيفة والله
انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك
فيها ما لم احدثك فقال الوار هذا رحمه الله واما التفسير فقوله
تعالى يستفتونك يعني يسالونك ويستخبرونك انتهى خازن

بسم الله الرحمن الرحيم سورة العقود

يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود
التي امر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب
والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود
التي عهدتها اليكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به
وقيل هو خطاب للمومنين امرهم بالوفا بالعقود قال
بن عباس عهود الايمان وما اخذه على عباده في القران
فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية
كان يعاقد بعضهم بعضا على النصر والموازرة على من
حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا
يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقول وفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في
الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم

وما يعقده

١٦٩

وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين
وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد
بعضهم وعقد الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندنا بالصواب
ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا ايها المومنون بعقود الله التي
اوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرم والزمكم فرضه وبين لكم
حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى
اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى احلت
لكم الانعام هذا خطاب للمومنين خاصة والبهيمة اسم لكل
ذي اربع من الحيوان لكن خص في التعارف لما عدا السبع
والضواري والوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت
عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة وه
والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل
فيها ذوات الحافر في قول جميع اهل اللغة واختلفوا
في معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل
والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة
الى الانعام ليدخل جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردها
فقال البهيمة لدخل فيها ما يحل وما يحرم من البهايم فلهذا قال
احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد
ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذكره اهل العلم

Copyright © King Saud University

الى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن
ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين
ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجة وفي رواية
ابي داود قال قلت يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة
والشاة ونجد في بطنها الجنين انلقيه او ناكله قال
كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري
عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في
بطنها قال عطية انما قلت ان خرج ميتا اكله قال
نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين
من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة ذبحت ووجد
في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال
هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام
الخلقة قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه
ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو
حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة امه
انتهى خازن اليوم اكملت لكم دينكم نزلت هذه الاية في يوم
الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف
بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق
وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة

ق عن طارق

ق عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن
الخطاب فقال يا امير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤونها لو
علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا
قال فاي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا قال عمر اني لاعلم اليوم الذي
انزلت فيه والمكان الذي انزلت فيه نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعرفات يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك
اليوم كان عيدا لنا وعن ابن عباس انه قرا اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الاية علينا لاتخذناها
عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم
جمعة في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي
انتهى خازن قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد
يوم جمعة ويوم عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى
وعيد للمجوس ولم يجتمع اعياد للملل في يوم واحد قبله
ولا بعده وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا
في زيادة من ديننا فاما اذ اكمل فانه لم يكمل شيء
الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدى وثمانين يوما ومات
صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع
الاول وقيل لاثني عشر ليلة وهي الاصح سنة احدى عشر من
الهجرة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم في قوله ولا
تم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا
مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين ورضيت لكم الاسلام
دينا يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل
معناه ورضيت لكم الاستسلام لامري والانقياد لطاعتي
فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين
الذي اكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا
يوم نزلت هذه الاية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا
بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الاية لانه لم يزل
يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المومنين من حال
الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم
شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجات مراتبه ثم
انزل عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني
بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وانتم الان عليه
والزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر بن
عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل
قال الله عز وجل

قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخا
وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن
قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لاهل كل دين دينهم يوم القيمة
فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم في الخير حتى يجي
الاسلام فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام فيقول
اياك اليوم اقبل وبك اجزي انتهى خازن قوله تعالى وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم يعني وذبايح اهل الكتاب حل
لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر
الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حل لكم واما من دخل
في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم من تنصر من
العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن ابي
طالب من ذبايح نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا
بشي من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود وهو
مذهب الشافعي انه من دخل في دين اهل الكتاب بعد
نزول القران فانه لا تحل ذبيحته وسئل ابن عباس عن
ذبايح نصارى العرب فقال لا باس به ثم قرا ومن
يتولهم منكم فانه منهم وبهذا الحسن وعطا ابن رباح
والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو
مذهب ابي حنيفة ومالك واحد الروايتين عن احمد والرواية

Copyright King Saud University

الاخرى مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبايح
المجوس وساير اهل الشرك من مشركي العرب وعبدة
الاصنام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام
الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم خاصة لان ماسوى الذبايح
فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم
فلا يبقى بتخصيصها باهل الكتاب فايدة ولان ما قبل
هذه الاية في بيان الصيد والذبايح فحمل هذه الاية عليه
اولى ولان ساير الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي و
غيره وانما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب دل على ان
المراد بطعامهم ذبايحهم واختلف العلما فيما لو ذبح يهودي
او نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول
ربيعة وذهب اكثر العلماء الى انه يحل سئل الشعبي وعطا عن
النصراني يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد احل ذبايحهم
وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي او النصراني
وذكر غير اسم الله فانت تسمع فلا تاكل واذا غاب عنك فكل
فقد احل الله لك وقد زعم قوم ان هذه الاية اقتضت اباحة
ذبايح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون
هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله
عند الذبح

عند الذبح فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم
الله لم تاكله ولا وجه للنسخ انتهى خازن قوله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب يعني واحل المحصنات من اهل
الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس الحراير من اهل الكتاب قال
الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفائف من اهل
الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية
وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان
الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج بالامة
الكتابية وهو مذهب ابي حنيفة لعموم هذه الاية واختلف
العلما في حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقها الى جواز التزوج
بالذمية من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان تزوج
بنايلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية انتهى خازن قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله الاية اي منع ايديهم
ان تمد اليكم عقب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها
اليكم وفيه الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة
بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعري عنه الكف بعد
المد على ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين راوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة
ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من

من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون
الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من
ابائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يواقعوا بهم اذا
قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل هو
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان
وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما
عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا
القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سالت فاجلسوه
في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة
يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه السلام
فاخبره وخرج عليه السلام وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم
نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون بها فعلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه
وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله تعالى فاسقط
جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني
فقال لا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انتهى ابو السعود
قوله تعالى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا روي ان بني اسرائيل لما استقروا
بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض
الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها

لكم

لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني
ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط نقيبا
امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به وثقة عليهم
فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل
لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء
يتجسسوا فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا
وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق
الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط
افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء
الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة
الاف وثلثمائة ثمانية وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة الاف
سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في
الحزمة وانطلق بهم الى امرأته وقال انظري الى هؤلاء الذين
يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها
وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا
قومهم ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل
عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء
قال بعضهم ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا
عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون فيكونان

Copyright © King Saud University

يريان رايهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا
الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقوم رجل
فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم
ويخبرهم بما راوا الا كالبا ويوشع وكان معسكر بني اسرائيل
فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل
فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه
ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها
المحاذي لراسه فانثقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته
واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا
فترامى في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو
مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى
حزوا راسه وقال الله اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون
الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه
تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني
معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فاني مطلع
على علمه بكل ما ياتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته
وسلطوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء
والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم
وارى اعمالكم واعلم ضمايركم فاجازيكم بذلك هنا وقيل

المراد

هو الميثاق

المراد بالميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني
اسرائيل الذين ينقبون احوالهم ويلون امورهم
بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى لئن
اقمتم الصلاة الاية فاعف عنهم واصفح اي فاعف عن زلاتهم
يا محمد انتهى ابو السعود واصفح عن جرمهم وعن مواخذتهم
وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله
تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية قاله
قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين
النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد
فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه
الاية فلم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدرة
فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا عن اداء الجزية
والصغار وعلى القول بانها غير منسوخة يكون المعنى فاعف
عن مومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه
فاعف عن صغائر زلاتهم ما داموا باقين بالعهد ومن الذين
قالوا انا نصارى الاية لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه
بذكر نقض النصارى النفاق وان سبيل النصارى مثل سبيل
اليهود في نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين
قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا

هذا الاسم وسموا به انفسهم لا ان الله تعالى سماهم به
اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل ان يؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم فنسوا حظا مما ذكروا به يعني وتركوا ما
امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فاغرينا بينهم
العداوة والبغضا الاية قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله
وعصوا رسله وضيعوا فرايضه وعطلوا حدوده القى الله
العداوة والبغضا بينهم وقيل العداوة والبغضا هي
الاهوا المختلفة وفي الها والميم من قوله تعالى بينهم قولان
احدهما ان المراد بهما اليهود والنصارى فان العداوة
والبغضا حاصلة بينهم الى يوم القيمة والقول الثاني ان المراد
بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم يكفر الاخرى انتهى خازن
قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قال
ابن عباس هولاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة
وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى انهم
يقولون في المسيح ابن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا فلما
كان اعتقادهم كذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر
الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى قل يا محمد لهولاء
النصارى الذين يقولون هذه المقالة فمن يملك يعني يقدر ان
يدفع من الله شيا يعني من امر الله شيا ان اراد ان يهلك
المسيح

المسيح بن مريم وامه يعني يعدم المسيح وامه ومن في
الارض جميعا ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان
المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع امر الله اذا
اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرها ولله ملك السموات والارض
وما بينهما انما قال وما بينهما ولم يقل بينهن لانه اراد
ما بين هذين النوعين او الصنفين من الاشيا انها ملكه
واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده يخلق ما يشاء
يعني من غير اعتراض فيما يخلق لانه خلق ادم من غير اب وام
وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق ساير الحيوان من اب وام
انتهى خازن وقالت اليهود والنصارى الاية حكاية شناعة
لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها
بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود
نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه
المسيح كما قيل لاشياع خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون
وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعى جماعة من اليهود الى الاسلام
وخوفهم بعقاب الله قالوا كيف تخوفنا به ونحن ابنا الله
واحباوه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال
لهم اني اذهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب

Copyright © King Saud University

لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة
وبالجملة انهم يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى
على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قل الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اي
ان صح مازعمتم فلاي شي يعذبكم في الدنيا بالقتل
والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في
الاخرة بالنار اياما بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان
الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع
ابو السعود قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
الاية لما ذكر موسى قومه ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج
الى جهاد عدوهم فقال ادخلوا الارض المقدسة يعني
المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت
مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال
الكلبي صعد ابراهيم جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك
بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هي
الطور وما حوله وقيل هي اريحا وفلسطين وبعض
الاردن وقيل دمشق وقيل هي الشام قال كعب الاحبار
وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله في ارضه
وبها اكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ

وانها

وانها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وامركم
بسكناها وقيل وهبها الله لكم فهي خازن قال رجلان
استئناف كما يقال كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم
البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون اي يخا
فون الله تعالى دون العدو ويتقون به في مخالفة امره
ونهيه وبه قرا ابن مسعود وفيه تعريض بان من عدا
هما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين
يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يو
شع بن نون وكالب بن يوفنا من النقبا وقيل هما رجلان من
الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام قالوا وحينئذ
لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم يعود
العائد المحذوف اي من الذين يخافهم بنوا اسرائيل
ويعضده قراءة من قرا يخافون على صيغة المبني للمفعول
اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي
من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم العدو
انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف
على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو
صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في

يخافون او من رجلان لتخصيصه بالصفة اي قال
مخاطبين لهم ومشجعين انتهى ابو السعود قوله تعالى
فاذا دخلتموه فانكم غالبون من غير حاجة الى قتال
فانا قد رايناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان
كانت اجسامهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم
في المضائق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل
انما حكما لما علماه من جهة موسى ومن قوله تعالى كتب
الله لكم ولما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما
عهد من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر
اعدائه والاول انسب تعلق الغلبة بالدخول انتهى
ابو السعود قوله تعالى قال فانها اي الارض المقدسة
والفا للترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم
تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها
لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد
وحيث ما نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا
خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا
لمحرمة يكون تحريما موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا
لقوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه
لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لا بمعنى ان كلهم يدخلونها

بعدها

بعدها بل بعضهم ممن بقي حيا روي ان موسى عليه السلام
سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون
على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله ثم قبضه عليه السلام
وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها
مع موسى عليه السلام النواشي من ذرياتهم فالموقت بالاربعين
في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريما عليهم
لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله
تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البرية استئناف
لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف
متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا اه
قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين
فرسخا انتهى خازن قيل لما رجع ادم من مكة سال قابيل
عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جلدك وقيل ان ادم مكث بعد هابيل مائة سنة
لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الارض مغبر قبيح   تغير كل ذي طعم ولون
وقل بشاشة الوجه المليح   قال الزمخشري ويروى
انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون
وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال

Copyright © King Saud University

قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما
قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقا من
المعلمين فكيف ينسب الى من جعله الله علمه حجة على الملائكة
من اجل ذلك يعني بسبب ذلك القتل الذي وقيل الاجل في اللغة
الجناية يقال اجل عليهم شرا اي جنا عليهم شرا كتبنا اي فرضنا
واوحينا على بني اسرائيل فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل ما
امر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل وهذا مشكل
لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب
القصاص على بني اسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام
الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني
من اجل انه قتلها بل لم يواره ويروى عن نافع انه كان
يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى
هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني
على ان قوله من اجل ذلك ابتدا كلام وليس توقف عليه فعلى هذا
قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة
قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من
انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله
فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة
في الدين والدنيا والاخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين
وفيه اشارة

وفيه اشارة الى انه خطر في انواع من الندم والحسرة والحزن
مع انه لا دافع لذلك البتة انتهى خازن قوله تعالى فكانما
قتل الناس الاية قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار
بقتلها كما يصليها بقتل الناس جميعا وقال ابن عباس من
قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد
عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل معناه
ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه القصاص مثل الذي يجب عليه
لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني من غرق او حرق
او وقوع في هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعني ان له من
الثواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من
استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس لانهم
لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل
جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني قوله ومن احياها
على المجاز لان المحيي هو الله في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها
من الهلاك فكانما نجا جميع الناس منه انتهى خازن وعن انس
بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
وتكلموا في الاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن
اهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم
بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربون من البانها

وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد
الاسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في اثره فامر بهم
فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى
ماتوا على حالهم شرح غريب هذا الحديث وحكمه قوله انا كنا اهل
ضرع يعني اهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من اهل
المدينة والريف هي الارض التي فيها زرع وخصب والجمع ارياف
قوله استوخموا المدينة يعني انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله
فاستوخموا المدينة وهو معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى
العشرة والحرة وهي ارض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لارض
بظاهر المدينة معروفة قوله فسمروا اعينهم معناه انه حمي
مسامير الحديد وكحلها اعينهم حتى ذهب بصرها انتهى خازن مختصرا
وللعلماء في لفظة او المذكورة في هذه الاية قولان احدهما انه للتخيير
وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن
المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في امر المحاربين فان
شاء قتل وصلب وان شاء قطع وان شا نفى من الارض كما هو ظاهر
الاية والقول الثاني لفظة او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية
الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلماء لان الاحكام تختلف
فترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرايم وهذا كما روي عن ابن

عباس

عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا
واذا قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا واخذوا المال ولم يقتلوا قطعت
ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم ياخذوا
مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي واصحاب
الراي انتهى خازن قوله تعالى ان الذين كفروا الاية يعني ان الكافر
لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب
يوم القيمة لم يقبل منه لدفع العذاب والمقصود من هذا ان العذاب
لازم للكافر وانهم لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه وفي
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
لاهون اهل النار عذابا لو كانت الدنيا كلها لك اكنت مفتديا
بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت
في صلب ادم الا تشرك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة
فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري يقال
يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك مثل
الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت
سالت ما هو ايسر من ذلك اذ لا تشرك به انتهى خازن
الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على
خاين ولا منتهب ولا مختلس قطع اخرجه الترمذي والنسائي
المسئلة الرابعة اذا سرق مالا فيه شبهة كما لو سرق

Copyright King Saud University

من مال والده او الولد سرق من مال ابنه والعبد يسرق من مال
سيده او الشريك يسرق مال شريكه فلا قطع على احد من هؤلاء
فيه المسئلة الخامسة اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من
الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم
واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع
يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق
بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابي بكر
وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روى عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق قال ان سرق
فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي
بغير سند وذهب قوم الى ان من سرق بعدما قطعت
يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروى عن علي انه اتى
استحي ان لا ادع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها
وهو قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحاب
الراي انتهى خازن قوله تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن
يشاء قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر
لمن يشاء على الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته
وكفره بالقيد والقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر
لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب

وانما قدم

وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة السرقة على التوبة
وهذه الاية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة
للمطيع والعذاب للعاصي لان الاية دالة على ان التعذيب والرحمة
مفوضة الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب اخر انه تعالى
لما اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في ملكه
كيف يشاء ولا اعتراض لاحد عليه في ملكه ويؤيد ذلك
قوله والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على تعذيب من اراد
تعذيبه من خلقه وغفران ذنوبه من اراد اسعاده
انقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى
يا ايها الرسول هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف
وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا ايها النبي في مواضع
كثيرة من كتابه وبيا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والاخر
قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر يعني لا تهتم بموالاة الكفار ولا تبال
بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم من الذين قالوا امنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم يعني قلوبهم المنافقين لانهم
اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين
ومن الذين هادوا اي وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا
يحتمل الوجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن هادوا

Copyright © King Saud University

ثم ابتدا الكلام بقوله سماعون للكذب ويكون تقدير الكلام
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين
هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه
الثاني مذكور في خازن فراجع اليه قوله تعالى يحرفون الكلم
يعني يغيرون حدود الله التي اوجبها عليهم في التورية
وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال انهم يغيرون
ما سمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال
ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلام فحذف ذكر الحكم
لمعرفة السامعين به من بعد مواضعه يعني من بعد
ان وضعه الله بمواضعه وفرض فروضه واحل حلاله
وحرم حرامه فان قلت قد قال عز وجل هنا يحرفون
الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع اخر يحرفون الكلم
عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق
وذلك انا اذا فسرنا يحرفون عن مواضعه بالتاويلات
الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون
تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من
بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين
يعني انهم كانوا يذكرون التاويلات الفاسدة وكانوا
اللفظ من الكتاب ففي بيان قوله يحرفون الكلم عن مواضعه

اشارة

اشارة الى التاويلات الباطلة في قوله من بعد مواضعه
اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية سماعون للكذب
اكالون للسحت نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف
ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن
كان الحاكم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها
اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع
الكذب وياكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستيصال
يقال سحت لانها تستاصل دين المرتشي والسحت كل حرام
يحمل عليه شدة الرشوة وهو يرجع الى الحرام الخبيث الذي
لا يكون له بركة ولا لاخذه مروة ويكون في حصوله عار
بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك
فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي
انتهى خازن قوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله
يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا
كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا
احكامه وشرايعه وقد اخذ الله على العلماء حفظ كتابه من
هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في
صدورهم ويدرسون بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا

تعيين

احكامه ولا يهملوا شرايعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قاموا
بحفظه وكانوا عليه شهدا يعني ان هولاء النبيين
والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى
ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله فلا تخشوا
الناس واخشون هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من
من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم
واخشون يعني في كتمان ذلك ولا تشتروا باياتي ثمنا
قليلا يعني ولا تستبدلوا بايات الله واحكامه ثمنا
قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم
والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك
انهيكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه واخذ
الرشوة فان كل ذلك متاع وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون وفي اخرى فاولئك هم الظالمون
وفي اخرى فاولئك الفاسقون قال جماعة من المفسرين
ان الايات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله
من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر
وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة
هذا القول ما روى عن البراء بن عازب قال انزل الله تبارك

وتعالى

وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وفي
اخرى فاولئك هم الظالمون وفي اخرى فاولئك هم الفاسقون
في الكفار كلها اخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه
الايات الثلاث في اليهود خاصة قريظة والنضير اخرجه
ابو داود وقال مجاهد هذه الايات الثلاث من ترك الحكم
بما انزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة
ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم
يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار
الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله التي اتت بها
الانبيا باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس اكافر
من لم يحكم بما انزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة
كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ونحو هذا
روي عن عطا قال هو كفر دون كفر وقال ابن مسعود والحسن
والنخعي هذه الايات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة
فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم
وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا
فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره واما
من خفي عليه النص واخطا في التاويل فلا يدخل في هذا الوعيد

والله اعلم انتهى خازن قوله تعالى وكتبنا عليهم الاية واعلم ان
هذه الاية دالة على هذا الحكم كان شرعا في التورية فمن قال شرع
من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الاية حجة
في شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسئلة
ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته بعد البعثة هل هم متعبدون
بشرع من تقدم من الانبياء فنقل عن اصحاب ابي حنيفة و بعض
اصحاب الشافعي وعن احمد في احدى الروايتين عنه انه كان
متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة
كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختار ابن الحاجب من المتاخرين
هذا المذهب هو محمد صلى الله عليه وسلم كان بعد البعث متعبدا
بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته
لكنه لم يعتبر فيه الوحي وهو الحق والا لم يبق للنزاع معنى
ان ينكر احد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة
بما اوحي اليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا وذهب الاشاعرة
والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار السيف الامدي
من المتاخرين واحتج الاولون بصحة مذهبهم ان الاجماع
منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها
ان النفس بالنفس الاية مع انه من شريعة من قبلنا
لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا

متعبدون

متعبدون بشريعة من قبلنا ما صح هذا الاستدلال فمن تصدق
به فهو كفارة له في ها له قولان ان الهاء في له كناية عن
المجروح وولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة
لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن
ويدل عليه ما روي عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشيء من جسده فيتصدق
به الا رفعه الله به درجة وحط عنه بها خطيئة اخرجه
الترمذي وعن انس قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
رفع اليه فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابو داود
والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى
الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفا عن الجاني كان
ذلك العفو كفارة لذنوب الجاني لا يؤاخذ به في الاخرة
وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص
كفارة له فاما اجر العافي فعلى الله تعالى انتهى خازن قوله تعالى
وان احكم بينهم بما انزل الله قال ابن كعب ابن اسيد وعبد الله
بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا
بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد
قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا

Copyright © King Saud University

خصومة فتحاكم اليك فاقض لنا عليهم ونؤمن بك
ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
يعني لتحكم بينهم يا محمد بالحكم الذي انزله الله في كتابه
ولا تتبع اهواهم يعني فيما امروك به قال العلما ليس في
هذه الاية تكرار لما تقدم وانما نزلت في حكمين مختلفين
الاية الاولى فنزلت في شان رجم المحصن وان اليهود طلبوا
منه ان يجلد وهذه الاية نزلت في الدما والديات فيما تحاكموا
اليه في امر قتيل كان بينهم قال بعض العلما هذه الاية
ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهما او اعرض عنهم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود الاية لما
كانت وقعة احد اشتد الامر على طايفة من الناس وتخوفوا
ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق
بفلان اليهودي واخذ منه امانا اني اخاف ان
يدال علينا اليهود وقال رجل اخر انا الحق بفلان النصراني
من اهل الشام واخذ منه فانزل الله هذه الاية ينهاهم
عن موالاة اليهود والنصارى بعضهم اولياء بعض يعني
ان بعض اليهود انصار البعض على المومنين وان النصارى
كذلك يد واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم ومن
يتولهم منكم فانه منهم يعني ومن يتولى اليهود والنصارى
دون المومنين

٢٦١

دون المومنين فينصرهم على المومنين فهو من اهل دينهم
وملتهم لانه لا يتولى مولى احدا الا وهو راض به وبدينه
واذا رضيه اليهود والنصارى وكل من خالف ورضي دينه
فهو صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم
في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف الاسلام وروي
ان ابا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا
نصرانيا فقال ما لك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا
يعني مسلما اما سمعت قول الله عز وجل لا تتخذوا اليهود
والنصارى اوليا بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم
اذا اهانهم الله ولا اعزهم اذا اذلهم الله ولا ادنيهم اذا ابعدهم
الله قلت انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني
والسلام يعني هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد
موته فاعمله الان واستغن عنه بغيره من المسلمين من يرتد
منكم عن دينه الاية يعني يرجع منكم عن دينه الحق الذي
عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد
الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او غير ذلك
من اصناف الكفر فلن يضر الله شيا وانما ضر نفسه برجوعه
عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال
الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجع عن الاسلام بعد موته

Copyright © King Saud University

نبيّهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سياتي بقوم يحبهم
ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشر فرقة من
العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي
وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج
عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه
الله تعالى بيد فيروز الديلمي فبيته وقتله فاخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتله فسر المسلمون
بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد
واتى خبر قتله في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم
قوم مسيلمة الكذاب تنبا وكتب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله
اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى
مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وسياتي قصة
قتله فيما بعد وبنو اسد وهم قوم طلحة بن خويلد
تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقاتله

فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد
ذلك فحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة
ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن
الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري
وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم
مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح
بنت المنذر المتنبية التي زوجت نفسها من مسيلمة
الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو
بكر بن وائل قوم الحطمي بن يزيد فكفى الله امرهم على
يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة
ارتدت فكفى الله امرهم بخلافة عمر بن الخطاب وهم
غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في معنى
قوله فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فقال علي
بن ابي طالب انهم خارج واذا ناديتم الى الصلاة الاية
وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان
حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع بمثله
فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت
الانبياء قبلك ولو كان خيرا لكان اولى الناس به الانبياء

Copyright © King Saud University

لمن ابى له الصياح لان صياح العير فما اقبح هذا الصوت
وهذا الامر فانزل الله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله الاية وانزل واذا ناديتم الى الصلاة الاية ذلك بانهم
قوم لا يعقلون يعني ان هزوهم ولعبهم من افعال
السفها والجهال الذين لا عقل لهم انتهى خازن فسوف
ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه والحسن وقتادة هم ابو بكر واصحابه
الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم
تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين
من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله
بهم الدين ولما ارتد من العرب ومنعوا الزكاة فهم
ابو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد
عصم مني ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله فقال
ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلوة والزكوة فان
الزكوة حق المال والله لو منعوني عناقا او عقالا كانوا يؤدونها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال
انس بن مالك

قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكوة وقالوا
هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا
بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك
في الابتداء وحمدناه عليه في الانتهاء وقال ابو بكر بن عياش
سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل
من ابي بكر الصديق قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل
الردة وقالت عايشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابي بكر ما لو نزل
بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد
بن الوليد في جيش كبير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم
مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشي
غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول
قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد
بذلك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس
وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس
وقال قوم المراد بقوله فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روي
عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الاية فسوف
ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

هم قوم هذا يعني ابا موسى الاشعري اخرجه الحاكم
في المستدرك وقيل هم اهل اليمن م عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم
ارق افئدة والين قلوبا الايمان يماني والحكمة يمانية
وقال السدي نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين
وقيل هم احياء من اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من
اهل كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس جاهدوا
في سبيل الله يوم القادسية على خلافة عمر وعلى هذا
التقدير تكون هذه الاية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر
على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الاية معجزة واما
معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت معرضا بان
يحبه والمحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا والمحبة لله تعالى
العبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل
بما يرضى به عنه وان يثيبه الثواب على طاعته وان يثني
عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته
وابتغاء مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته
وان يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه
بمنه وكرمه قوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين

وهذه ما

وهذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم
بقوله يحبهم ويحبونه يعني انهم ارقاء رحماء لاهل
دينهم ولاخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان
بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع
رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء اقوياء غلظا
على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة على المؤمنين
يعني اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل
غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس تراهم
كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكفار
كالسبع على فريسته وقال ابن الانباري اثنى الله على
المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم وقيل
ان الذلة هنا الشفقة والرحمة لانه قال رحيمين للمؤمنين
مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى
بلفظ على حتى يدل على علو منصبهم وفضيلة التواضع ويدل
على صحة هذا السياق الاية وهو قوله اعزة على الكافرين
يعني انهم اشداء اقوياء على انفسهم وعلى اعدائهم يجاهدون
في سبيل الله يعني انهم ينصرون دين الله ولا يخافون
لومة لائم يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين
وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم

نبين الله تعالى في هذه الاية ان من كان قويا في الدين فانه
لا يخاف في نصره لدين الله بيده او بلسانه لومة لايم وهذه
صفة المومنين المخلصين ايمانهم لله تعالى وعن عبادة
بن الصامت قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة في العسر واليسر والنشط والكره وعلى ان
لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف
في الله لومة لايم ثم قال تعالى ذلك فضل الله يوتيه من
يشاء ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة
الله تعالى ولين جانبهم للمومنين وشدتهم على الكافرين
وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم
ذلك فضل الله تعالى تفضل عليهم ومن احسانه اليهم
والله واسع عليم يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن
يستحقه قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين
قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت
حين تبرا من موالاة اليهود قال اتولى الله ورسوله والمومنين
يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله
نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى محمد صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا
وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الاية فقراها

عليه

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام
رضينا بالله ربا وبرسوله وبالمومنين اولياء وقيل
الاية عامة في حق جميع المومنين لان المومنين بعضهم
اولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى الذين يقيمون
الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون صفة لكل
مومن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المومنين
عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم
مومنون الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل
الصلوة والزكوة فوصف الله تعالى المومنين بانهم
يقيمون الصلوة يعني باتمام ركوعها وسجودها في
مواقيتها ويوتون الزكوة يعني يودون الزكوة اموالهم
اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم راكعون ففعلى
هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا
الخضوع والمعنى ان المومنين يصلون ويزكون وهم
منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه
الثاني ان يكون المراد منه ان من شانهم اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه
الثالث قيل ان هذه الاية نزلت وهم راكعون وقيل نزلت
في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر بعلي

Copyright © King Saud University

سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا
قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول
بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة
علي بن ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن
عبد الله بن عبد الملك بن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد
بن علي الباقر عن هذه الاية انما وليكم الله ورسوله والذين
من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال
علي من الذين امنوا قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا يعني ومن يتولى القيام بطاعة الله ونصر رسوله و
والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن
ياتي بعدهم فان حزب الله يعني انصار دين الله هم
الغالبون لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة
اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رايه وهم القوم
الذين يجتمعون لامر حزبه يعني اهمه واذا ناديتم الى الصلاة
اتخذوها هزوا ولعبا قال الكلبي كان منادي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون
اليها قالت اليهود قد قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكون على
طريق الاستهزاء فانزل الله هذه الاية وقال السدي نزلت
هذه الاية في رجل من الانصار كان بالمدينة وكان اذا سمع

المؤذن

المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا
رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات
ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت منها شرارة فاحرقت
البيت واحترق هو واهله انتهى خازن قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد
لهؤلاء اليهود والنصارى الذين على دينكم هزوا ولعبا
هل تنكرون منا او تعيبون علينا الا ان امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل من قبل وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب
والمعنى هل تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وما انزل
الينا وما انزل على جميع الانبياء من قبل وليس هذا ينكر ويعاب
منه وهذا كما قال بعضهم ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا
ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع
بن ابي رافع وعازر وزيد وخالد وازار بن ابي ازار واشيع
فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا
نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن امن به فانزل الله هذه الاية

Copyright © King Saud University

وقيل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا
والآخرة منكم ولا دينا اشر من دينكم فانزل الله هذه الاية
قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية وهذا دينا
الحق وطريقنا المستقيم وان اكثرهم فاسقون يعني انكم
انما كرهتم اي ونقمتم علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب
فسقكم واقامتكم على الدين الباطل وانما قال اكثركم لان الله
علم من اهل الكتاب من يؤمن بالله ورسوله قل هل انبئكم
بشر من ذلك هذا جواب اليهود لما قالوا ما نعرف دينا
شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا
هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم
علينا من ايماننا بالله وما انزل علينا مثوبة عند الله
خبرا فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها في معنى
الثواب فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة
موضع العقوبة على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب
وجيع ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى
قل هل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة فان قلت
هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر
لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك
قلت جوابه ان الكلام على حسب قولهم واعتقادهم فان

اليهود

فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب
ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ
صورته شر من ذلك من لعنه الله معناه هل انبئكم بمن
لعنه الله او هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده
وطرده من رحمته وغضب عليه يعني وانتقم منه لان الغضب
ارادة الانتقام من العصاة وجعل منهم القردة والخنازير
يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من
جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما
من اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا
خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في اصحاب السبت من اليهود
ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن
عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الاية عير المسلمون اليهود
وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك انتهى
اولئك يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين
شر مكانا يعني من غيرهم ونسب ذلك الى المكان والمراد به اهله
فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان اشر منه
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار الاية يعني الاحبار والرهبان
اذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهي عن
المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الاية

Copyright © King Saud University

قال ابن عباس ما في القران اشد توبيخا من هذه الاية وقال محمد الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها انتهى خازن عن
قالت اليهود يد الله الاية نزلت هذه الاية في فنحاص اليهودي
قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر
الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى
الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة
فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة
مقبوضة عن الرزق والبذل والعطا فنسبوا الله تعالى
الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال
هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود
ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى اشركهم معه في هذه
المقالة فقال الله تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود
يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه
مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا تقدر ما يبري
به قسمه وذلك قدر ما عبد اباؤنا العجل والقول الاول
اصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد
وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد الة

لكل الاعمال

لكل الاعمال سيما الدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا اسم
السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل
للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض
اليد غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا يعني امسكت ايديهم
عن كل خير وطردوا عن رحمة الله وقال الزجاج قرد الله
عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلا وايديهم هي المغلولة
الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو
عليهم وقال غلت ايديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل
حقيقة اي شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا في النار
جزاؤهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب
ما قالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير
وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الاخرة
لهم عذاب النار ولو انهم اقاموا التورية والانجيل يعني
اقاموا احكامهما بحدودها وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود
والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان
فيهما فان قلت كيف يامر اهل الكتاب باقامة التورية
والانجيل مع انهما نسخا وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى
باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه غير
منسوخ موافق لما في القران وقوله تعالى وما انزل اليهم من

Copyright © King Saud University

ربهم فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة
مثل كتاب شعيب وكتاب ارميا وزبور داود في هذه
الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه
الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما
انزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مامورون بالايمان
به فكانه نزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم يعني ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم اصابهم الله بالقحط والشدة
حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبرهم الله انهم
لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة
بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم قال ابن عباس لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم
النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم انتهى خازن
بل يداه مبسوطتان يعني ان الله تعالى جواد كريم ينفق
كيف يشا وهو جواب لليهود ورد عليهم عما افتروه
واختلقوه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا
الجواب على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف
العلماء في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور
السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله

صفة من صفات

صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا
الايمان بها والتسليم ونحوها كما جاءت في الكتاب والسنة
بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين
والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التاويل فانهم
قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي
معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد اشكره عليها
وثالثها القدرة قال الله تعالى اولوا الايدي والابصار فسروه بذي
القوة والعقول ويقال لا يدان لك بهذا الامر والمعنى سلب
كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان
اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي
يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية في صفة الله عز وجل
لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة عن
جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى
الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع
بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما سائر المعاني
التي فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين
زعموا ان اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك
وعن النعمة وههنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت

انها بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القران ناطق
باثبات اليد في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان واجيب عن
هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة
كناية عن البخل اجيبوا عن ذلك فوق كلامهم فقال بل
يداه مبسوطتان اي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل
بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد
اعطى على اكمل الوجوه الاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة
فنص القران ناطق باثبات التثنية ونعم الله غير محصورة
ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب
الجنس ثم يدخل تحت واحد من الجنسين انواع كثيرة
لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر
ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بان
التثنية المبالغة في وصف النعمة اجاب اصحاب القول
الاول عن هذا بان قالوا ان الله اخبر عن ادم بانه خلقه
بيديه ولو كان معنى خلقه لادم بقدرته او بنعمته او
بملكه لم يكن لخصوصية ادم بذلك وجه ومفهوم
لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه
ومتقلبون في نعمه فلما خص الله ادم عليه السلام بقوله

تعالى لما خلقت

تعالى لما خلقت بيدي علم بذلك اختصاصه وتشريفه
على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي عن ابي الحسن الاشعري
قولان ان اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى
القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفا قال والذي
يدل عليه انه تعالى جعل وقوع ادم بيديه على سبيل الكرامة
لادم واصطفائه فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع
عن كون ادم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات
فلابد من اثبات صفة اخرى يقع بها الخلق والتكوين على
سبيل الاصطفا هذا اخر كلامه واجيب عن قولهم بان التثنية
بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة
لان الاسم اذا ثني لا يودي في كلام العرب ان يقال ما اكثر
الدرهمين في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم
لان الدرهم هنا اذا ثني لا يودي في كلام العرب الا على
باعيانهما ولكن الواحد يؤدي على جنسه كما تقول العرب
ما اكثر الدرهم في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم
لان الدرهم يودي عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من
قال ان اليد صفة الله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة
كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ثم كيف
بسطها يعني انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من

يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى انفق عليك وقال يد الله ملا لا ينقصها
نفقة سحا الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات
والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده
الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا احاديث الصفات
فيجب الايمان به واقراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله
تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
يعني كلما نزلت عليك اية من القران كفروا بها فازدادوا
شدة في كفرهم زيادة منهم فيه والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة يعني بين اليهود والنصارى وقيل
القى ذلك بين طوايف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم
متعادين متباغضين الى يوم القيمة فان بعض اليهود
جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك
النصارى فرقا كالملكانية والنسطورية واليعقوبية
والمارونية فان قلت هذا المعنى ايضا حاصل بين فرق
المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى
حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حصلت في المسلمين انما
حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة و
التابعين اما في الصدر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصلا

بينهم

بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى
في ذلك العصر الذي نزل فيه القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتهى قوله يا ايها الرسول بلغ الاية روى عن الحسن ان
الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعاه
وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل الله هذه الاية وقيل
نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم
الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به
ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا
فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله
هذه الاية وامره ان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شيء الاية
وقيل نزلت هذه الاية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين
كرهوا فكان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاحايين عن
الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فانزل الله
هذه الاية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما
سال عنه اليهود ومعنى الاية يا ايها الرسول بلغ جميع ما انزل
اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تترك شيئا مما انزل من
ربك وان اخفيت شيئا من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت
رسالته الاية وان لم تفعلوا فما بلغت رسالته وفي رواية قال
ابن عباس يعني ان كتمت اية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي

يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك الابلاغ البعض كان كمن لم
يبلغ شيئا مما انزل اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يكتم شيئا مما اوحي اليه روى مسروق عن عايشة قالت من حدثك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما اوحي اليه فقد كذب ثم
قرات يا ايها الرسول الاية اخرجاه في الصحيحين بزيادة
فيه والله يعصمك من الناس يعني يحفظك يا محمد ويمنعك
منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج راسه
وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب من الاذى
فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس
قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد
بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القايلة في واد كثير العضاه
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون
بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق
بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وانا
نايم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت
الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا

مع

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا
اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجاه معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال
من يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين وزاد في رواية له اسم ذلك الرجل
غورث بن الحرث ق عن عايشة رضي الله عنها قالت
سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال
ليت رجلا من اصحابي يحرسني الليلة قالت فبينا نحن كذلك سمعت
خشخشة السلاح فقال من هذا انتهى لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى
وفي تفسير قوله النصارى طريقان احدهما وهو قول اكثر المفسرين
انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة
وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبان ذلك
قوله تعالى للمسيح انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله
احد ثلاثة الهة وواحد من ثلاثة الهة قال الواحدي ولا
يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به ثالث ثلاثة الهة
لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله

Copyright © King Saud University

تعالى في سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا
هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم لابي بكر يا ظنك باثنين الله ثالثهما
والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم
يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح
القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس اسم يتناول
القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن
الكلمة وبالروح الحيوة واثبتوا الذات والكلمة والحيوة
وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى
اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله
والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم
البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا يكون واحد
والواحد لا يكون ثلاثة ولا يرى في الدنيا مقالة اشد
فسادا واظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا
فالذي ضرب الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان
الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه
واحد من ثلاثة الهة فذلك لازم لهم وانما يتشعبون
من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم
اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو

اله واحد

اله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا فهذا بيان
فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى
وما من اله الا اله واحد يعني انه ليس في الوجود الا
اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك
له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له قول الله تعالى
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني ليصيبن
الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الذي ليس
عوضى عذاب وجيع في الاخرة وانما قال منهم لعلمه
السابق ان من النصارى من يتوب ويخلص ويترك
هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة
من هذه المقالة الخبيثة افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
وهذا استفهام بمعنى الامر اي توبوا الى الله واستغفروه
من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب انتهى
قوله تعالى كانا ياكلان الطعام فيه احتجاج على فساد
قول النصارى بالهية المسيح يعني ان المسيح وامه مريم
كانا بشرين ياكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني ادم
فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به
وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه
الم الجوع والم العطش وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك

Copyright © King Saud University

ان كان من اكل وشرب لابد له من الغائط والبول ومن كانت
هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى
اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل انتهى لعن الذين كفروا
من بني اسرائيل الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم
فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم واكلوهم وشاربوهم
فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان
داود وعيسى بن مريم وكانوا يعتدون فجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان متكيا فقال والذي نفسي بيده
حتى تاطروهم على الحق قال الترمذي هذا حديث حسن غريب
انتهى خازن لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا
اليهود الاية اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره
والله يا محمد لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا
بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصفهم الله بشدة
عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم
اقويا المشركين عبدة الاصنام في العداوة للمؤمنين
وذلك حسدا منهم ولتجدن اقربهم للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى ووصف لين عريكة النصارى
وسهولة قبولهم الحق فقال بعضهم مذهب اليهود
انه يحب

يحب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين
باي طريق كان مثل القتل ونهب المال او بانواع المكر
والكيد ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الاذى
في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى
وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد وطلب
الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة للغير
واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا
ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه
لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين عريكة في طلب الحق
فلهذا قال تعالى ذلك بان منهم يعني من النصارى
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون وليس المراد به كل
النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين
كاليهود بل الاية نزلت فيمن امن من النصارى مثل
النجاشي واصحابه والقس والقسيسين العالم بلغة
الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني
العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل
الرهبان واحد وجمعه راهبين فهم سكان الصوامع
فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية
ابتدعوها قلنا انما مدحهم الله في مقابلة ذم اليهود

Copyright © King Saud University

ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا
القدر ان يكون مدحًا على الاطلاق وقيل انما مدح من
امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين
عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنوا به
وتبعوه فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود
واقبح فان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون
ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوة فيقرون
وينكرون بعضهم فلم ذم اليهود ومدح النصارى
قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق
اتفق الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى
فلذلك ذم اليهود ومدح الذين امنوا منهم واختلف
العلما فيمن نزلت فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة
واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا ترا اعينهم
تفيض من الدمع الاية يقال فاض الانا اذا امتلا حتى
يخرج منه ما فيه وصفهم تعالى بسيل الدمع عند البكا
ورقة القلب عند سماع القران قال ابن عباس يريد النجاشي
واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم
فابكوا حتى فرغ جعفر من القراءة مما عرفوا من الحق يعني
الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق يقولون
يعني القسيسين

يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القران
من عند النجاشي ربنا امنا يعني بالقران وشهدنا
انه حق وصدق فاكتبنا مع الشاهدين يعني مع
امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق وما
لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق قال ابن عباس لما
رجع من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم
على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم
دينكم فاجابوهم بهذا الجواب معنى الاية وما لنا لا نؤمن
بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان
رسوله عيسى قوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يعني
وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله الذي رزقكم واحله لكم
من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال
ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما فاما الجامد كالطين
والتراب وما لا يتغذى فمكروه الا على وجه التداوي
عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني اذا اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتني
شهوتي فحرمت على اللحم فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذي

Copyright © King Saud University

حديث حسن غريب وله عن عايشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وله عن ابي هريرة رضه
قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع
وكان يعجبه فنهش منها قالت عايشة وكان الذراع احب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل
اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذي واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون هذا تاكيد للوصية بما امر الله وزاد
التوكيد بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب
التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعن ما نهى وفي الاية دليل على
ان الله تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لم
يكلفنا بذلك لما قال مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العباد
وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وانه يعول
على ما وعد الله وتكفل به فانه تعالى اكرم ان يخلف الوعد
والله اعلم قوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح الاية عن البراء ابن عازب قال مات ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل
تحريم الخمر قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية

اخرجه

اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال
قالوا يا رسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما
نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
ومعنى الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من
مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم وقال ابن قتيبة تقول لم
اطعم خبزا ولا ماء ونوما قال الشاعر فان شئت حرمت النساء سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا النقاخ الماء والبرد النوم اذا ما اتقوا
يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم وامنوا
يعني بالله ورسوله وعملوا الصالحات اي وازدادوا من عمل
الصالحات ثم اتقوا وامنوا يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم
فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها
قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد
التحريم امروا باتقائها والايمان بتحريمها ثم اتقوا يعني ما حرم
عليهم في المستقبل واحسنوا يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء
الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء
الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير
التاكيد والمبالغة في الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان

Copyright © King Saud University

الله والله يحب المحسنين يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان
والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح
لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات
من اشرف الدرجات واعلاها عن عبد الله بن مسعود
قال لما نزلت هذه الاية ليس على الذين امنوا الاية قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لي انت منهم ومعناه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل له انت ابن مسعود منهم يعني من الذين
امنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان قال نعم انتهى
خازن قوله ومن عاد فينتقم الله منه يعني في الاخرة والانتقام
المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء
في المرة الثانية والثالثة اذا تكرر من المحرم قتل الصيد
تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روي عن
ابن عباس والنخعي وداود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة
ثانية فلا جزاء عليه لانه وعد بالانتقام منه قال ابن عباس
اذا قتل المحرم صيدا متعمدا اسئل هل قتلت قبله شيئا من الصيد
فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك
وان قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم
يحكم عليه ولكن يملا ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطايف [illegible]

حرم

١٩٧

حرما وظاهره يوجب حرمة ما اصاده الحلال على المحرم
وان لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل
ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا
ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب
للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فخرج منه صيد
غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح واتقوا الله فيما
نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي اليه
تحشرون لا الى غيره حتى تتوهموا الخلاص من اخذه تعالى بالالتجا
اليه جعل الكعبة قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة
وقيل لانفرادها من البنا وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها
وقوله تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون
التوضيح كما تجي الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل قياما
للناس نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول
كما سيجي بل هنا هو المفعول الثاني وقيل جعل بمعنى الانشاء
والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار القيام
دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم
ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه
التجارة ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرى قيما على انه مصدر

علي وزن شيع اعل عينه كما اعل فعله والشهر الحرام اي الذي يؤدى
فيه وهو ذي الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو ما بعده عطف
على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر
الحرام والهدي والقلايد ايضا قياما ما الهدي والمراد بالقلايد ذوات
القلايد وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر والحج بها
اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من
الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر
يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي شرع لتعلموا
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع الشرايع
المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها
وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلايل
على حكمة الخالق الشارع وعدم خروج شي من علمه المحيط
انتهى ابو السعود قل لا يستوي الخبيث والطيب يعني الحلال
والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردي والجيد والمسلم
والكافر ولا الصالح ولا الطالح ولو اعجبك كثرة الخبيث يعني ولو سرك
كثرة الخبيث لانه عاقبته والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة
المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها
يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله
ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي فهل ذلك المال

ان علمت

ان علمت فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان طيب لا يقبل
الا الطيب وقال نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج وقد
تقدمت القصة في اول السورة فاتقوا الله فيما امركم به او نهاكم
عنه ولا تعتدوه يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول السليمة
لعلكم تفلحون افهم جاءت لا تسئلوا عن اشيا الاية عن هريرة
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض
عليكم الحج فحجوا فقال رجل افي كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا
ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم
فانما هلك من كان قبلكم كثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم
اذا امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي
فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسئلوا عن اشيا
قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام الا ترى انه يقول
بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وان تسئلوا عنها
حين ينزل القران تبد لكم معناه ان صبرتم حتى ينزل القران
بحكم من فرض او نهي او حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون
ومست حاجتكم اليه واذا سألتم عنه فحينئذ تبد لكم ومثال هذا
ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل
ولم يكن في عدة هؤلاء دليل على عدة التي ليست ذات قروء ولا حامل
فسئلوا عنها فانزل الله عز وجل في جوابهم في قوله تعالى واللائي يئسن

Copyright © King Saud University

مسئلتكم

من الحيض من نساء مكة المدينة عفا الله عنها يعني عن
عن الاشياء التي سالتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
التي كره الله لكم السوال عنها فلم يواخذكم ولم يعاقبكم والله
غفور لمن تاب منكم حليم فلم يعجل بعقوبتكم وقال عطا غفور
يعني لمن كان في الجاهلية حليم عن هفواتكم منذ اسلمتم وصدقتم
وقال بعض العلما الاشياء التي يجوز السوال عنها هي ما يثبت
من امر الدين من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السوال
عنه ق وعن سعيد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سئل عن شئ لم يحرم
على الناس فحرم من اجل مسئلته ق وعن المغيرة بن شعبة
انه كتب الى معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى
عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السوال وعن معوية
انه عليه السلام عن الاغلوطات وهي صعاب المسائل
وكان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال
دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجب اي احسبهم ذلك
لو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية
اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك
او يقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم لا يعلمون شيئا
من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون
الخ كلتاهما

الخ كلتاهما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه
اباهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى
في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة
كيف وان الشئ اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه
اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء عليك اي احسن اليه
ان لم يسئ عليك وان اسا اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ ا
الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يومر عند عدمه اولى
وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتاكيد
وجواب محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان اباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من
معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر
وفائدته المبالغة في الانكار والتعجب اذ كون اباؤهم جهلة
ضالين في الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب
فيه انتهى ابو السعود يا ايها الذين امنوا شهادة الاية
استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامر دنياهم
اثر بيان الاحكام المتعلقة بامر دينهم وتصديره بحرفي
النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل
شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار

Copyright © King Saud University

جريانها بينهما او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات
مبتدا وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت
علاماته ظرف لها وتقديم المفعول للافادة كمال تمكن الفاعل
عند النفس ووقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل الموت
وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا
لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من
المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل
عنها قوله تعالى اثنان خبر للمبتدا بتقدير المضاف اي شهادة
بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل الشهادة بينكم على
ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان
ذوا عدل منكما اي من اقاربكم لانهما اعلم من احوال الميت
وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين
وهما صفتان لاثنان او اخران عطف على اثنان تابع
له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة اخرين او
يشهد بينكم اخران من غيركم صفة لاخران اي كائنان
من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك
في بدو الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ
وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل
منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده فلما حذف الفعل

انفصل

الضمير وهذا راي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون
الى انه مبتدا على جواز وقوع المبتدا بعد ان الشرطية كجواز
وقوعه بعد اذا قوله تعالى ضربتم في الارض اي سافرتم
فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكنه مفسر ومرفوع
على الخبرية عند الباقين فاصابتكم مصيبة الموت عطف
على الشرطية وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم
فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل
الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في
الاسفار فليشهد اخران فاشهاد اخرين او فاشهاد اخران كذا
قيل هو الانسب بتقدير ما سبق اي فاخران على معنى شهادة
بينكم شهادة اخرين اي فان يشهد اخران على الوجه المذكور ثمة
وقوله تعالى تحبسونهما استئناف وجوابا عما نشا من
اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين
فقيل تحبسونهما اي توقفونهما وتصبرونهما للتحليف من
بعد الصلاة وقيل هو صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف
اعتراض فائدته انتهى ابو السعود ذلك ادنى ان ياتوا الاية
يعني ذلك الحكم الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم
ادنى اي احرى واقرب ان ياتوا بالشهادة على وجهها
فلا يخونوا فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي

واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت
فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا
فربما لا يحلفوا كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله
يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة
واسمعوا يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا
سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله
لا يرشد من كان على معصية وهذا من اصعب تهديد وتخويف
ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى او خان امانته او حلف
ايمانا كاذبة وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في القران من
الايات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كلامه قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديرها
واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي
القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة
في ذلك اليوم وهو يوم القيمة وقيل انها منقطعة عما قبلها
وتقديره واذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيمة
فيقول ماذا اجبتم يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل
ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم
في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السوال توبيخ
امم الانبياء الذين كذبوهم قالوا يعني الرسل لا علم لنا

قال ابن عباس

قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم
ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك
فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم
عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند
علم الله وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علما انت
اعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا
بوجه الحكمة عن سوالك ايانا عن امر انت اعلم به منا وقيل
معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان
من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما احدثوا
بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن
على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني
فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا
بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه
في الصحيحين وذكر الامام الرازي وجها اخر وهو ان الرسل
عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم
لا يسفه وعادل لا يظلم ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع
شرا فرادوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى علمه

Copyright © King Saud University

وعدله فقالوا لا علم لنا هل يستطيع ربك قال المفسرون هذا
على المجاز ولا يجوز لاحد ان يتوهم على الحواريين انهم شكوا
في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان
تقوم معي علمه بان يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل
تستطيع هل يسهل عليك هل يخف ان تقوم معي وكذلك
معنى الاية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله
عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل
لهم مزيد الطمانينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن
قلبي ولا شك ان في مشاهدة هذه الاية العظيمة ثواب مزيد
الطمانينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا
وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا
ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا
بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله ان تشكوا في قدرته
عز وجل القول الاول اصح وقيل في معنى الاية هل يقبل ربك
دعائك وهو يعطيك باجابة دعائك وسؤالك انزال
المائدة فقد ورد من اطاع الله اطاعه ان نزل علينا مائدة
من السماء المائدة الخوان الذي عليه الطعام ولا يسمى مائدة
ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان وطبق واصلها من ماد

يميد

يميد اذا تحرك كانها تميد بما عليها من الطعام خازن
سورة الانعام روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة
الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر
بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت
سورة الانعام جملة بمكة وحولها سبعون الف ملك
وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة
واحدة ونزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست ايات منها
فانها مدنيات وهو قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم الى اخر الايات الثلاث وقوله تعالى ما قدروا الله
حق قدره الاية ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي
الي الى اخر الايتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد ايتين وهي
قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق الاية وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الاية روى عن ابن عباس
وقتادة انهما قالا هي مكية الا ايتين نزلتا بالمدينة
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي
انشا جنات معروشات وغير معروشات ولما
نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا
ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قال
البغوي وروي عنه مرفوعا من قرا سورة الانعام صلى
عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره وذكره غير
مسند خازن بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات
والارض قال كعب الاحبار هذه الاية اول اية في التوراة
واخر اية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
الاية وفي رواية عنه ان اخر اية في التوراة اخر سورة هود
قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي
خلق السموات والارض وختمه بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقوله الحمد لله تعليما
لعباده كيف يحمدونه اي قولوا الحمد لله وقال اهل المعاني
لفظه خبر ومعناه الامر اي احمد الله وانما جاء على صيغة
الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه جمع
الامرين ولو قيل احمد والله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله
ابلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير فاتحة الكتاب بما فيه
مقنع الذي خلق السموات والارض اي احمدوا الله الذي
خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم
المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها
ومنها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع
وجعل الظلمات

وجعل الظلمات والنور الجعل هنا بمعنى الخلق اي وخلق
الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات
الجهل والنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله
بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات
قال قتادة خلق السموات قبل الارض وخلق الظلمة
قبل النور وخلق الجنة قبل النار وروي عن عبد الله ابن عمرو
بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق خلقه
في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصاب ذلك النور اهتدى
ومن اخطا ضل ذكره البغوي بغير سند ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون يعني والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم
يعدلون واصل العدل المساواة الشي بالشي والمعنى انهم يعدلون
بالله غير الله ويجعلون عديلا من حيث خازن وهو الله
في السموات وفي الارض يعني وهو اله في السموات واله في
الارض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي
الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات
وفي الارض يعلم سركم وجهركم في الارض وقال الزجاج
فيه تقديم وتاخير وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات
وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات
وفي الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان

Copyright © King Saud University

في ضميره فهو من اعمال القلوب وبالجهر ما يظهره الانسان
فهو من اعمال الجوارح واعلم ان الله لا يخفى عليه خافية في السموات
ولا في الارض ويعلم ما تكسبون يعني من خير وشر بقي في الاية
سوال وهو ان الكسب اما ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى
بالسر او من اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لا تخرج
عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون
يقتضي عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك
والجواب عنه بانه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحق
الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل
فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان اي
مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب والا لزم عطف الشيء
على نفسه ذكره الامام فخر الدين خازن من قبلهم من قرن
يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون
الخالية والقرن الامة من الناس واهل كل زمان قرن سموا
بذلك لاقترانهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنا
لانه يقرن زمانا بامة وامة بامة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون
سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل ثلاثون سنة
وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني انك تعيش قرنا
فعاش

فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن اهله الذين
وجدوا فيه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون
قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني اصحابي
وتابعيهم وتابعي التابعين مكناهم في الارض ما لم نمكن
لكم يعني اعطيناهم ما لم نعطكم يا اهل مكة وقيل مددنا
لهم في العمر والبسطة في الاجسام والسعة في الرزق مثل ما
ما اعطي قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وارسلنا السماء عليهم
مدرارا مفعالا من الدر يعني وارسلنا المطر متتابعا في اوقات
الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لنزوله منها وجعلنا
الانهار تجري من تحتهم يعني وفجرنا لهم العيون تجري من تحتهم
والمراد منه كثرة البساتين فاهلكناهم بذنوبهم يعني بسبب ذنوبهم
وكفرهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين يعني وخلقنا من
بعد هلاك اولئك القرون اهل قرن اخرين وفي هذه الاية ما يوجب
الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون
الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة
الاتباع اهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من
هو اضعف منهم واقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه
من نوم الغفلة ورقدة الجهل قل سيروا في الارض اي قل يا محمد
لهؤلاء المستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وهو

بالبصيرة لا بالبصر وقيل هو سير بالاقدام ثم انظروا فعلى القول
الاول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وعلى القول الثاني يكون
النظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى الامم الخالية
والقرون السالفة كيف كان عاقبة المكذبين يعني كيف كان
جزاء المكذبين وكيف اورثهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر
كفار مكة عذاب الامم الخالية قل لمن ما في السموات والارض
قل لله هذا سوال وجواب والمعنى قل يا محمد لهولاء المكذبين
العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات والارض فان اجابوك
والا فاخبرهم ان ذلك الله الذي قهر كل شي وملك كل شي نحوه
واستعبد كل شي لا للاصنام التي تعبدونها انتم فانها موات
لا تملك شيا ولا تملك لانفسهم ضرا ولا نفعا وانما امره
بالجواب عقب السوال ليكون ابلغ في التاكيد واكد في الحجة
ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته
اردفه بكمال رحمته واحسانه اليهم فقال كتب على نفسه
الرحمة يعني انه تعالى اوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا
استعطاف منه للمتولين عنه الى الاقبال عليه واخبار بانه
رحيم بعباده وانه لا يعجل بل يقبل التوبة والانابة
ممن تاب واناب ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق وفي مسلم لما خلق الله
الخلق

الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت
غضبي وفي رواية للبخاري ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق
العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما
قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع
عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا ان رحمتي سبقت
تغلب غضبي ق عن عمر لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسبي فاذا امراة من السبي تسعى قد تحلب ثديها اذا وجدت
صبيا في السبي فاخذته والصقته ببطنها فارضعته فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة ولدها
في النار وهي تقدر ان لا تطرحه فقلنا لا والله يا رسول الله
فقال الله ارحم بعباده من هذه المراة بولدها خازن
مختصرا منه قل اي شي اكبر شهادة قال الكلبي ان اهل مكة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ارنا من يشهد انك رسول الله فانا
لا نرى احدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعني
يا محمد لهولاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك
من قومك اي شي اكبر شهادة يعني اعظم شهادة فان هم
اجابوك والا فقل انت يا محمد الله شهيد بيني وبينكم قال مجاهد
امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسال قريشا اي شي اكبر شهادة

ثم امران يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم قال مجاهد يعني
يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي تقولون والحاصل انهم
طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة وهو المراد
بقوله واوحي الي هذا القران لانذركم به يعني ان الله عز وجل
يشهد لي بالنبوة لانه اوحى الي هذا القران وهو معجز لكم لانكم
انتم الفصحا البلغا واصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته
فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله علي شهادة من الله بانه
رسوله ومن المراد بقوله لانذركم به يعني اوحي الي هذا القران
لاخوفكم به وانذركم مخالفة امر الله عز وجل ومن بلغ يعني
وانذر من بلغه القران ممن ياتي بعدي الي يوم القيمة من العرب
والعجم وغيرهم من ساير الامم وكل من بلغ اليه القران وسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران
فكانما راى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت
هذه الاية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل
جبار يدعوهم الى الله عز وجل خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل
ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار الذين اتيناهم
الكتاب الاية المراد بالذين اوتوا الكتاب علما اليهود والنصارى
الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار
مكة

مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سالنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا انهم ليس عندهم ذكرك وانكروا معرفتك فبين الله عز وجل
ان شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الاية انهم يعرفونه
وانهم كذبوا في قولهم انهم يعرفونه وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام
قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل انزل على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم بمكة الذين اتيناهم الكتاب الاية فكيف
هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين
رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم
مني بابني فقال عمر وكيف ذلك قال اشهد انه رسول الله
حقا ولا ادري ما تصنع النسا قوله تعالى الذين خسروا
انفسهم يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها في
نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين
خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين الاولى
ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون
محمد صلى الله عليه وسلم فيجحدون نبوته وهم كفار اهل
الكتابين والقول الثاني انه كلام مبتدا لا تعلق له بالاول
وهم كفار مكة الذين لا يومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى

Copyright © King Saud University

الدنيا الا منوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من
الكفر والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم
والله ربنا ما كنا مشركين فاخفوا شركهم وكتموه فاظهره
الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا
وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى
هذا تكون الاية في المنافقين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وانهم لكاذبون يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب
بايات ربنا ونكون من المومنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين وهذا خبر عن منكري البعث وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن احوال القيمة واهوالها
وما اعد الله في الاخرة من الثواب لنا لنا غير هذه الدنيا
التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال
عبد الرحمن بن عبد الله بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله
عن هولاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا
الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
خازن قالوا يا حسرتنا يعني يا ندامتنا والحسرة التلهف
على الشي الفايت وذكرت على وجه الندا للمبالغة والمراد
تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة على ما فرطنا
يعني قصرنا فيها يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال
الصالحة

الصالحة التي فرط فيها في دار الدنيا وقال محمد بن جرير
الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى الصفقة وكنى
المتغني بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من
ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لا يكون الا في صفقة
بيع قد جرى ومعنى الاية قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
ببيعهم الايمان الذين يستوجبون به رضوان الله وجنته
بالكفر الذين يستوجبون به سخطه وعقوبته وهم
لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة
بغتة راوا ما لحقوا من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في
قوله يا حسرتنا قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون
يا حسرتنا وهم يحملون اوزارهم يعني اثقالهم على ظهورهم
والاوزار الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل يقال
وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر من
يحملها قال قتادة والسدي ان المومن اذا خرج من قبره
يستقبله احسن شي صورة طيبة ريحا فيقول هل تعرفني
فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طالما ركبتك
في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعني

مركبا نا واما الكافر فيستقبله اقبح شيء صورة وانتنه ريحا
فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طالما
ما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم
يحملون اوزارهم خازن قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون
يعني قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك
قال السدي التقى الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام
فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد صلى الله عليه وسلم
اصادق ام كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك
غيري فقال ابو جهل والله ان محمد الصادق وما كذب محمد
صلى الله عليه وسلم قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله
هذه الاية وقال ناجية بن كعب قال ابو جهل للنبي صلى الله
عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به
فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون اخرجه الترمذي من طريقين وقال في احدهما
وهذا اصح ففي هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وتقوية عما يواجه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه
وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم انتهى خازن
وان كان عليك اعراضهم ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه
الاية

الاية ان الحرث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر
من بني قريش فقال ائتنا باية كما كانت الانبيا تاتي قومهم بالايات
فان فعلت امنا بك فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن
عباس ومعنى وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين
عنك وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سئلوا اية احب ان
يريهم الله بذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل فان استطعت
ان تبتغي يعني تطلب وتتخذ نفقا في الارض يعني سربا في الارض
تخلص منه الى مكان اخر وسلما في السماء او تتخذ مصعدا
الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة فتاتيهم
باية يعني بالاية التي سئلوا عنها ومعنى الاية وان كان كبر وعظم
عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب
الى الارض او تصعد الى السما فتاتيهم باية تدل على صدقك
فافعل وانما حسن حذف جواب الشرط لانه معلوم
عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم طمعه في ايمانهم لا يتاذى بسبب اعراضهم عنه وعن
الايمان به ويدل عليه قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
اخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان
واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ

Copyright © King Saud University

بمقتضاه فيهم ولو شاء لجمعهم على الهدى فلا تكونوا
من الجاهلين يعني بان لو شاء الله لجمعهم على الهدى وانه
يؤمن بك بعضهم دون بعض خازن قل ارايتكم
يعني قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله
عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبرهم تقول العرب
ارايتك بمعنى اخبرنا عالله واصله ارايتم والكاف
فيه للتاكيد ان اتيكم عذاب الله يعني الموت مثل
ما نزل بالامة الماضية الكافرة من الغرق والخسف
والصواعق ونحو ذلك من العذاب او اتتكم الساعة
يعني القيمة اغير الله تدعون يعني في كشف العذاب عنكم
ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعنى الاية ان
الكفار اذا نزل بهم شدة وبلا رجعوا الى الله بالتضرع
والدعا وتركوا الاصنام فقيل لهم انتم ترجعون الى الله
في حال الشدة والبلا ولا تعبدونه ولا تطيعونه في
حال اليسر والرخا بل اياه تدعون يعني بل تدعون
ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم فيكشف ما تدعون
اليه ان شاء يعني فيكشف الضر الذي من اجله دعوتموه
وانما قيد الاجابة بالمشية رعاية للمصلحة وان
كانت الامور كلها بمشية الله تعالى وتنسون

ما تشركون

ما تشركون يعني وتتركون دعا الاصنام التي تعبدونها
فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه
انكم في تركم دعا الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا
معنى قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض الناسي
لها ولقد ارسلنا الى امم من قبلك في الاية محذوف والتقدير
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم
وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع فاخذناهم
بالباسا يعني بالفقر الشديد واصله من البوس وهو الشي
المكروه وقيل الباسا شدة الجوع والضراء يعني الامراض
والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يعني يخضعون
ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد
وترك التمرد واصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود
الاية ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل
من قبله رسلا الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا
بالباسا والضرا وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا
ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلولا
يعني فهلا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع
فلم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت
قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل قاموا على كفرهم

Copyright © King Saud University

وتكذيبهم رسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواه من ما في
المعصية من اللذة قال ابن عباس وزين الشيطان الضلالة
التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل فلما نسوا
ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما امرتهم
به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك
للشيء معرض عنه كانه قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم
ابواب كل شيء يعني بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة والرزق
والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام
وذلك استدراجا منه لهم وقيل فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من الخير كان مغلقا عليهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا يعني
فرحوا بما اوتوا من السعة والرخاء والصحة في الابدان
والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن
انتقاما من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح
من الخير والسعة والرزق وظنوا ان ذلك باستحقاقهم
وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا اخذناهم
بغتة يعني جاءهم عذابنا فجاءة من حيث لا يشعرون قال
الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة خانه واذ قال
ابراهيم آزر اختلف العلماء في لفظ آزر وقال محمد بن اسحاق
والكلبي

والكلبي والضحاك آزر اسم ابي ابراهيم وهو تارخ ضبطه
بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا
يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارخ مثل يعقوب واسرائيل
اسمان لرجل فيحتمل ان يكون اسمه الاصلي آزر وتارخ لقب
له وبالعكس والله سماه آزر وان كان عند النسابين اسمه
تارخ ليعرف بذلك وكان آزر ابو ابراهيم من كوثى وهي قرية
من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه
في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا
على من يجوز ان في القرآن الفاظا فارسية وقيل هو المخطي
فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيغه عن الحق وقال
سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده
وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئا او احبه جعل اسم
ذلك المعبود او المحبوب اسما له فهو كقوله يوم ندعوا
كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لابيه
يا عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
والصحيح هو الاول لان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى
سماه به وما نقل عن النسابين والمؤرخين ان اسمه تارخ
ففيه نظر انما نقلوه عن اصحاب الاخبار واهل السير من اهل
الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد اخرج البخاري في افراده من

Copyright © King Saud University

من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم
عليه السلام اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة
وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر ايضا ولم يقل
اباه تارخ فثبت بهذا ان اسمه الاصلي آزر لا تارخ ‹خازن›
والقول الثاني الذي عليه جمهور المحققين ان هذه الرواية
وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة
واكرمه بالرسالة ثم اختلف اصحاب هذا القول في تاويل
الاية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم
عليه السلام اراد ان يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم
جهلهم وخطاهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا
يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم انه معظم ما عظموه
فلما افل الكوكب والقمر والشمس اراهم النقص الداخل على النجوم
بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطا ما كانوا يعتقدونه
فيها من الالوهية ومثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوم
كانوا يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فاكرموه لذلك
حتى صاروا يصدرون على رايه في كثير من امورهم الى ان دهمهم
عدو لا قبل لهم به فشاوروه في امر هذا العدو فقال الراي
عندي ان ندعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا
حول الصنم يتضرعون اليه فلم ينفعهم شيئا فلما تبين لهم

انه لا ينفع

٢١١

انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحواري وامرهم
ان يدعوا الله عز وجل ويسالوه ان يكشف عنهم ما نزل
بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون
فاسلموا جميعا الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام
قال هذا القول على سبيل الاستفهام انكارا وتوبيخا لقومه
تقديره اهذا ربي الذي تزعمونه واسقاط حرف الاستفهام
كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى افان مت فهم الخالدون
يعني افهم الخالدون والمعنى ايكون هذا ربا ودلائل النقص
فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على
وجه الاحتجاج على قومه بقوله هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال
لو كان الها لما غاب ‹خازن› اني وجهت وجهي يعني اني صرفت
وجه عبادتي وقصدت بتوحيدي للذي فطر السموات
والارض يعني للذي خلقهما وابتدعهما حنيفا يعني مائلا
عن عبادة كل شيء سوى الله تعالى واصل الحنف الميل وهو
ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف
هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته وما انا من المشركين
تبرا من الشرك الذي كان عليه قومه وحاجه قومه يعني
وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام عيب
الهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله عز وجل

خاصمه قومه وجادلوه في ذلك فقال اتحاجوني في الله
يعني اتجادلونني في توحيد الله وقد هداني وقد بين لي
طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوي
ولما رجع ابراهيم الى الله وصار من الشباب بحالة سقط
عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل يصنع
الاصنام ويعطيها ابراهيم يبيعها فيذهب بها ابراهيم
وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه ولا يشتريها احد فاذا
بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه روسها وقال اشربوا
استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشى استهزاؤه
بها في قومه واهل قريته فحاجه قومه يعني خاصمه وجادله
قومه في دينه قال يعني ابراهيم اتحاجوني في الله وقد هداني
يعني الى توحيده ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به وذلك
انهم قالوا احذر الاصنام فانا نخاف ان تمسك بخبل
او جنون لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولا اخاف ما
تشركون به فانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف
ممن يقدر على النفع والضر الا ان يشاء ربي شيئا يعني
ان يشاء ربي كائنا ما يشاء لانه قادر على النفع والضر وانما قال
ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض
حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه ونسبوه
الى الاصنام

الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي شيئا
وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول في شيء والمعنى
ولكن ان يشاء ربي شيئا كان وسع ربي كل شيء علما يعني احاط
علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه افلا تتذكرون يعني افلا تعقلون
ان هذه الاصنام جمادات لا تضر ولا تنفع وان النافع
الضار هو الذي خلق السموات والارض ومن فيهما وكيف اخاف
ما اشركتم يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتم بها لانها جماد
لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله
يعني وانتم لا تخافون وانتم اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب
ما لم ينزل به عليكم سلطانا يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان
فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون يعني يقول من اولى
بالامن من العذاب في يوم القيمة الموحد ام المشرك الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين
قومه يعني ان الذي يستحق الامن يوم القيمة الذين امنوا
بالله وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
شق ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال عليه
الصلاة والسلام ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمع قول
لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء يعني من الذين قالوا ما انزل الله

Copyright © King Saud University

الله على بشر من شيء ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته
اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء
فيمن نزلت الاية على قولين احدهما انها نزلت في كفار قريش
وهذا قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدي
ويروى ذلك عن مجاهد ومحمد الطبري قال لان من اول السورة
الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله
وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه
فلا يكون قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء خبرا عن غيرهم
واورد فخر الدين الرازي هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش
ينكرون نبوة جميع الانبيا فكيف يمكن الزامهم نبوة موسى ايضا
فما بعد هذه الاية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود
واجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا
منهم ان موسى جاءهم بالتوراة والمعجزات الباهرات وانما
انكروا كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم
بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عنه
سياق الاية لا يليق بحال اليهود بان كفار قريش واليهود كانوا
مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض
الاية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود
القول الثاني في سبب نزول هذه الاية وهو قول جمهور
المفسرين

المفسرين انما نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان
هذه الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات مدنيات التي
في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام
بالمدينة للناس يعني التوراة ضياء من ظلمة الضلالة
وبيانا يفرق بين الحق والباطل وذلك قبل ان تبدل وتغير
تجعلونه قراطيس تكتبونه في قراطيس تبدونها يعني
يعني القراطيس المكتوبة وتخفون كثيرا يعني وتخفون
كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة وما اخفوه ايضا اية
الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التورية وعلمتم ما لم
تعلموا انتم ولا اباؤكم واكثر المفسرين على ان هذا الخطاب
لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم
تعلموا انتم ولا اباؤكم من قبل قل الله هذا راجع الى قوله قل من
انزل الكتاب الذي جاء به موسى فان اجابوك والا فقل انت الله
الذي انزله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يعني دعهم يا محمد
فيما هم فيه يخوضون في باطلهم وكفرهم بالله والمعنى يلعبون
ويستهزؤن ويسخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا اقمت
الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم
فحينئذ لم يبق عليك من امرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من الخوض

Copyright © King Saud University

والتعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ باية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني وهذا القران كتاب انزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المومنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير مصدق الذي بين يديه يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعني انه موافق في التورية والانجيل وساير الكتب لانها اشتملت جميعا على التوحيد والحجة والتنزيه من كل عيب ونقيصة وتدل البشارة والنذارة فثبت بهذا كون العرب ان الله فالق الحب والنوى لما تقدم الكلام في تقرير التوحيد وتقرير النبوة اردفه بالذكر الدلايل الداله على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله في انه مبدع الاشيا وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريف منه خطا ما كانوا عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الذي فلق الحب النوى والنواة عن النخلة وفي معنى فلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الاية هو هذا القول ان الله

فلق الحب

فالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل ذهبوا بفالق مذهب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشي بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه قال وقيل الفلق الفيلق واذا تاملت الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق والقول الثاني هو اشتق ثم اختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو مروي عن ابن عباس فالق فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها وقال مجاهد الشقان اللذان في الحب والنوى والحب الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه ذلك والنوى جمع نواة وهي ما كان على ضد الحب والخوخ والمشمش وما اشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى اذا وقعت الحبة والنواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان اظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهوى وعروق ضاربة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشيا بقدرته وابدعه وخلقه يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل

Copyright © King Saud University

قال الكلبي يخرج النسمة الحية النسمة الميتة ويخرج الفرخ من [البيضة]
ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحية فان قلت
كيف قال ومخرج الميت من الحي اسم الفاعل بعد قوله يخرج
الحي من الميت وما السبب في عطف الاسم الفاعل قلت قوله ومخرج الميت
من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت
كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى اليابس واخراج النبات
والشجر منه من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي من جنس النبات
في حكم الحيوان فالق الاصباح اي شاق عمود الصبح يدل على انه تعالى
فلق الصبح والظلمة هي تنفلق بالصبح ثم ما معنى ذلك قلت ذكر العلماء
فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان
الصبح صبحان الصبح الاول وهو البياض المستطيل الصاعد في
الافق كذنب السرحان ثم يعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا
الصبح الفجر الكاذب لانه يبدا في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب
يطلع بعد الصبح الثاني وهو الضوء المستطير في جميع الافق
ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل ان يكون المعنى
فالق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثاني وجعلوا لله
شركاء الجن قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة
الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم اطاعوا
الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وقال

الكلبي

الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا الشرك لاثنين في الخلق
فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس
خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول
ابن الجوزي عن ابن السائب [illegible] ونقله الرازي عن ابن
عباس ومعنى الاية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا في معنى
هذا الشرك فمن قال ان الاية في كفار العرب قال انهم اطاعوا
الجن فيما امروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء
ومن قال انها في المجوس فقد اثبتوا الهين اثنين النور والظلمة
وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى
هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك انهم مستورون عن
الاعين وخلقهم في معنى الكناية قولان احدها انها تعود
الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريكا
لله من هو محدث مخلوق والقول الثاني ان الكناية تعود
الى الجاعلين لله شركا فيكون المعنى وجعلوا الله الذي خلقهم
شركا لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق
لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى
هو الخالق لجميع ما في الكون فامتنع ان يكون لله شريكا في ملكه
وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي اختلقوا وكذبوا يقال
اختلقوا واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى

وطائفة من اليهود ادعوا ان لله ابنا وكفار العرب ادعوا ان
الملائكة بنات الله وكذبوا على جميعا فيما ادعوه وقوله بغير
علم كالدليل على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد
جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزى فثبت بهذا
فساد قول من يدعي ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن
اتخاذ الولد وعن الاقاويل الفاسدة فقال سبحانه وتعالى عما
يصفون فقوله سبحانه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله
وقوله تعالى يعني المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد
او يكون المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون به
من الكذب بديع السموات والارض الابداع عبارة عن تكوين
الشيء على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على
غير مثال سبق اني يكون له ولد يعني من اين يكون له ولد ولم يكن
تكن له صاحبة لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغي
ان يكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شيء يعني وخلق كل شيء
معناه ان الصاحبة والولد في جملة من خلق لانه خالق كل
شيء وليس كمثله فكيف يكون الولد لمن لا مثل له وان انسب الولد
والصاحبة اليه فقد جعله مثلا والله متعال عن المثلية وهذه
الاية حجة قاطعة على فساد قول النصارى وهو بكل شيء
عليم يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شيء
ذلكم الله ربكم

ذلكم الله ربكم يعني ذلكم الله الذي من صنعته انه خلق السموات ٨
والارض وابدعهما على غير مثال سبق وانه بكل شيء عليم هو ربكم الذي
يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جماد
لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الفعال
النافع خازن مختصرا فكلوا مما ذكر اسم الله عليه جواب لقول
المشركين حين قالوا للمسلمين انما تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم مما ذكر اسم الله
عليه من الذبائح ان كنتم باياته مؤمنين وقيل كانوا يحرمون اصنافا
من النعم ويحلون الميتة فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله
فعلى هذا القول تكون الاية خطابا للمشركين وعلى القول الاول تكون
خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله في اخر الاية ان كنتم باياته
مؤمنين وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه يعني واي شيء لكم
من ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه
وهذا تاكيد في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره وقد فصل
لكم ما حرم عليكم يعني وقد بينت لكم الحلال من الحرام فيما
تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل
لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت
عليكم الميتة الاية واورد الامام فخر الدين الرازي هاهنا
اشكالا لان سورة الانعام مكية وسورة المائدة من اخر

Copyright © King Saud University

من اخر ما انزل الله بالمدينة وقد فصل بعد ان يكون ذلك المفصل
متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الاية قل
لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الاية وهذه الاية
وان كانت مذكورة بعد هذه الاية بقليل الا ان هذا القدر من
المتاخر لا يمنع ان يكون هو المراد قال كاتبه والمذكور للمفسرين وجه
وهو ان الله علم سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام
في الترتيب لا في النزول احسن عود الضمير في قوله وقد فصل
لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم
الميتة الاية والله اعلم خازن اومن كان ميتا فاحييناه
يعني اومن كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر
موتا لانه جعل الايمان حيوة لان الحي صاحب بصر يهتدي الى
رشده ولما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحيوة الابدية
شبهه بالحيوة وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني وجعلنا
وجعلنا له نورا يستضيء به في الناس ويهتدي به الى قصد
السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر
لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب
الله القران لانه بينة من الله مع المؤمنين كمن مثله
في الظلمات يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة
عمى البصيرة ليس بخارج منها يعني من تلك الظلمات وهذا مثل
ضربه الله تعا

ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن المهتدي
بمنزلة من كان ميتا فاحييناه واعطاه نورا يهتدي به في
مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس
بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون
في هذين المثالين هل هما مخصوصين بانسانين معينين
او هما عامين في كل مؤمن وكافر فذكروا في ذلك قولين
احدهما ان الاية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال
فقال ابن عباس في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد
حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات
يريد بذلك ابا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى النبي
صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وكان
حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل
حمزة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل
ابا جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه
عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه
منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم حمزة
يومئذ فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في عمر بن
الخطاب وابي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر

وابي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي
جهل وذلك ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في
الشرف حتى صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى
اليه والله لا نؤمن الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت هذه الآية
القول الثاني وهو قول الحسن في آخرين ان هذه الآية
عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح اذا كان
حاصلا في الكلام دخل فيه كل احد وكذلك جعلنا في كل قرية
اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة اكابر وعظماء وقيل
هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا
يعملون كذلك جعلنا في كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز
ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل في الآية تقديم وتأخير
تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر وانما
جعل المجرمين اكابر لانهم اقدر على المكر والغدر وترويج
الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل
رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في كل قرية اتباع
الرسل ضعفاءهم ه خازن ويوم يحشرهم جميعا اي اذكر
يا محمد يوم نحشر العادلين بالله مع اوليائهم من الشياطين
يعني نحشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيمة يا معشر
الجن فيه حذف تقديره يقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة
والمراد من الجن

والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس يعني
من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس معناه اضللتم
كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد له من تأويل لان
الجن لا يقدرون على اضلال الانس واغوائهم بانفسهم
لانه لا يقدر على اضلال احد الا الله تعالى لانه هو المتصرف
في خلقه بما يشاء فوجب ان يكون المعنى قد استكثرتم
من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس وقال
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض يعني
استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع
الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية اذا سافر
فنزل بارض قفر وخاف على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد
هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم
واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا اسدنا الانس
الانس بالجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم
وعظما في انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا
يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور
التي كانوا يهوونها وتسهيل سبيلها عليهم واستمتاع الجن
بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة
والمعاصي خالدين فيها الا ما شاء الله اختلفوا في معنى هذا

الاستثنا فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم
ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا
الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا
الاستثنا هو اوقات تنقلهم من عذاب الى عذاب اخر
وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم
يستغيثون منه فينقلونه الى النار فكان مدة نقلهم هو المراد
من هذا الاستثنا ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال
ان هذا الاستثنا يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون
ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا
فعلى هذا التاويل يكون ما في قوله الا ما شاء الله بمعنى من
يعني الا من شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان
يتاول هذا الاستثنا ان الله عز وجل جعل امر هولا القوم
في مبلغ عذابهم الى مشيته وقال مجاهد في هذه الاية انه
لا ينبغي للحيوان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا
نارا قال الزجاج والقول الاول اولى لان معنى الاستثنا
انما هو من يوم القيمة لان قوله ويوم يحشرهم جميعا هو
يوم القيمة ثم قال خالدين فيها من يوم يبعثون الا ما شاء
الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم
ان ربك حكيم عليم يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيته
من حال الى حال

من حال الى حال وغير ذلك من افعاله وقيل حكيم فيما
يفعله من ثواب الطايع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه
المجازاة عليم يعني بعواقبهم وخلقه وبما هم اليه صائرون
كما قال لهولاء الكفار بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون
ذلك خاف كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اختلف عبارات
المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني اباهم الماضين
قرنا بعد قرن وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام
فخر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني
بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل
من فائت واما قوله ما يشا فالمراد منه خلق ثالث ورابع
واختلفوا فقال بعضهم خلقا اخرين من امثال الجن والانس
قال القاضي وهذا الوجه اقرب لان القوم يعلمون بالعادة
انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا الخلق فمتى كان خلق
ثالث ورابع يكون اقوى في دلالة القدرة فكانه تعالى نبه
على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس مع
الخلق الذي يصلح لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا
الطريق الله تعالى لرحمته لهولاء الحاضرين ابقاهم وامهلهم
ولو شاء لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين الله
تعالى عليه قوة قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم

Copyright King Saud University

اخرين لان المراد اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من
نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك
بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير
هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم
خلقا اخر مخالفا لها هذا اخر كلامه وقال الطبري في قوله
كما انشاكم من ذرية قوم اخرين يقول كما احدثكم وابتدعكم
من بعد خلق اخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع
التعقيب كما يقال في الكلام اعطيتك من دينارك ثوبا
يعني مكان الدينار ثوبا لان الثوب من الدينار بعض كذلك
الذين خوطبوا بقوله كما انشاكم لم يريد باخبارهم هذا
الخبر انهم انشؤا من اصلاب قوم اخرين ولكن معنى ذلك
ما ذكرنا انهم انشؤا مكان قوم اخرين قد هلكوا قبلهم
انما توعدون لات يعني ما توعدون به من مجي الساعة
والبعث بعد الموت والحشر والحساب يوم القيمة لات
يعني انه كائن قريب قل يا قوم اعملوا على مكانتكم وقرى
مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكين وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة
كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل
ان يكون معناه اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم

ويحتمل

ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التي انتم عليها كما
يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله مكانتك يا فلان اي اثبت
على ما انت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا
ناحيتكم اني عامل يعني اني عامل على مكانتي التي انا عليها وبما
امرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة
فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الاية
يدل على امر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك
لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة
في الزجر على ما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما انتم
عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم العذاب الدائم فهو كقوله تعالى
اعملوا ما شئتم ففيه تفويض امر العمل اليهم خازنا قد خسر
الذين قتلوا اولادهم الاية قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات
من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضي الرجل على ان يستحيي جارية
ويئد اخرى فاذا كانت الجارية التي تئد غدا الرجل او راح من عند
امراته وقال لها انت علي كظهر امي ان رجعت اليك ولم تئديها
فتخد لها في الارض خدا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها
ثم يتداولنها فهو حتى اذا ابصرته راجعا دستها في حفرتها
ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنع اهل الجاهلية
كان احدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه

Copyright King Saud University

اما سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم
ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا سعى
الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم
وخسر في الدنيا والاخرة واما خسارته في الدنيا فقد سعى
في نقص عدده وازالة ما انعم الله به عليه واما خسارته
في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله
سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة
والجهالة المذمومة وحصول هذه السفاهة هو قلة العلم
بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية وحرموا ما رزقهم
الله يعني البحاير والسوايب والحامي وبعض الحروث وبعض
ما في بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجهل الجهالة
افترا على الله يعني انهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا
ان الله امرهم بذلك وهذا افترا على الله وكذب وهذا من اعظم
الجهالة لان الجراة على الله الكذب عليه من اعظم الذنوب واكبر
الكباير ولهذا قال تعالى قد ضلوا يعني في فعلهم عن طريق
الحق والرشاد وما كانوا مهتدين يعني الى طريق الحق والصواب
في فعلهم خ عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقروا
ما فوق الثلاثين والماية من سورة الانعام قد خسر الذين
قتلوا اولادهم

قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا
مهتدين وهو الذي انشا جنات يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات وغير معروشات
يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل
العرش في اللغة شي مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش
يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته
كهيئة السقف واعترش العنب اذا علاه وركبه واختلفوا
في معنى قوله معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط
على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك
وغير معروشات ما قام على ساق كالنخل والزرع وساير الشجر وقال
الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لا يعرش
بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات هو ما انبته
الله في البوادي والجبال من كرم او شجر ثمانية ازواج يعني وانشا من
الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية اصناف والزوج في اللغة الفرد
اذا كان معه اخر من جنسه لا يستغني عنه فيطلق لفظ
الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى
زوج من الضان اثنين يعني الذكر والانثى والضان ذوات الصوف
من الغنم والواحد ضاين والانثى ضاينة والجمع ضواين خ يا
قل الذكرين حرم ام الانثيين الاثنين وتفسير هذه على ما تقدم

وفي هذه الايتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية
بتحريمهم ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه
انعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسايبة والوصيلة
والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها
على النساء دون الرجال كما اخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء
الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان
خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا انك تحرم
اشياء مما كان اباؤنا يفعلون فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل انما خلق الله هذه
الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم
من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير
ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لك يا مالك لا تتكلم فقال
بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم من
الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب
الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم
عليه فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر او
انثى واما تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او
بالبعض دون البعض فمن اين ذلك التحريم واحتج الله
على بطلان

على بطلان دعواهم بهذه الايتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم
ان كل ما قالوه من ذلك واضافوه الى الله فهو كذب على الله
وانه لم يحرم شيا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك اهواهم وخالفوا
امر ربهم وذكر الامام فخر الدين في معنى الاية وجهين اخرين
ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال
على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني انكم
لا تقرون بنبوة نبي ولا تعرفون شريعة شارع فكيف تحكمون
بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني انكم حكمتم بالبحيرة
والسايبة والوصيلة والحام مخصوصا بالابل فالله تعالى
بين ان النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهي الضان والمعز
والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع
الثلاثة ام كنتم شهدا اذ وصاكم الله بهذا يقول الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله
حرم عليهم ما حرموا على انفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم
الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرون بنبوة احد من
الانبيا فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله
عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه لا سند لهم
في ذلك قال تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس
بغير علم فمن اشد ظلما وابعد عن الحق ممن يكذب على الله وينسب

تحريم ما لم يحرمه الله الى الناس ❊ خازن سيقول الذين اشركوا لما
الزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بتحريم الله
وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه فقال
تعالى سيقول الذين اشركوا يعني مشركي قريش والعرب لو شاء الله
ما اشركنا ولا اباؤنا يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو
شاء الله ما اشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله
قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى نفعله فلولا انه
رضي ما نحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك ولا
حرمنا من شيء يعني ما حرموه من البحائر والسوائب وغير ذلك
فقال الله عز وجل ردا وتكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم
يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا انبياءهم
وقالوا مثل قول هؤلاء حتى ذاقوا باسنا يعني عذابنا وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه يعني وان هذا الذي وصيتكم به وامرتكم
به في هاتين الايتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته
لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني
فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الايتين المتقدمتين ما وصاه
مفصلا اجمله في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم
ذكره فيه ويدخل ايضا جميع احكام الشريعة وكل ما بينه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج
القويم

القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده
المؤمنين وامرهم باتباع جملة وتفصيله ولا تتبعوا السبل
يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع المردية وقيل
السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل
والاديان المخالفة لدين الاسلام فتفرق بكم عن سبيله
يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه
الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود
قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله
ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل
منها شيطان يدعوا اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل الاية ثم اتينا موسى الكتاب يعني التورية فان
قلت اتينا موسى الكتاب كان قبل نزول القران وحرف ثم للتعقيب
فما معنى ذلك قلت دخل لتاخير الخبر لا لتاخير النزول والمعنى قل ❊
تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله لعلكم تتقون ثم
اخبركم انا اتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورات في قوله
تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع
الشرايع فتقدير الكلام ذلك وصاكم به يا بني ادم قديما وحديثا
ثم بعد ذلك اتينا موسى الكتاب يعني بعد ايحاء هذه المحرمات
وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا

Copyright © King Saud University

انا اتينا موسى الكتاب فحذف لفظة قل لدلالة الكلام عليه
تماما على الذي احسن اختلف اهل التفسير فيه فقيل تماما على
المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى اي تماما على من احسن
اي اتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين وهم الانبياء
والمومنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي احسن
هو موسى فيكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن وتقديره واتينا
موسى الكتاب العلم وتقديره واتينا موسى الكتاب تماما
على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل
معناه تماما منى على احساني موسى يكا ..... لا ينفع نفسا
ايمانها الاية يعني لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبته
فاسق عند ظهور هذه الاية العظيمة التي تضطرهم الى الايمان
والتوبة او كسبت في ايمانها خيرا يعني او عملت قبل ظهور هذه الاية
خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادركه بعض الايات
وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل منه العمل قبل نزول الاية كما
قبل منه قبل ذلك فاما من امن من شرك او تاب من معصية
عند ظهور هذه الاية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار
كما لو ارسل الله عذابا على امة فامنوا وصدقوا فانهم لا
لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الاهوال التي تضطرهم الى الايمان
والتوبة من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الاية واختلفوا
في هذه الحسنة

في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما قول لا اله الا الله
والسيئة هي الشرك بالله واورد على القول ان كلمة التوحيد
لا مثل لها حتى يجعل جزاء القائلها عشر امثالها واجيب عنه حتى
بان جزاء الحسنة قد معلوم عند الله فهو يجازي على قدره
ايمان المومن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر امثالها الترغيب في لا اله
المومن بما شاء من الجزاء لا للتوحيد وكذلك جزاء السيئة بمثلها
من حسنها والقول الثاني ان اللفظ عام في كل حسنة يعملها
العبد او سيئة وهذا اولى لان حمل اللفظ على العموم اولى قال
بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله تعالى يضاعف
لمن يشاء في حسناته الى سبع مائة ويعطي من يشاء بغير حساب
واعطاء هذا الثواب لعامل الحسنة من الله تعالى هذا مذهب
اهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى
او يعفو وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني لا ينقص من ثواب
الطايع ولا يزاد على عذاب العاصي ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه
فكل حسنة يعملها تكتب له امثالها الى سبعماية ضعف وكل
سيئة تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى م عن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء

Copyright © King Saud University

مثلها او اغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن
تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
ومن لقيني بقراب الارض خطية بعد ان لا يشرك بي شيئا لقيته
بمثلها مغفرة وحديث اتاني يمشي وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدي ان يعمل
سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها
وان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة واذا اراد ان يعمل حسنة فلم
يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها
الى سبعمائة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تبارك وتعالى واذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا
اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها بعشر امثالها
واذا تحدث ان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها
فانا اكتبها له بمثلها — خازن مختصر المص قال ابن عباس معناه
انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم الله
به وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة المص من اسماء القران
وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى
المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه
لطيف والميم مفتاح مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور
وقيل هي حروف مقطعة استاثر الله بعلمها وهي سر في كتابه العزيز
وقيل هي حروف

٢٢٥

وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف تحوي معان
دل الله بها على خلقه على مراده كتاب انزل اليك يعني هذا
كتاب انزله اليك يا محمد وهو القران فلا يكن في صدرك حرج
يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى
الناس لتنذر به يعني انا انزلنا اليك الكتاب يا محمد لتنذر به
من امرتك بانذاره وذكرى للمؤمنين يعني ولتذكر وتعظ
به المؤمنين وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره
كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك
حرج منه قال ابن عباس فلا يكن في شك منه لان الشك لا يكون
الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم اي قل لقومك اتبعوا ايها الناس ما انزل
اليكم من ربكم من القران الذي فيه الهدى والنور والبيان قال
الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم
والله ما نزلت الاية الا وجب ان تعلم فيما انزلت وما معناها
نحو هذا قال الزجاج اي اتبعوا القران وما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم
فانه مما انزل لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه
فانتهوا ومعنى الاية ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم
بالانذار في قوله لتنذر به فكان المعنى انذر القوم وقل لهم
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل معنا لتنذر به وتذكر المؤمنين

Copyright © King Saud University

فتقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل خطاب للكفار
اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه
من الكفر والشرك ويدل عليه ولا تتبعوا من دونه اولياء
معناه ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك اولياء
فتتبعوهم يعني والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس
والجن فيامرونكم بعبادة الاصنام والاتباع البدع والاهواء
الفاسدة قليلا ما تذكرون يعني ما تتعظون الا قليلا وكم
من قرية اهلكناها لما امر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالابلاغ
والانذار وامر امته باتباع ما انزل اليهم حذرهم نقمته ان لم يتبعوا
ما امر الله به فذكر في هذه الاية ما في ترك المتابعة والاعراض بالاهلاك
اهل القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك اهلها
فجاءهم باسنا اي عذابنا فان قلت مجيء الباس وهو العذاب انما
يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءهم باسنا قلت
معنى القول ان الاهلاك والباس قد يقعان معا كما يقال
اعطيتني واحسنت الي فلم يكن الاحسان قبل العطاء ولا بعده
خازن والوزن يومئذ الحق يعني الوزن يوم سؤال الامم والرسل
وهو يوم القيمة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء
ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن
وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب ميزانا
له لسانا

له لسانا ركعتان فكل ركعة قدر ما بين المشرق والمغرب
قال ابن جوزي جاء في الحديث ان داود عليه السلام سأل ربه
ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر على ان يملأ كفته حسنات
فقال يا داود اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وحدة وقال
حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيمة فيقول له ربه عز وجل زن
بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثمة ذهب ولا فضة
فترد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة وان لم يكن
له حسنة اخذ من سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع
الرجل وعليه مثل الجبال فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال
العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان
الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان
بذلك في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف
العبد ما له من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة
السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد
في اللوح المحفوظ في صحائف الحفظة الموكلين ببني ادم
من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء
في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوب
فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة
وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق
يوم القيمة فينشر له تسعا وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر
ثم يقول له اتنكر من هذا شيا اظلمك الحافظون فيقول لا يا رب
فيقول الله عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى ان لك عندنا
حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك
فيقول يا رب هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا
ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله
شي اخرجه الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال
الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة
فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا
وتوضع تلك الصورة في الميزان ويخلق الله في تلك الصورة
ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انما توزن الاشخاص
واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لياتي الرجل السمين العظيم يوم القيمة لا يزن عند الله
جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس
فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان خازن
فوسوس لهما الشيطان يعني فوسوس اليهما والوسوسة

حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس
اذا تكلم كلاما خفيا مكررا واصله من صوت الحلي ومعنى وسوس
لها فعل الوسوسة والقاها اليهما فان قلت كيف وسوس اليهما
وادم وحوى في الجنة وابليس قد خرج منها قلت ذكر الامام فخر
الدين في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن انه قال كان
يوسوس في الارض الى السماء الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها
الله له وقال ابو مسلم الاصبهاني بل كان ادم وابليس في الجنة
لان هذه الجنة جنات بعض جنات الارض والذي يقوله
بعض الناس من ان ابليس دخل في جوف الحية فدخلت
به الحية الى الجنة قصته مشهورة وركيكة وقال اخرون ان
ادم وحوى ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا
من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الاخر فحصلت
الوسوسة هنالك فان قلت ان ادم عليه السلام قد عرف
ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله قلت يحتمل
ان يقال ان ابليس لقي ادم مرارا كثيرة ورغبه في كل هذه الشجرة
بطرق كثيرة منها نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما
لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا
التمويه اثر كلام ابليس في ادم حتى اكل من الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين يعني انما نهيكما عن هذه

Copyright King Saud University

الشجرة لكيلا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر
وتكونا من الباقين الذين لا يموتون وانما اطمع ابليس لادم
هذا لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش
فاستشرف لذلك ادم واحبه وانه يعيش مع الملائكة لطول
اعمارهم او يكون من الخالدين الذين لا يموتون ابدا فان
قلت ظاهر الاية يدل على ان الملائكة افضل من الانبياء
لان ادم عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة وهذا
يدل على فضلهم عليه قلت ليس في ظاهر الاية ما يدل على
ذلك لان ادم عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة كان
ذلك الطلب قبل ان يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة
قبل نبوة ادم عليه السلام فطلب ان يكون من الملائكة
او من الخالدين وعلى تقدير ان تكون هذه الواقعة على زمان
النبوة بعد ان شرف بها ادم انما طلب ان يكون من الملائكة
لطول اعمارهم او من الخالدين لا انهم افضل منه حتى يلحق
بهم في الفضل لانه طلب ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم
او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا وقاسمهما اني لكما
لمن الناصحين اي واقسم وحلف قال قتادة حلف لهما
بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني
خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني ارشدكما وقال

بعض

بعض العلماء من خدعنا بالله خدعنا له فدلاهما بغرور
فخدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي على فلان بغرور يعني
ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول الباطل قال الازهري
واصله ان الرجل العطشان يتدلى في البير لياخذ الماء ولا يجد
فيها ماء خازن مختصرا ولباس التقوى اختلف العلماء
في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم
من حمله على المجاز واما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا
ايضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو لباس الاول
وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل
انما اعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب في الجاهلية
كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت
فاخبر ان ستر العورة هو لباس التقوى وذلك خير وقال
زيد بن علي لباس التقوى هو الات الحرب التي يتقي بها في
الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى
هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد
والورع وقيل هو ستر العورة في الصلوة واما من حمل
لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة
والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من
النار وقال ابن عباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن

هو الحيا لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان
لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير
لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له
من لباس التجمل وزينة الدنيا ذلك خير يعني ان لباس التقوى
خير من لباس الجمال والزينة وانشد واني أعني اذا انت
لم تلبس ثيابا من التقى عريت وان واري القميص قميص
يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان الاية قبل هذا خطاب للذين
كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره
ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما ذكر
قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد
ادم فقال تعالى يا بني ادم الاية والمعنى ان من قدر على اخراج
ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبان يقدر
على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل بني ادم وامرهم
بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه
القبايح وتحسينه الافعال الردية في قلوب بني ادم فهذه
فتنته التي نهى الله عباده عنها وحذرهم منها ينزع عنهما
لباسهما انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر
ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره
فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس
كان لباسهما

كان لباسهما الظفر فلما اصاب الخطيئة نزع عنهما وبقيت
الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان
لباس ادم وحوى نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفي
رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا
القول اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون
الا بعد اللباس ليريهما سواتهما يعني ليرى ادم عورة حوى
وترى حوى عورة ادم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوءة بعض
خازن من حرم زينة الله الاية يعني قل يا محمد لهؤلاء الجهلة
من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله
التي خلقها لعباده ان يتزينوا بها ويلبسوها في الطواف
وغيره ثم في تفسير الزينة قولان احدهما وهو قول جمهور
المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة
والقول الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي انه يتناول جميع
انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلي
ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والفضة على الرجال
فهذا العموم ولكن ورد النص بالتحريم على الرجال دون
النساء والطيبات من الرزق قولان احدهما ان المراد
بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم
ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم بقوله من

Copyright © King Saud University

من حرم زينة الله الاية والقول الثاني وهو قول ابن عباس
ان الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله من الرزق وغيرها
وهو قول الله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم
منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله من حرم زينة الله الاية
والقول الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ
ويشتهى من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه
قل هي للذين امنوا يعني قل يا محمد ان الطيبات التي اخرج الله
من رزقه للذين امنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم
لانه يشركهم فيها المشركون خالصة لهم يوم القيمة يعني
لا يشركهم فيها احد لانه لا حظ للمشركين يوم القيمة في
الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم
القيمة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم في
الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص
فاعلمهم انها خالصة لهم في الاخرة من ذلك كله قل انما
حرم ربي الفواحش جمع فاحشة وهو ما قبح وفحش من
قول او فعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون
من الثياب عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم
ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه
وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال ما ظهر منها
وما بطن

وما بطن يعني علانيته وسره ق عن عبد الله بن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من
اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احب
اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة
ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص
الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل
منهما لصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه
ويمنعه من غيره واما الغيرة في وصف الله تعالى فهو منعه
من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل ان تكون غيرته تغيير حال
فاعل ذلك بعقاب الله تعالى والاثم والبغي يعني وحرم الاثم
واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفاحشة
الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن
الصغائر من الذنوب خازن قال ادخلوا في امم الاية يعني
يقول الله عز وجل يوم القيمة لمن افترى على الله الكذب وجعل
شريكا من خلقه ادخلوا في امم يعني في جملة امم قد خلت يعني
قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه
اطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعة قد خلت من
قبلكم من الجن والانس في النار يعني ادخلوا جميعا في النار

Copyright © King Saud University

التي هي مستقركم وماواكم وانما عني الامم الجماعات والاحزاب واهل
الملل الكافرة من الجن والانس كلما دخلت امة لعنت اختها
يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها من اهل ملتها في الدين
لا في النسب قال السدي كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا اصحابهم
على ذلك الدين فيلعن المشركين المشركون واليهود اليهود و النصارى
النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الاخرة
الاولى حتى اذا اداركوا يعني تداركوا وتلاحقوا فيها جميعا يعني
تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وادرك بعضهم بعضا
واستقروا في النار قالت اخريهم لاوليهم قال ابن عباس يعني
قال اخر كل امة لاوليها وقال السدي قالت اخريهم الذين
كانوا في اخر الزمان لاوليهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين
وقال مقاتل يعني قال اخرهم دخولا النار وهم الاتباع
لاوليهم دخولا وهم القادة يدخلون النار اولا ربنا هؤلاء
اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل
انما قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم
المتقدمين من اسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة وتبعوا
طريقهم فيما كانوا عليه قال ربنا هؤلاء اضلونا لانا تبعنا
سبيلهم فاتهم عذابا ضعفا من النار اي اضعف عليهم العذاب
قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشيء مرة واحدة قال الازهري
والذي

والذي قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم
واما كتاب الله فهو عربي مبين ويرد تفسيره الى موضع
كلام العرب والضعف في كلامه ما زاد وليس بمقصور على
مثلين وجائز في كلام العرب هذه ضعفه اي مثلاه وثلاثة
امثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة واولى الاشياء
به ان يجعل عشرة امثاله فاقل الضعف محصور وهو المثل
واكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الاية فاتهم
عذابا ضعفا اي مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على
ضربين احدهما المثل والاخر ان يكون في معنى تضعيف الشيء
اي زيادته قال يعني قال الله لكل ضعف يعني لاوليكم ضعف
ولاخريكم وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم
قد دخلوا في الكفر جميعا ولكن لا تعلمون يعني ما اعد الله
لكل فريق من العذاب وقرى بالياء ومعناه لا يعلم كل فريق
ما اعد الله للفريق الاخر وقالت اوليهم يعني في الكفر وهم القادة
لاخريهم يعني الاتباع فما كان لكم علينا من فضل يعني قد
ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا خازنا اورثتموها
بما كنتم تعملون روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من احد الا وله منزلة في الجنة ومنزل في النار فاما
الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله

Copyright © King Saud University

من الجنة زاد في رواية فلذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون
قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احيا سمى المومن
حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحيا يرثون الاموات
فقال اورثتموها يعني ان المومن حي وهو يرث الكافر منزلته
من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يؤول الى
الجنة كما ان الميراث يؤول الى الوارث وقيل اورثتموها عن
الاعمال الصالحة التي عملوها لان الجنة جعلت ثوابا وجزا
لهم على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله وانما يدخلها
برحمة الله واقتسام الدرجات والمنازل بالاعمال وقيل ان
العمل الصالح لن يناله المومن ولم يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه
وان كان العمل الصالح سببه الرحمة كان دخول الجنة في
الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزا لهم على تلك
الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله اعلم ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار يعني وينادي اهل الجنة اهل النار
وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار يقول اهل الجنة يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا يعني ما وعدنا في الدنيا على السنة رسله من الثواب
على الايمان به وبرسله وطاعته حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا

ربكم حقا يعني من العذاب على الكفر قالوا نعم قال اهل
النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان
قلت هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض
قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم
والجمع واذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل
الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت
اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ
هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على
ان يقوي الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب فاذن
مؤذن بينهم يعني نادى مناد واعلم لان اصل الاذان في اللغة
الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين وهذا المنادي
من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدي
وعلى الاعراف رجال قال ابن عباس الاعراف الشي المشرف وعنه
قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه الاعراف تل بين الجنة والنار
يجلس عليه ناس من اهل الذنوب واختلف العلماء في صفة
الرجال الذين اخبر عنهم انهم على الاعراف واما السبب الذي من
اجله صاروا هنالك فروي عن حذيفة انه سئل عن اصحاب
الاعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم
سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا

Copyright © King Saud University

هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف
لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة
ولا من اهلها ولكن الله يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس في الاخرة
دار الا الجنة والنار كذا في مختصر ادعوا ربكم قيل معناه اعبدوا
ربكم لان الدعا طلب الخير من الله وهذه صفة العبادة ولانه
تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف
يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة
الدعا وهو الصحيح لان الدعا هو السوال والطلب نوع من انواع
العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه الحاجة
الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه تبارك
وتعالى يسمع الدعا ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها
الى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف
ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تضرعا يعني ادعوا ربكم
تذللا واستكانة وهو اظهار الذل في النفس والخشوع يقال
ضرع لفلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني تملقا
وحقيقة ان تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين له بالدعا
له تعالى وخفية يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية والادب
في الدعا ان يكون خفيا لهذه الاية قال الحسن بين دعوة
السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون
يجتهدون

يجتهدون في الدعا ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا
بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال اذ نادى
ربه نداء خفيا وعن ابي موسى الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصما
ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذي تدعونه
اقرب الى احدكم من عنق راحلته وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة
الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز
الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله قوله
صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم اي ارفقوا بها وتفرقوا
عن الصياح في الدعا انه لا يحب المعتدين يعني في الدعا وقال
ابو مجلد هم الذين يسئلون منازل الانبيا وعن عبد الله بن
مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسئلك القصر الابيض عن
يمين الجنة اذا دخلتها قال اي بني اسئل الجنة وتعوذ به من النار
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه
الامة قوم يعتدون في الطهور والدعا اخرجه ابو داود وقال
ابن جريج من الاعتدا رفع الصوت والنداء والصياح في الدعا
وقيل الاعتدا مجاوزة الحد في كل شي فكل من خالف امر الله ونهيه

فقد اعتدى ومن تحت قوله لا يحب المعتدين وقوع بعض ارباب
الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل
اظهار العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفا العبادات
والطاعات افضل من اظهارها بهذه الاية ولكونها ابعد من الريا
وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدى به الغير فيعمل بمثله
وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا
على نفسه من الريا فالاولى اخفا العبادات صونا لعمله من
البطلان وان كان قد بلغ في الصفا وقوة اليقين الى التمكين حيث
صار حيانا عن شائبة الريا كان جائزا وانصح لكم يقال نصحته
ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير كما
يريد لنفسه وقيل النصح قول او فعل فيه صلاح للغير
وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية
من شوائب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع التكاليف الله
وشرائعه وارشدكم الى وجه الاصلح والاصوب لكم وادعوكم
الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق
بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبلغ الرسالة ان
يعرفهم جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف
التي اوجبها الله عليهم واما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول
تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه

واعلم

واعلم من الله ما لا تعلمون يعني انكم ان عصيتم امره عاقبكم
بالطوفان فان ذا الغرق في الدنيا ويعذبكم في الاخرة
وقيل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على
الكفر وقيل لعل الله اطلعه على سر من اسراره فقال واعلم
من الله ما لا تعلمون والى عاد اخاهم هودا اي وارسلنا
الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي
عاد الاولى اخاهم هودا يعني اخاهم في النسب لا في الدين وهو
هود بن عبد الله بن رباح الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن
اسحق هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح
واختلفوا في سبب الاخوة من اي حصلت فقيل انه كان واحد
من القبيلة فيتوجه قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم
يكن من القبيلة ثم ذكر في تفسير هذه الاخوة
وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم
لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى
انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم
والانس بكلامهما اتم واكمل ولم يبعث اليهم من غير
جنسهم مثل الملك او الجن والثاني انه اخاهم يعني صاحبهم
والعرب تسمي صاحب القوم اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف
باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت قال يا قوم

Copyright © King Saud University

اعبدوا الله الاية اي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه
الها اخر فانه ليس لكم الها غيره والفرق بين قوله في قصة نوح
فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوته على قومه
غير متوان فيها الان الفا تدل على تعقيب واما هود فلم يكن
كذلك بل كان نوح في المبالغة في الدعا فاخبر الله عز وجل عنه بقوله
قال يا قوم الاية يعني افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما
كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا
ما احل بهم من الغرق حسن قوله هنا افلا تتقون يعني افلا
تخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة نوح
شي حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم قوله تعالى وانا لنظنك من الكاذبين يعني
في دعائك انك رسول من رب العالمين قال يعني هود لهؤلاء
الملا الذين نسبوه الى السفه يا قوم ليس بي سفاهة [illegible]
ولوطا اذ قال لقومه يعني اهل سدوم واليهم كان قد ارسل
وذلك ان لوط عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم
عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم ارض فلسطين وانزل
لوطا الاردن فارسله الله الى ارض سدوم يدعوهم الى الله
وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله اتاتون الفاحشة
يعني اتفعلون الفعلة الخسيسة التي هي غاية في القبح
وكانت

وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في ادبارهم ما سبقكم
بها من احد من العالمين من الاولى زايدة لتوكيد النفي وافادة
معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ما سبقكم بها
ايها القوم بهذه الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم
وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلتهم تلك الفاحشة
قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط انكم لتاتون
الرجال شهوة من دون النساء يعني ادبار الرجال اشهى
عندكم من فروج النساء بل انتم قوم مسرفون اي مجاوزون
الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل
الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة
النكاح لبقا النسل وعمارة الدنيا وجعل النساء محلا لتلك الشهوة
وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن
من الرجال فكانما قد اسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشي في غير
موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليست محلا للولادة
التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان انهم اناس
يتطهرون انهم يتنزهون عن فعلكم وعن ادبار الرجال لانه موضع
النجاسة ومن تركه فقد تطهر وقيل البعد عن المعاصي والاثام يسمى
طهارة فمن تباعد عن المعاصي والاثام فقد تطهر فلهذا قالوا
انهم اناس يتطهرون يعني من فعل المعاصي والاثام فانجيناه

Copyright © King Saud University

واهله يعني فانجينا لوطا ومن امن به واتبعه على دينه
وقيل المراد باهله المتصلين به بسبب النسب والمراد باهله
ابنتاه الا امراته يعني زوجته كانت من الغابرين يعني كانت من
الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من
الباقين المعمرين قد اتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من
هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات
لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين وامطرنا
عليهم مطرا يعني حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال
مطرت السماء وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطرت وفي
الرحمة مطرت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يعني انظر يا محمد كيف
كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش
كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل فادخل جناحه تحت
مداين قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل
اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم لكن المراد به غيره امته كاذب فاصبحوا في دارهم جاثمين
قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل الله
عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلا ينفعهم ظل
ولا ما فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها اشد حرا
من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة
فيها

فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا
ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها رجالهم
ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم
الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا
رمادا فكيف اسى الاية والاسى اشد الحزن وانما اشتد حزنه على
قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة والايمان
فلما نزل بهم من العذاب عزى نفسه فقال كيف احزن على قوم
لانهم اهلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الاية ان
شعيبا قال لقد اعذرت لكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم
تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف احزن عليكم يعني لستم
مستحقين بان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب
حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم
لعلهم يضرعون يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا
والتضرع الخشوع والانقياد لامر الله والمراد من هذه الاية
ان الله عز وجل لما عرف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم احوال
الانبياء مع امم المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرف سنته
في الامم الذين خلوا قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب
عرفه في هذه الاية انه قد ارسل رسلا الى امم اخر فكذبوا رسلهم
فاخذناهم بالباسا والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه

Copyright © King Saud University

تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا
عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين الله تعالى انه لا يجري
تدبيره في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم
بما يكونون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة
والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر
قال اهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما
يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا
الشدة والرخا والمعنى ان بدلنا مكان الباساء والضراء
النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله تعالى
في هذه الاية انه ياخذ اهل المعاصي والكفار تارة بالشدة
وتارة بالرخا على سبيل الاستدراج وهو قوله تعالى حتى
عفوا يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال
عفى الشعر اذا كثر وطال وقال مجاهد حتى كثرت اموالهم
واولادهم وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعد
ما صاروا الى الرخا والسعة قد مس اباءنا الضراء والسراء يعني انهم
قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولابائنا ولم يكن
باسا من الشدة والضرا عقوبة لنا من الله على ما نحن عليه
فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم من قبل فانهم لم
يتركوا

٢٢٧

يتركوا دينهم عما اصابهم ما اصابهم من الضرا والباسا قال
الله تعالى فاخذناهم بغتة فجاة اي ما كانوا ليكون ذلك اعظم
لحسرتهم وهم لا يشعرون يعني بنزول العذاب والمراد بهذه
القصة اعتبار من سمعها لينزجروا عما هم عليه من العقاب
خائفين ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى
في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى
المنتظمة لما ذكر ههنا انتظاما اوليا امنوا بما اوحي الى انبيائهم
معتبرين بما حل عليهم من الابتلا بالباسا والضراء واتقوا اي
الكفر والمعاصي واتقوا ما اثروا به على السنة الانبيا ولم يصروا
على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلا الله على عادة الدهر
وقال ابن عباس وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم
بركات السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم
من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي
بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل بركات السماء
المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من
الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الافات
وكل ذلك من فضل الله واحسانه على العباد واصل البركة
ثبوت الالهي في الشي وسمي المطر بركة السما لثبوت البركة
فيه وكذا ثبوت البركة في النبات الارض لانه نشا عن
بركات السماء وهي المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة

Copyright © King Saud University

على النبي اي تابعنا عليهم ما المطر من السماء والنبات من
الارض ودفعنا عنهم القحط والجدب ولكن كذبوا يعني
فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا ولكن كذبوا يعني الرسل فاخذناهم
بانواع العذاب بما كانوا يكسبون يعني اخذناهم بسبب كسبهم
الاعمال الخبيثة قوله تعالى افامن اهل القرى هو استفهام
بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى
مكة وما حولها وقيل هو عام في كل القرى الذين كذبوا
وكذبوا ان تاتيهم باسنا يعني عذابنا بياتا يعني ليلا
وهم نائمون اوامن اهل القرى الاية يعني وهم ساهون
لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الاية ان
خوفهم بنزول العذاب وهم غاية الغفلة وهو حال النوم
بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان
التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان
يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه لا يضر
ولا ينفع قوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف
اهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركين
الذين اهلكناهم من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم
رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم
حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان
واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال

السدي

السدي امنوا كرها يوم اخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا
ليؤمنوا لو احييناهم بعد الهلاك ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا
بما كذبوا قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل
بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم
عليه السلام قال ابي بن كعب كان سبق لهم علمه يوم اقروا له
بالميثاق انهم لا يؤمنون وقال الربيع بن انس يحق على العباد
ان ياخذوا من العلم ما ابدى لهم ربهم وان لا يتعلموا علم
ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما كان وما يكون وفي ذلك
قال تعالى لقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا من قبل الاية قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع من العاصي
حيث خلقهم في صلب ادم عليه السلام قال الطبري واولى الاقوال
بالصواب قول ابي الربيع وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يؤمن
فلا يؤمن ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم
الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر
عنهم انه لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه
قبل مجيء الرسل عند مجيئهم اليهم كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين [illegible] فاذا هي ثعبان مبين اي بين والثعبان
الذكر من الحيات ووصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات
العظيم الضخم ووصف في اية اخرى كانها جان والجان الحية

Copyright © King Saud University

الصغيرة والجمع بين هذين الموضعين ما نها كانت في
عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية
الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس والسدي انه لما القى
العصى صارت حية عظيمة صفرا شعرا فاغرة فاها بين
لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل
وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها
الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه
فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث
في ذلك اليوم اربعمائة مرة وقيل انها اخذت قبة فرعون
بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا
وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة
وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك
بالذي ارسلك ان تاخذها وانا اومن بك وارسل معك بني
اسرائيل فعادت في يده عصى كما كانت وفي كون الثعبان
مبين وجوه الاول انه يبين ويميز ذلك عما عملته السحرة
من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عن تمويه
السحرة وتخليطهم والوجه الثاني انهم شاهدوا
العصى قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك
قال ثعبان مبين اي بين والوجه الثالث ان ذلك
الثعبان

الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام كان ان صدق قول
موسى في انه رسول رب العالمين ونزع يده النزع في اللغة
عبارة عن اخراج الشي عن مكانه والمعنى انه اخرج من جيبه
ومن تحت جناحه فاذا هي بيضاء للناظرين قال ابن عباس
وغيره اخرج يده من جيبه فرآها بيضا من غير سوء يعني من
غير مرض وقيل ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها
منه وقيل اخرج يده تحت ابطه فاذا هي بيضا لها شعاع غلب
نور الشمس وكان موسى عليه السلام ادم اللون ثم ردها الى جيبه
ثم اخرجها فاذا هي كما كانت ولما كانت البياض المفرط عيب في الجسد
وهو البرص قال الله تعالى في اية اخرى بيضا من غير سوء يعني من
غير مرض والمعنى فاذا هي بيضا للناظرين ولا تكون بيضا للناظرين
الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه
قال الملا من قوم فرعون ان هذا يعني موسى لساحر عليم يعنون
انه ليأخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصى صارت حية
ويرى الشي بخلاف ما هو عليه كما اراهم يده ابيض وهو ادم اللون
وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما
اتى بما يعجز عنه غيره قالوا لساحر عليم فان قلت قد اخبر الله في هذه
السورة ان هذا الكلام من قول الملا فرعون وقال في سورة الشعرا
قال فرعون للملا حوله ان هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما

Copyright © King Saud University

قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده
فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعرا وقيل
يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته
سمعوا منه ثم انهم بلغوا الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن
الملا واخبر هنالك عن فرعون ٢ فان قالوا امنا برب العالمين
فقال فرعون اياي تعنون قالوا بل رب موسى وهرون قال [illegible]
قال موسى لكبير السحرة تومن بي اذ غلبتك فقال لاتين بسحر لا يغلبه
سحر ولين غلبتني لاومنن بك وقيل ان الحبال والعصي التي كانت
مع السحرة كانت حمل ثلاثماية بعير فلما ابتلعتها عصى موسى
كلها قال بعضهم لبعض هذا من خارج عن هذا السحر وما هو
الا من امر السما فامنوا وصدقوا فان قلت كان يجب ان ياتوا
بالايمان قبل السجود ثم فما فايدة تقديم السجود على الايمان ٥
قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا
لله ساجدين شكرا على ما هداهم اليه والهمهم به من الايمان
بالله وتصديق رسوله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل انما
ارادوا من عظم قدرة الله وسلطانه في امر العصى وانه
ليس يقدر على ذلك احد من البشر وزالت كل شبهة كانت
في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشان ما راوا
من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان قال ابن عباس لما رات
عرفت

عرفت ان ذلك من امر السماء وليس بسحر خروا سجدا وقالوا
امنا برب العالمين رب موسى وهرون ربنا افرغ علينا صبرا
اي اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعني
صبرا اي صبر عظيم وتوفنا مسلمين قالوا اقبضنا على دين
الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه السلام قال ابن
عباس كانوا في اول النهار سحرة وفي اخر النهار شهداء قال
الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال
غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما باياتنا
انتما ومن اتبعكما الغالبون ليفسدوا اي يامرونهم بمخالفة فرعون
وهو قوله ويذرك والهتك يعني وتذره ليذرك والهتك فلا
يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس كانت لفرعون بقرة يعبدها
وكان اذا راى بقرة حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم
السامري عجلا وقال السدي كان فرعون اتخذ لقومه اصناما
وكان يامرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام
وذلك ان قوله انا ربكم الاعلى والاقرب ان يقال ان فرعون كان دهريا
منكرا لوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكوكب
فاتخذ اصناما على صورة الكوكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها
وكان في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال انا ربكم
الاعلى وقرا ابن مسعود وابن عباس والضحاك ويذرك والهتك

بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك لان فرعون يعبد ولا يعبد
وقيل اراد بالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبد قال الشاعر ٥٥
تزودنا من الكعبا قصرا ٥ فاعجلنا الالهة ان توبا قال يعني ٥
فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى وقومه قال
سنقتل ابناهم ونستحي نساءهم يعني نتركهن احيا وذلك
ان قوم فرعون لما ارادوا احمل فرعون على قتل موسى وقومه
او حبس موسى وانزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان
يفعل بموسى عليه السلام شيا مما ارادوا به لقوة موسى
بما معه من المعجزة عدل الى قومه فقال سنقتل ابناهم
ونستحي نساهم وقال ابن عباس كان ترك القتل في بني اسرائيل
بعد ما ولد موسى فلما جاهم موسى بالرسالة وكان من امره
ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فاعادوا عليهم
القتل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن
نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين
فرعون انه قادر على ذلك بقوله وانا فوقهم قاهرون
يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ابني اسرائيل ما نزل
شكوا الى موسى ما نزل بهم خازن وواعدنا موسى الاية روي
ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك
الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون ويذرون
فلما هلك

فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامرهم بصوم ثلاثين
وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك
فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك
وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندي من
رائحة المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من
ذي الحجة لذلك وذلك قوله واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي
لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلاثين يوما
وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم نزلت التورية في العشر
وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل هاهنا
وواعدنا بمعنى وعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلثين ليلة
فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وكلمه ربه
بلا غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه
عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيها على ان سماع
كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب
ارني انظر اليك اي ارني ذاتك بان تمكنني من رويتك او تتجلى لي
فانظر اليك واراك وهو دليل على ان روية الله تعالى جايزة
في الجملة لما ان طلب المستحيل من الانبيا ولا سيما يقتضي الجهل
الله تعالى ولذلك رده بقوله تعالى لن تراني دون لن اراك ولن
اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويته تعالى لتوقفها

Copyright@King Saud University

على معد في الراي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السوال تبكيت
قومه الذين قالوا ارنا الله جهرا خطا اذ لو كانت الروية ممتنعة
لوجب ان يجليهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل
لنا وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين وما
والاستدراك بالجواب على استحالتها اشد خطا ان لا يدل الاخبار
بعدم روئته اياه على انه يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا
عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل
لحقيقة الروية ولكن انظر الى الجبل الاية استدراك لبيان انه
لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز
ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن فلما تجلى ربه للجبل اي ظهرت
له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حياة
وروية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق
اخوان كالشك والشق وقرئ دكا اي ارضا مستوية ومنه
ناقة دكا التي لا اسنام لها وقرئ دكا جمع اي قطعا وخر موسى
صعقا مغشيا عليه من هول ما راه فلما افاق الافاقة رجوع
العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال
تعظيما لما شاهده سبحانك اي تنزيها لك من ان اسئلك
شيئا بغير اذن منك تبت اليك وانا من المسلمين من الجراءة والاقدام
على السوال بغير اذن وانا من المسلمين اي بعظمتك وجلالك
وقيل اول

وقيل اول من امن بك انك لا ترى في الدنيا وقيل انه لا يجوز السوال
بغير اذن منه قال يا موسى استيناف مسوق لتسلية عليه السلام
عدم الاجابة لسوال الروية كانه قيل ان منعتك الروية
فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين
فاغتنمها وثابر على شكرها ح ابو السعود مختصرا باخذ
باحسنها اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة
الى الاقتصاص والانتصار وكالاقتصار على طريقة الندب والحث
على اختيار الافضل كما قال تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم
من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى
ياخذوا بها احسن صلة قال قطرب اي بحسنها وكلها
حسن لقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة
المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقرب
الى الصواب ساريكم دار الفاسقين اما ارض مصر خاصة
وديار عاد وثمود واضرابهم فان روئيتها وهي خالية عن
اهلها خاوية على عروشها موجب للاعتبار والانزجار عن
عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج
الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر
خاصة او مع الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما
ابيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما نطق به قوله تعالى

Copyright © King Saud University

يا قوم ادخلوا الارض المقدسة الاية سأصرف عن اياتي الذين الاية
قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون اوليائي
سأصرف عن قبول اياتي والتصديق بها حتى يؤمنوا بي عوقبوا
بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينه سأمنعهم
فهم القران وقيل معناه سأصرفهم عن التفكر في خلق السموات
والارض وما فيها من الايات والعبر وقيل حكم الاية لاهل مصر
خاصة واراد بالايات الايات التسع التي اعطاها الله موسى
والاكثرون على ان الاية عامة وفيها دليل لمذهب اهل السنة
على ان الله تعالى يهدي من يشا ويصرف عن اياته وقبول الحق
من يشا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ومعنى الذين يتكبرون
انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس
لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل
لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه
فالتكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة غيره
صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار
كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد
وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبير اي يفتعلون التكبر
ويرون انهم افضل من غيرهم فلذلك يتكبرون في
الارض بغير الحق بل بالباطل واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم
يعني من بعد

يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه من
حليهم التي كانوا استعاروها من فرعون وذلك ان
بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي التي يتزينون به
في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقي
الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال تعالى من حليهم فلما
ابطا موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا
في بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو
واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم اجمعوا
عليه وكان السامري رجلا صائغا فصاغ لهم عجلا جسدا من
ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والقى في ذلك العجل من تراب اثر
فرس جبريل فتحول العجل جسدا لحما ودما له خوار وهو
من صوت البقر كخوار ولما سقط يعني ولما ندموا على عبادة
العجل فتقول العرب لكل نادم على امر سقط في يده وذلك لان
من شان من اشتد ندمه على امر ان يعض يده او يضرب على
فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من
اعلى الى اسفل وراوا انهم قد ضلوا يعني وتيقنوا انهم على
الضلالة في عبادة العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا
يعني يتب علينا ويتجاوز عنا لنكونن من الخاسرين يعني
الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها

Copyright © King Saud University

وهذا كلام من اعترف بعظيم من قدر عليه من الذنوب وندم على
ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عقوبته واعترافهم
على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم وهذا
كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى
عليه السلام اليهم وهو قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه
بني اسرائيل رجع غضبان اسفا لان الله كان قد اخبره انه
فتن قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى في حال رجوعه
غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال
ابن عباس والسدي الغضب اشد الحزن وقال الواحدي والقولان
متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا
جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن
هو فوقك حزنت فسمي احد هاتين الحالتين حزنا والاخرى
غضبا فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان
على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله تعالى
فتنهم وان الله تعالى كان اعلمه بذلك محزونا لاجل
ذلك قال يعني موسى بئسما خلفتموني من بعدي يعني بئس
الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم وهذا الخطاب يحتمل ان
يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه او لهرون والمؤمنين
من بني اسرائيل

من بني اسرائيل فعلى الاحتمال الاول في انه خطاب لعبدة
العجل يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم
عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني هو ان يكون الخطاب لهرون
ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث لم
تمنعوهم عن عبادة غير الله وقد رايتم مني الامر بتوحيد الله
واخلاص العبادة له ونفي الشركاء عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك
ومن حق الخلف ان يسير بسيرة مستخلفه اعجلتم
امر ربكم يعني العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت
مذمومة لان معناها عمل الشيء في اول وقته ولقائل ان يقول
لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت
اليك ربي لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا
له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين
وذلك انهم قدروا على راس الثلاثين فقد مات وقيل معناه
اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبي معناه اعجلتم بعبادة
العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم ولما ذكر الله ان موسى رجع الى
قومه غضبان اسفا ذكره بعده ما وجب الغضب فقال تعالى والقى
الالواح يعني التي فيها التورية وكان حاملا لها فالقاها
من شدة الغضب خازن واختار موسى قومه الاية الاختيار
افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره والمعنى واختار

Copyright © King Saud University

من قومه فحذف كلمة من ذلك سائغ في العربية لدلالة
الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من
كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال
ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر مثل من خرج
فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين
شيخا فاوحى الله اليه ان تختار من الشباب عشرة فاختارهم
فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا
ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك
الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الروية
وذلك لما خرج الى طور سيناء اخذ معه هؤلاء السبعين فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل
ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام
ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه
افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
وهو المراد من الرجفة المذكورة في هذه الاية قال السدي
ان الله امر موسى ياتيه في بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة
العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين
رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك
المكان

المكان قالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فانك قد
كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى
يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا
اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل
واياي الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية ذكر الامام الفخر
الرازي في تحقيق هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك
بان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في
التورية اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى
الخلق وفي قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه مكتوبا
في الانجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل
الوجه الثاني ان المراد من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة
الاخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل
ان يبعث لا يمكن فبين في هذه الاية ان كلهم ان هذه الرحمة
لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكاة وامن بالايات
في زمن موسى عليه السلام ومن هذين الوجهين يكون المراد بقوله
الذين يتبعون الرسول من بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين
على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد به جميع امته الذين امنوا
به واتبعوه سواء كان من بني اسرائيل او غيرهم واجمع المفسرون

Copyright © King Saud University

على ان المراد بقوله الذين يتبعونه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه
المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ثم وصفه
بكونه نبيا وهذا ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل
على انه رفيع الدرجة عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامي كما ذكر
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون
بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق
لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم
امرهم الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا
يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس ق عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي
كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واحلت
الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهور
ومسجد فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت
بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة
الذي له ملك السموات والارض لما امر الله عز وجل رسوله
صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني الذي له ملك السموات
والارض

٢٤٠٦

والارض وهو مدبرها ومالك امرها الذي ارسلني اليكم وامرني
بان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا لا اله الا هو يحيي ويميت
وصفه الله نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيهما وانه
القادر على احيا خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر
على ارسال الرسل الى خلقه فامنوا بالله ورسوله لما امر الله
رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فان يقول للناس اني رسول الله
اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله صلى الله
وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله صلى الله عليه وسلم
فرع عليه فلهذا ابدا بالايمان بالله ثم ابدا بالايمان برسوله عليه وسلم
ثم وصفه فقال تعالى النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته قال
قتادة يعني اياته وهي القران وقال مجاهد والسدي اراد بكلمته
عيسى ابن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هي على العموم يعني
يؤمن بجميع كلمات الله تعالى واتبعوه يعني واقتدوا به ايها
الناس فيما يامركم به او ينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة
في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال فبان
يمتثل التابع جميع ما امره به المتبوع على طريقة الامر والنهي
والترغيب واما المتابعة في الافعال فبان يقتدي به في جميع
واداب الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل
انه من خصايصه فلا متابعة به لعلكم تهتدون ترشدوا

Copyright © King Saud University

وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكما اياه ومن قوم موسى
يعني اسرائيل امة اي جماعة يهدون بالحق يعني يهتدون
بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه
يعدلون يعني بالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون
وينصفون واختلفوا في هؤلاء منهم فقيل هم الذين اسلموا
من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم امنوا
بموسى والتورية وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واعترض
على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الاية يقتضي الكثيرة واجيب
عنه بانهم كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة
عليهم كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا
على الدين الذي جاء به موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل
ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جريج وجماعة من المفسرين
ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا
تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسئلوا الله ان يفرق
بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض
فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء
مسلمين مستقبلون قبلتنا قال ابن عباس ساروا في السرب
سنة ونصف قوله تعالى واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم

جيرانك

جيرانك اهل القرية وهذا السوال سوال توبيخ وتقريع
لا سوال استعلام لانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال
هذه القرية بوحي الله عز وجل واخباره باصلهم وانما المقصود
من هذا السوال تقرير عند اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي
واصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته
ليس شيء قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر حاصلا
لاسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار بهذه القصة معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرا الكتب القديمة ولم يعرف
اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان
وانه بسبب مخالفتهم امر الله عز وجل مسخوا قردة واختلفوا في هذه
القرية قال ابن عباس هي بين مصر والمدينة وقيل بين مدين والطور
على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن
ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي مقنا بين مدين وعينون
يعني عن القرية التي كانت على شاطئ البحر وقريبة منه اذ يعدون في
السبت يعني يتجاوزون حدود الله فيه وما امرهم به من
تعظيمه فخالفوا امر الله واصطادوا فيه السمك بما كانوا يفسقون
يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة
الله وما امروا به قال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوا
واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله امرهم بتعظيمه ونهاهم

عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم
كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر
فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تظهر لهم الى السبت المقبل بلا
ابتلوا به فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله نهاكم عن
الاصطياد وانما نهيكم عن الاكل وقيل انه وسوس
اليهم انكم انما نهيتم من الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل
البحر فتاتي اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد اخذوها
ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤوا على السبت وقالوا ما نرى
السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا وصار اهل
القرية اجزاء ثلاثة وكانوا نحو من سبعين الفا فثلث نهوا عن
الصيد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون
قوما الله مهلكهم او معذبهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين
خالفوا امر الله واصطادوا واكلوا وباعوا فلما لم ينتهوا عما هم
فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا
القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين
باب ولعنهم داود عليه السلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون
ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر
قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قد مسخوا
قردة ففتحوا عليهم ودخلوا فصار القردة يعرفون انسابهم

من الناس

من الناس ولم تعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت
القردة تاتي انسابهم من الناس فتشم ثيابهم فيقول لهم اهلوهم
الم ننهكم فتقول القردة براسها نعم فنجا الناهون وهلك سايرهم
فخلف من بعدهم يعني من بعد هولاء الذين وصفناهم
خلف يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل من بعدهم
بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء
بسكونها فاكثر ما يقال بالمدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها
وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان في المدح
لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع
فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم
ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
فسكن اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال اللبن
اذا فسد وتغير السقا ويقال للردي من القول خلف وخلف
الشي تغير ومنه خلوف فم الصايم والمعنى جاء من بعد هولاء
خلف الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجي بعد
قرن كان قبلها ورثوا الكتاب يعني انتقل اليهم الكتاب عن
ابايهم والمراد بالكتاب التورية ياخذون عرض هذا الادنى
العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر
ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوا

Copyright © King Saud University

الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام
وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي ياخذونه من حكام الدنيا
هو الشيء التافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة
والراغب فيها احقر منها فاليهود ورثوا التورية وعلموا ما فيها
وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشا في الاحكام ويعلمون
انه حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم واصرارهم
عليه يقولون سيغفر لنا يعني ذنوبنا فيتمنون على الله
الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني
اخرجه الترمذي قال قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه
يعني حاسبها في الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيمة وموضع
الحديث على الاية قوله وتمنى على الله لان اليهود كانوا
يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني
بعينه وان ياتهم عرض مثله ياخذوه وهذا اخبار عن
حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم
اذا اتاهم شيء من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون
على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه قال
السدي كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى
في الحكم

في الحكم فيقال له ما لك ترتشي فيقول سيغفر لي فيطعن عليه
الاخرون فان مات او نزع من الحكم وجعل مكانه اخر ممن كان
يطعن عليه ارتشى ايضا يقول الله عز وجل وان ياتهم عرض
مثله ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني الم
ياخذ على هولاء المرتشين في احكامهم العهود والمواثيق
في الكتاب وهو التورية الا يقولوا على الله الا الحق يعني انا
اخذنا عليهم الميثاق على ان لا يقولوا الا الحق فقالوا الباطل وخالفوا
امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع
لليهود في ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس ما يوجبون
على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا
يتوبون منها ودرسوا ما فيه يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون
لما اخذ عليهم من العهود ... واذ اخذ ربك من بني ادم
الاية عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق
الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها
من ذريته الى يوم القيمة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا
من نور ثم عرضهم على ادم فقال اي رب من هولاء قال هو
ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال
يا رب من هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين
سنة قال يا رب زده من عمري اربعين قال رسول الله

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم الا اربعين جاءه ملك
الموت فقال ادم اولم يبق من عمري اربعون سنة قال اولم تعطها
ابنك داود فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فاكل من الشجرة
فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح فاما تفسير الاية فقوله تعالى واذ
اخذ ربك يعني واذكر يا محمد اذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
يعني من ظهور بني ادم وانما لم يذكر ادم وان كان قد اخرج
ذرية ادم بعضهم من ظهر جميع الذرية منه لان الله تعالى
اخرج ذرية ادم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابنا
من الابا فلذلك قال تعالى من بني ادم من ظهورهم فاستغنى
عن ذكر ظهر ادم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو ادم استغنا
ثم للعلما في تفسير هذه الاية مذهبان احدهما وهو مذهب
اهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت فيه الروايات عن السلف
فيما روي عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة
رواها عنه الطبري باسانيد فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق من
ظهر ادم بنعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها
فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم
قالوا بلى شهدنا ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين وعن

ابن عباس

ابن عباس في هذه قال مسح ربك ظهر ادم فخرجت كل نسمة
هو خالقها الى يوم القيمة بنعمان هذا الذي وراء عرفة واخذ
عليهم ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس
ايضا قال ان اول ما اهبط الله ادم الى الارض اهبطه بدهنا
ارض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى
يوم القيمة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين زاد
في رواية عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وفي رواية
عنه لما خلق الله ادم اخذ ميثاقه انه ربه وكتب رزقه واجله
ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب ارزاقهم واجالهم ومصائبهم
وفي رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب ادم فاستخرج كل
نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادهم في صلبه
فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فمن
ادرك منهم الميثاق الاخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن ادرك
الميثاق ولم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا ولم يدرك
الميثاق فالاخر سات على الميثاق والاول على الفطرة [illegible] مخلط
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اخبر انه خلق كثيرا من الجن
والانس الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلق للنار

Copyright © King Saud University

فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل البغوي على صحة هذا التاويل
بما رواه عن عايشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور
من عصافير الجنة لم يعمل سوء ولم يدركه فقال او غير ذلك
يا عايشة ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب
ابايهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم اخرجه
مسلم قال الشيخ محي الدين النواوي في شرح مسلم اجمع من يعتد به
من علماء المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل
الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث
عايشة هذا واجاب العلماء عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم
نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل
قاطع كما انكر على سعيد بن ابي وقاص في قوله اني لاراه مومنا
فقال او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان
يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال
المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا
لابايهم وتوقف طايفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب
اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل باشيا منها حديث
ابراهيم الخليل عليه السلام حين راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة
وحوله اولاد الناس فقالوا يا رسول الله واولاد المشركين فقال

واولاد

واولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف
ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه وفي الاية
دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة في ان الله خلق اعمال العباد
جميعا خيرها وشرها لان الله تعالى بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا
من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل
لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علمنا ان الله من خلقهم
الى ذلك العمل هو الموجب لدخول النار وهو الله عز وجل وقيل
اللام في جهنم للعاقبة اي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى
لهم قلوب لا يفقهون بها يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها
واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشي ثم صار علما على اسم العلم في
الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال للرجل فهو فقيه اذا فهم
ومعنى الاية لهم قلوب لا يتفكرون بها في ايات الله ولا يتدبرونها
ولا يعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله ولهم
اعين لا يبصرون بها اي طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها الى ايات الله
وادلة التوحيد ولهم اذان لا يسمعون بها اي لا يسمعون ايات القران
ومواعظه فيعتبرون بها قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون
بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم اعين يبصرون بها المرئيات
واذان يسمعون بها الكلمات وهذا يشكله فيه ولما وصفهم الله عز وجل

بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه
الحواس الدراكة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين ٥
وما فيه نفعهم في الاخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه
الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم من امور الدين > خازن مختصر
يسالونك عن الساعة ايان مرسيها قال قتادة قالت قريش لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل
الله هذه الاية وقال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وشمول بن زيد
وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة
ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل يسئلونك
يا محمد عن الساعة يعني القيامة سميت ساعة لانها تقوم في
ساعة غفلة وبغتة ولان حساب الخلائق ينقضي فيها في ساعة
واحدة ايان سؤال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة
ومعناه متى مرسيها قال ابن عباس يعني منتهاها ووقوعها قال
والساعة الوقت الذي يموت فيه الخلائق واصل الارساء الاثبات
يقال رسا يرسو اذا ثبت قل انما علمها عند ربي اي ٥
لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله استاثر الله بعلمها فلم يطلع
عليه احد ومنه حديث الايمان وسؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل قال
المحققون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ٥

ليكونوا

ليكونوا على خوف وحذر منها اذ لم يعلموا متى يكون ذلك
الوقت على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك
ادعى لهم الى الطاعة والتوبة والزجر لهم عن المعصية لا يجليها
لوقتها الا هو قال مجاهد لا ياتي بها الا هو وقال السدي ولا يرسلها
لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشيء بعد خفائه والمعنى لا يظهرها
لوقتها المعين الا هو ولا يقدر على ذلك غيره ثقلت في السموات
والارض يعني ثقل امرها وخفي علمها على اهل السموات والارض
وكل شيء خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت
وعظمت على اهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها
فناؤهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب لا تاتيكم الا بغتة
يعني فجأة على حين غفلة من الخلق ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقومن الساعة الا وقد نشر الرجلان
ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة
وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة
وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته
الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد
بالنتاج قوله يليط حوضه وروي يلوط حوضه يعني يطينه
ويصلحه يقال لاط حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه واصله
من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة يسئلونك كانك حفي عنها

Copyright © King Saud University

يعني يسألونك عن الساعة كأنك حفي بهم يعني بار بهم
شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره
يسألونك عنها كأنك حفي بهم قال ابن عباس يقول كأنك بينك
وبينهم مودة وكأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمدا
صلى الله عليه وسلم حفي بهم فأوحى الله إليه إنما علمها عند الله استأثره
بعلمها فلا يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه كأنك حفي
بها أي عالم بها من قولهم أحفيت في المسئلة إذا بالغت في السؤال
حتى علمتها [illegible] ما لا يخلق شيئا يعني ابليس والأصنام وهم
يخلقون أي وهم مخلوقون فإن قلت كيف وحد يخلق ثم جمع وهم
يخلقون قلت إن لفظ ما تقع على الواحد والجمع من صيغ الوحدان و
بحسب ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فإن
قلت كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل
من الناس قلت لما اعتقدوا عابدوا الأصنام أنها تعقل وتميز
هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه ولا يستطيعون لهم نصرا
يعني أن الأصنام لا تقدر على نصر من أطاعها وعبدها ولا نصر من
عصاها والنصر المعونة على الأعداء والمعنى أن المعبود التي يجب
عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الأصنام
ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل أن يعبد ولا أنفسهم ينصرون يعني
لا يقدرون على أن يدفعوا عن أنفسهم مكروها فإن من أراد كسرها
قدر

٢٥٧

قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين وان
تدعوهم إلى الهدى يعني وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الهدى
لا يتبعوكم لأن الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية
سواء عليكم أدعوتموهم يعني إلى الدين والهدى يعني الهداية أم أنتم
صامتون أي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالين لا يؤمنون
وقيل ان الله تعالى لما بين في الآية المتقدمة عجز الأصنام التي يعبدها المشركون
معلوم من حالها أنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها إلى
الخير والهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سواء عليكم أدعوتموهم أم
أنتم صامتون وذلك أن المشركين كانوا إذا وقعوا في شدة وبلاء تضرعوا
إلى أصنامهم فإن لم يكن لهم إلى الأصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم
لا فرق بين دعائكم الأصنام أو سكوتكم عنها فإنها عاجزة في كل حال
ان الذين تدعون من دون الله الآية يعني الأصنام يعبدها هؤلاء
المشركون إنما هي مملوكة لله أمثالكم وقيل إنها مسخرة من الله مثل ما أنتم
مسخرون مذللون وقال مقاتل في قوله عباد أمثالكم أنها الملائكة والخطاب
مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الصحيح وفيه سؤال وهو أنه وصفها
بأنها عباد مع أنها جماد والجواب أن المشركين لما ادعوا أن الأصنام تضر
وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الألفاظ
على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا لذلك قال فادعوهم فليستجيبوا
لكم إن كنتم صادقين في كونها آلهة وجواب آخر وهو أن اللفظ إنما ورد

Copyright King Saud University

في الاستهزا بالمشركين والمعنى ان نصارى هذه الاصنام التي يعبدونها
احيا عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم
فلم عبدتموهم وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم
وصفهم بالعجز فقال تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم الاية يعني ان
قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها الالات
يستعين في جميع اموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح
شي فهم مفضلون عليهم بهذه الاعضا لان الرجل الماشية
افضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة افضل من
اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل من العين العاجزة
عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن
السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام
بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع
خازن مختصر ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف الاية ومعنى
الشي يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان
والطيف الوسوسة وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة
الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الازهري الطيف في كلام
العرب الجنون وقيل الغضب طيف لان الغضبان يشبه
المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة
من الشيطان تشبه لمة الجنان فذكر في الاية الاولى النزغ وهو
اخف

اخف من الطيف المذكور في هذه الاية لان حالة الشيطان
مع الانبيا اضعف من حاله مع غيرهم تذكروا يعني عرفوا
ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير
هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد
الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه فاذا هم مبصرون
يعني انهم يبصرون مواقع الخطايا بالتذكر والتفكر وقال
السدي اذا زلوا تابوا وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان
تذكر وعرف انه معصية ابصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل
واخوانهم يعني واخوان الشياطين من المشركين يمدونهم في الغي
اي يمدهم الشياطين قال الكلبي لكل كافر اخ من الشياطين يمدونهم
اي يطيلون لهم في الاغوا حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم من
الضلالة ثم لا يقصرون يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها
وهذا بخلاف حال المؤمنين لان المؤمن ان اصابه طيف من الشيطان
تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر يستمر في ضلالته
لا يتذكر ولا يرعوي وقال ابن عباس لا يقصرون عما يعملون
من السيات والا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا القول
يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين واذكر ربك
في نفسك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته
لانه عليه السلام سيد المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القراءة

Copyright © King Saud University

في الصلاة يريد تقول سرًا في نفسك والفائدة فيه انتفاع الانسان
بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى
الاخلاص والبعد عن الريا وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر
في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا
عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان الفائدة الذكر حضور القلب
واستشعاره عظمة المذكور تضرعا يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة
اذا خضع وذل واستكان لغيره وخيفة ودون الجهر يعني خوفا و
والمعنى يتضرع اليه ويخاف من غدو قال مجاهد وابن جريج امروا ان يذكروه
في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعا وههنا
لطيفة وهي ان قوله واذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقوة العبد من
الله عز وجل وهو مقام الرجا لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة و
والفضل والاحسان فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه
فعند ذلك يقوى مقام الرجا ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا
مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجا قوي
ايمانه والمستحب ان يكون الخوف اغلب على العبد في حال الصحة فاذا
قارب الموت العسكر خاني انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
الاية لما امر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في الاية
المتقدمة قال بعد ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة
وبين في هذه الاية صفات المؤمنين واحوالهم فقال تعالى انما
المؤمنون

المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
اي فزعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله
انقادوا خوفا من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف على
قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة
والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل
فيخافونه اشد الخوف واما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن
اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله
عز وجل فان قلت انه تعالى قال في هذه الاية وجلت قلوبهم
بمعنى خافت وفي رواية اخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف
الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو الخوف
العقاب والاطمينان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر
بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجا وقد جمعا في اية
واحدة وهي قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجا ثوابه وهذا
حاصل في قلب المؤمن واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا يعني اذا
قرات عليهم ايات القران زادتهم تصديقا قال ابن عباس والمعنى
انه لما جاءهم شيء من عند الله امنوا به فيزدادون بذلك ايمانا
وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين
الوجه الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي

Copyright © King Saud University

ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لانه
عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين
فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني وهو ان يصدقون
بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا بالله فيزداد
بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في
شيئين كان اكثر ممن صدقه في شيء واحد قوله تعالى واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا اية جديدة اتوا
باقرار جديد وتصديق جديد وكان ذلك زيادة في ايمانهم و اختلف
الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقصام لا فالذين قالوا
ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة
لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب
وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور
ثلاثة وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح
والاركان فقد استدل على ذلك من قال هذه من وجهين احدهما
ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان
عبارة على التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة
فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الاية اوصافا متعددة
من احوال المؤمنين ثم قال تعالى في حقهم اولئك هم المؤمنون حقا
وذلك يدل

وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان خازن
واذ يعدكم الله الاية يعني احدى الفريقين فرقة ابي سفيان
مع العير وفرقة ابي جهل مع النفير انها لكم يعني احدى الفرقتين
لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدي اقبل
ابو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من
كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري و معهم
تجارة كثيرة وهي اللطيمة يريد اللطمة الجمال التي تحمل العطر والبر
غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
خبرهم فندب اصحابه اليهم فاخبرهم بكثرة المال وقلة العدو
وقال هذه قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان
ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك
انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع ابو
سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم استاجر ضمضم بن عمرو
الغفاري فبعثه الى مكة وامره ان ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم
ان محمدا في اصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة
وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رات رؤيا قبل قدوم ضمضم بثلاث
افزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله
لقد رايت الليلة رؤيا افظعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها
شر ومصيبة قال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعير

Copyright © King Saud University

له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل
غدر لمصارعكم في ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل
المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر
الكعبة فصرخ مثلها باعلى صوته الا فانفروا يا آل غدر لمصارعكم
في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ مثلها ثم
اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل
الجبل انفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار منها
الا ودخل منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فاكتميها
ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد ابن عتبة وكان
صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها
الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال
العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل ابن هشام في نفر من
قريش فقال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال
العباس فلما فرغت من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست معهم
فقال لي ابو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم
قلت وما ذاك قال الرؤيا التي راتها عاتكة قلت وما رات
قال يا بني عبد المطلب اما رضيتم ان يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم
لقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص
بكم هذه الثلاث فان كان ما قالت حقا فسيكون وان تمض

الثلاث

الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا انكم اكذب
اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء
الا اني جحدت ذلك وانكرت ان تكون عاتكة رات شيئا ثم تفرقنا
فلما امسيت لم تبق امراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقالت اقررتم
لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وانت تسمع ثم
لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت قال قلت والله قد فعلت
ما كان مني اليه وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينه قال فغدوت
في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب ارى
اني قد فاتني منه امر احب ان ادركه منه قال فدخلت المسجد فرايته فوالله
اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان ابو جهل
رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج
نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت في نفسي ما له لعنه الله اكل هذا فرقا
مني ان اشاتمه واذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو
وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله
وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة هذه اموالكم مع
ابي سفيان وقد عرض لها محمد صلى الله عليه وسلم في اصحابه ولا ارى
ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغله عني وشغلني عنه ما جاء من
الامر فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ابا
لهب قد تخلف وبعث مكانه العاصي ابن هشام بن المغيرة فلما اجتمعوا
للمسير ذكرت الذي بينها وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب

Copyright@King Saud University

فقالوا نخشى ان ياتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدا لهم
ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم وكان من اشراف بني
بكر فقال انا جار لكم من ان تاتيكم كنانة من خلفكم بشي تكرهونه
فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه
لليال مضت من رمضان حتى بلغ واديقال له ذافرد فاتاه الخبر عن
مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا
كان بالروحا اخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عينا لهم من جهينة حليفا للانصار يدعى اريقط فاتاه بخبر
القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل وقال
ان الله وعدكم احدى الطائفتين انها لكم اما العير واما النفير وكانت
العير احب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه في طلب
العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال احسن وقام عمر فقال احسن
ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض حيث امرك الله
فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنى اسرائيل لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكما مقاتلون فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد
يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بالخير وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار وذلك
انهم

انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله
انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في
ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابنائنا ونسائنا فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا
ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو
من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن
معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ما جئت به هو الحق فاعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فو الذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف
منا احد وما نكره ان تلقى بنا عدوك وعدونا انا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقا ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة
الله وابشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله
لكاني اراي الان مصارع القوم من عن انس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه
على اهل بدر وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع
اهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله وهذا مصرع
فلان ان شاء تعالى قال عمر فو الذي بعثه بالحق ما اخطاوا الحدود
التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا في بير بعضهم على بعض

Copyright © King Saud University

استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما بالطاعة والانقياد لامرها
اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير قوله اذا
دعاكم لانه هو المباشر لدعوة الله تعالى للتوكيد واستدل اكثر
الفقها بهذه الاية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل
على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا الله ورسوله اليه عن سعيد بن المعلا
قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك ان تجيبني
اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة قال افلم
تجد فيما اوحى الله الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم
قال بلى ولا اعود ان شاء الله وذكر الحديث اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى
الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد وقيل
لو دعاه احد لامر لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته لما يحييكم

يعني

يعني اذا دعاكم لما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت
فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران لانه حياة القلوب وفيه النجاة
والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد
لان الله تعالى اعزه به بعد الذل واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين
الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد
وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن ويكفر الا باذنه
وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان احوال القلوب اعتقادات
ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد ان يتقدمها الارادة وتلك الارادة
لا بد لها من مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك ان التصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى
م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما يقول اللهم مصرف القلوب ثبت
قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد امنا بك
وما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع
الرحمن يقلبها كيف يشاء اخرجه الترمذي وهذا الحديث من احاديث
الصفات فيجب على المؤمن المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد والجزم
بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم في معنى الاية ان الله عز وجل يحول
بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا حازن

Copyright © King Saud University

لا تخونوا الله والرسول قال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة
هارون بن عبد المنذر الانصاري وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم
الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده
وعياله كان عنده فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا
يا ابا لبابة ما ترى انتنزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة الى
حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت
قدماي عن مكانهما حتى عرفت اني خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه
ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد راسه على سارية من سواري
المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي
فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت
له اما اذ فعل ذلك فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة
ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه
فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال
ابو لبابة ان تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان
انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان
تصدق

تصدق به ونزلت فيه الاية وقال السدي كانوا يسمعون من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت
هذه الاية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا
اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم
فانزل الله هذه الاية واذ يمكر بك الاية قال ابن عباس وغيره من
اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما اسلمت الانصار ان يتفاقم
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع رؤساء قريش فلان وفلان
واعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما راوه قالوا من انت قال شيخ من
نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا
ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال ابو البختري اما انا فاري ان تاخذوا
محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا باب البيت غير كوة تلقون فيها
طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من
قبله من الشعراء فصرخ ابليس وقال بئس الراي رايتم لئن حبستموه ليخرجن
امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فيوشك ان يثبوا
عليكم فيقاتلوكم وياخذوه من بين ايديكم فقالوا صدق الشيخ
فقام هشام بن عمرو فقال اما انا فاري ان تحملوه على بعير وتخرجوه
من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم
منه قال ابليس ما هذا لكم براي تعمدون الى رجل قد افسد سفهاءكم

فتخرجون الى غيركم فيفسد هذا الامر واحلاوة منطقه وطلاقة
لسانه واخذ القلوب بما يسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك
ليذهب ويستميل قلوب قوم اخرين ثم يسير بهم فيخرجكم من بلادكم
فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لا اشير عليكم براي
ما ارى غيره ناخذ ولمن كل بطن من قريش شابا وسطا فينا ثم يعطي
كل فتى سيفا صارما ثم يضربون جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه
تفرق دمه في القبايل كلها ولا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون
على حرب قريش كلها وانهم اذا ارادوا ذلك قالوا العقل فتودي
قريش ديته فقال ابليس صدق هذا الفتى هذا اجودكم رايا والقول
ما قال لا ادري غيره فتفرقوا على راي ابي جهل وهم مجتمعون عليه
فاتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره ان
يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك
بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
انا يبيت في مضجعه وقال تسبح ببردتي فانه لن يخلص اليك منهم
امر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من
تراب فاخفى الله عز وجل ابصارهم عنه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم
وهو يقرا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى
الى الغار ثور هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودايع
التي قبلها وكانت الودايع توضع عنده لصدقه وامانته قالوا وبات
المشركون

المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا عليه ليقتلوه فراوا عليا فقالوا
اين صاحبك قال لا ادري فاقتفوا اثره وارسلوا الى طلبه فلما بلغوا
الغار فراوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج
عنكبوت اثره فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله
تعالى ليثبتوك او يحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيئا او اوثقه فقد
اثبته كذا ولذي القربى واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم
لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به
عليه الصلاة والسلام وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب دون بني عبد شمس
وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم قالا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك
الله منهم ارايت اخواننا بني عبد المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن
وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا في
جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين
اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه الصلاة والسلام
وسهم للمذكورين من ذوي قرباه وثلاثة اسهم للاصناف
الثلاثة الباقية واما بعده عليه الصلاة والسلام فسهمه ساقط
وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرائهم فهم اسوة لسائر

Copyright © King Saud University

الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلاثة اذ انتم
بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط
الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا وهم بالعدوة
القصوى اي البعدى من المدينة وهي تانيث الاقصى وكان القياس
قلب الواو ياء كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو لكنها جاءت
على الاصل كالعود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب
واقوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو
نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها
وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم
على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم
واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة
الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا تمشي فيها الا بتعب
ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم
حالهم وحالكم لاختلفتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من
الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا
من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا
وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذا الحال

من غير ميعاد

من غير ميعاد ليقضي امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل
من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل ليهلك من
هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا
اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش شاهدها
لا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة
او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة
الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك او الحيوة او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك
بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل ابو السعود اذا لقيتم
فئة يعني جماعة كافرة فاثبتوا يعني لقتالهم وهو ان يوطنوا انفسهم
في لقاء العدو وقتاله ولا تجنبوا عنها بالتولي واذكروا الله كثيرا يعني
كونوا ذاكرين الله عند لقاء العدو كما ذكروا كثيرا بقلوبكم والسنتكم
امر الله عباده المؤمنين واوليائه الصالحين بان يذكروه في اشد
الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على الانسان
لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر
هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونته تعالى فامر
الله عباده ان يسئلوه النصر على العدو وعند اللقاء قلت ظاهر
الاية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لاية التحرف
والتحيز قلت المراد من الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة

واية التحرف والتحيز لا يقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة
بل كان الثبات في المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز
ويصدون عن سبيل الله ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله
نزلت هذه في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبغي وبطر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها
تحاد وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال
ابن عباس ان ابا سفيان لما راى قد احرز عيره ارسل الى قريش انكم انما
خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا
فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم
العرب يجتمع بها سوق في كل عام قال فنقيم عليه ثلاثا وننحر
الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القينات
وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا فزاد
غيره فقال فلما وافوا بدر وسقوا كووس الحمام عوضا عن الخمر
وناحت عليهم النواح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين ان
يكونوا مثلهم والمعنى لا يكن امركم ايها المؤمنون رياء وسمعة
ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله تعالى النية و[illegible]
حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا
الا لذلك ولا تطلبوا غيره وقال لا غالب لكم الاية قال بعضهم
كان تزيينه بوسوسة القاها في قلوبهم من غير ان يتحول في صورة
غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة

وكان تزيينه

وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على السير الى بدر ذكرت الذي
الذي بينها وبين بني بكر من الحروب فكاد ذلك ان يثبطهم فتبدى
ابليس في صورة سراقة وكان من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم
من ان ياتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس
جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة
رجل من رجال بني مدلج فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم
من الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها
وجه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل الى ابليس فلما راه وكانت
يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته
فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون
الاية وذلك حين راى الملائكة وقوله جار لكم يعني مجير لكم من كنانة
[illegible] كداب ال فرعون يعني ان عادة هؤلاء الكفار في كفرهم
كعادة ال فرعون فجوزي هؤلاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزي
ال فرعون بالاغراق واصل الداب في اللغة ادامة العمل يقال فلان
يداب في كذا اذا داوم عليه واتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دابا
لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس ان ال
فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبي من الله تعالى وكذبوه
فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله
بهم عقوبته كما انزل بال فرعون والذين من قبلهم يعني من قبل ال فرعون

Copyright © King Saud University

كفروا بآيات الله يعني ان عادة الامم السالفة هو كفرهم بآيات الله
فاخذهم الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم قوله تعالى وكل كانوا
ظالمين يعني الاولين والاخرين فان قلت ما الفائدة في تكرير هذه الاية
مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل
للكلام الاول لان الاية الاولى فيها ذكر اخذهم وفي الاية الثانية ذكر
اغراقهم فذلك تفسير للاول الفائدة الثانية انه ذكر في الاية الاولى انهم
كفروا بآيات الله وفي الاية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الاية
اشارة انهم كفروا بآيات الله وجحدوها وفي الاية الثانية اشارة
الى انهم كذبوها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير
هذه القصة للتاكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة
على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ
بالذنوب ان شر الدواب عند الله يعني في علمه وحكمه الذين كفروا
انهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرين
على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف ثم نقضوا
عهدهم في كل مرة قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا
العهد واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ثم قالوا نسينا واخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد
ايضا ومالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
وركب كعب

وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم لا يتقون يعني انهم لا يخافون في نقض
العهد لان العادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض
العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه
فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد انه شر الدواب
خازن فاما تثقفنهم اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما
تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد
بهم من خلفهم اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا
للاضطراب والاضطراب وتنكيل عنها بان تفعل بهم من النكاية
والتعذيب ما يوجب ان ينكل من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة
وفيه ايماء الى انهم بصدد الحرب ابو السعود يعني في نقض العهد
عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين
الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد
غزاهم فجاء رجل على فرس او برذون وهو يقول الله اكبر وفاء لا غدر
فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فساله فقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة
ولا يحلها حتى ينقضي امدها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية
اخرجه ابو داود واخرج الترمذي عن سليم ابن عامر نفسه بلا
زيادة رجل من حمير وعبد الله البريرة واصله وفيه جاء على دابة
او فرس واما حكم الاية فقال اهل العلم اذا ظهرت اثار نقض العهد

من عاهدتهم من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن
نبذ العهد واعلام الحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح
له من غير امر مستفيض فيجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم
بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه
فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا
ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام ان ينبذ
العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا
العهد بقتل خزاعة وهي في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم
الا وجيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ
من مكة قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ
الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال احدها انه جميع
الاسلحة والالات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم
الثاني الحصون والمعاقل الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرج عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم
على نفر ينتضلون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل
فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بني فلان فامسك احد الفريقين بايديهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم

النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد
بالفعل جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو وكل ما هو آلة
يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المامور باستعدادها
وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لا ينفي كون غير الرمي
ليس بقوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم
توبة فهذا لا ينفي اعتبار غيره بل يدل على ان المذكور من افضل المقصود
واجله فكذا ههنا يحمل معنى الاية على الاستعداد للقتال في الحرب
وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الالات كالرمي بالنبل والنشاب
والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به الا انه من فروض
الكفايات ومن رباط الخيل يعني اقتناؤها وربطها للغزو في سبيل الله
والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمي المكان التي يخص باقامة
حفظه فيه رباط والرابطة اقامة المسلمين بالثغور الحراسة
فيها وربط الخيل للجهاد من اعظم ما يستعان به روي ان رجلا قال لابن
سيرين ان فلانا اوصى بثلث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل
ويربطها في سبيل الله غازيا مختصرا ما كان لنبي ان يكون له اسرى
روي عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسارى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله
قومك واهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فقال عمر يا رسول الله كذبوك

Copyright © King Saud University

والهولاء قادتهم تضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه
ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هولاء ايمة الكفر وقال
عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم
اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر
وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللين وان الله ليشدد
قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى
قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ومثلك يا ابن رواحة مثل موسى قال رب اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا يفلتن احدا
منكم احد منهم الا بفداء او بضرب عنقه قال عبد الله بن مسعود
الا اسماعيل بن بيضا فانه سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فما رايتني في يوم اخوف ان تقع علي الحجارة من
ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اسمعيل ابن بيضا قال ابن
عباس قال عمر بن الخطاب فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر
ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفدا فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدان يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني
من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد
بكاء تباكيت لبكائكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض
على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه
الشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان
لنبي الاية الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الغنيمة لهم ذكره
الحميدي في مسند عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه اما تفسير
الاية فقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي
وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان
لنبي ان يحبس كافرا قادرا عليه وصار في يده اسيرا للفدا والمن والاسرى جمع
اسير والاسارى جمع الجمع حتى يثخن في الارض الاثخان في كل شيء عبارة
عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتد قوته عليه والمعنى حتى
يبالغ في قتل المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله ان
يقدم على الاسر فياسر الاسارى تريدون عرض الدنيا الخطاب لاصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يعني تريدون ايها المومنون عرض الدنيا باخذكم
الفدا من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام
وكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة فانها دايمة بلا زوال
ولا انقطاع والله يريد الاخرة يعني انه تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم
المشركين ونصركم الدين لانها دايمة بلا زوال ولا انقطاع خازن مختصرا

Copyright © King Saud University

لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار
قلت ليس فيه تكرار لانه تعالى ذكر في الاية الاولى حكم ولاية اي
لتوبيخهم المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه
الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشي
مرة اخرى يدل على اخرى يدل لمزيد الاهتمام فلما ذكرهم ثانيا دل
على تعظيم شانهم وعلو مرتبتهم ودرجاتهم وهذا هو الشرف العظيم
لانه تعالى ذكر في هذه الاية من وجوه المدح ثلاثة انواع احدها قوله
اولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله حقا يفيد المبالغة
في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول
ان من فارق اهله وداره التي نشا فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنا
حقا النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ اي مغفرة
لا يبلغها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم
النوع الثالث قوله تعالى ورزق كريم وكل شي شرف وعظم في بابه
قيل له كريم والمعنى لهم مغفرة في الجنة رزق لا يلحقهم فيه غضاضة
ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر بعد
صلح الحديبية وقيل فتح مكة فذكر الله في الاولى اصحاب الهجرة الثانية
والله اعلم والذين امنوا من بعد الاية اختلفوا في بعد فقيل من
صلح الحديبية وهي الهجرة وقيل من بعد نزول هذه الاية وقيل
من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها

بعد الهجرة

٢٦٧

بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت
دار الاسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة
بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقال الحسن
الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد من الهجرة المخصوصة
من مكة الى المدينة فاما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على اظهار
دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على
اظهار دينه فاولئك منكم يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل
على مرتبة المهاجرين المتاخرين بالهجرة لان الله الحق المهاجرين المتاخرين
بالسابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا
ان المهاجرين الاولين افضل لما صح هذا الالحاق براءة من الله
ورسوله الاية تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ففتحها سنة
ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث
ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه
اربعين اية من صدر براءة ليقراها على الموسم ثم بعث عليا على ناقته
العضباء ليقرا على الناس صدر براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة
ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت
وامي انزل في شاني شي فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا
الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي

Copyright © King Saud University

وانت معي في الحوض قال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر اميرا على الحاج
وعلي بن ابي طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم
قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام الناس الحج
والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من
امر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي
امره به وقرا عليهم سورة براءة قال زيد بن تبيع سالنا عليا باي
شيء بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان
ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن
لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس
مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج ثم
حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع خ وعن
ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رهط يؤذن في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد اليوم مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان وفي رواية ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي
طالب فامره ان يؤذن ببراءة ان لا يحج قال ابو هريرة فاذن معنا في
اهل منى ببراءة ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
وفي رواية ويوم الحج الاكبر من اجل قول الناس من العمرة الحج الاصغر
قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك العام فلم يحج العام القابل الذي حج فيه النبي صلى
الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله في العام الذي نبذ
فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا

يقربوا

يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله الاية كيف يكون للمشركين الاية هذا على وجه التعجب ومعناه
الجحد اي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون
وينقضون العهد ثم استثنى فقال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن
عباد ومحمد بن اسحاق هم بنو خزيمة وبنو الديل قبائل من بني بكر
الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال
مجاهد هم اهل العهد من خزاعة فما استقاموا لكم يعني على العهد فاستقيموا
لهم يعني على ما قاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وما
ان يلحقوا باي بلاد شاؤوا فاسلموا بعد الاربعة واعانوا بني بكر على
خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة
اشهر يختارون امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا باي بلاد
شاؤوا فاسلموا بعد الاربعة اشهر والصواب من ذلك قول من قال
انهم من قبائل بني بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو
الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا على عهد قريش يوم الحديبية ولم
يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر باتمام العهد
لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة كيف وان يظهروا عليكم قيل هذا مردود
على الاية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا
فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا

Copyright © King Saud University

عليكم اي يظفروا بكم ويغلبوكم لا يرقبوا اي يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا
وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا ولا ذمة قال ابن عباس يعني قرابة
وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الال الحلف
وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتاكيد والاختلاف اللفظي
وقال ابو مجلد الال هو الله عز وجل ومنه قول ابي بكر الصديق لما سمع كلام
مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول
يكون معنى الاية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا
ذمة اي ولا يحفظون عهدا واكثرهم فاسقون فان قلت ان
الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق فما
الذم فما الفائدة في قوله واكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون
مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون فاسقا اخبث الفسق
في دينه والمراد بوصفهم بكونهم فاسقين لانهم نقضوا العهد وبالغوا
في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ في الذم
وانما قال اكثرهم فاسقون ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى
بالعهد ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم
فاسقون قوله تعالى فقاتلوا ايمة الكفر يعني رؤس المشركين وقادتهم
قال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل
بن عمرو وابي جهل وابنه عكرمة وسائر قريش وهم الذين نقضوا عهودهم
وهموا باخراج الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل اراد جميع الكفار وانما
ذكر الايمة لانهم الرؤسا والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال
مجاهد

٢٦٩

مجاهد هم فارس والروم انهم لا ايمان لهم يعني جمع يمين اي لا عهود لهم
وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهد وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة
ومعناه لا دين لهم ولا تصديق خلزنه مختصرا ما كان للمشركين
ان يعمروا مساجد الله يعني به مسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع
والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد
كلها وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من رؤسا قريش اسروا يوم بدر
منهم العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرهم بالشرك
وجعل علي بن ابي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا
فقيل له وهل لكم محاسن قال نعم نحن افضل منكم نعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت
هذه الاية ما كان للمشركين اي ما ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله اوجب
الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد الله اوجب على المسلمين
انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا به فليس له ان يعمر
مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة فقيل العمارة المعروفة
من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر
حتى لو اوصى ببناء المسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة
دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخوله بغير اذن مسلم
حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز
دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى

Copyright © King Saud University

سارية من سواري المسجد وهو كافروا الاولى تعظيم المساجد ومنعهم
من دخولها شاهدين على انفسهم بالكفر يعني لا يدخلون المساجد في
حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفوهم
نصب قال ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر وسجودهم للاصنام
وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام
عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة
سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك الا بعدا وقال الحسن انهم
لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم وقال السدي
شهادتهم على انفسهم بالكفر هو النصراني يسئل من انت فيقول نصراني
واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية
عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم اولئك حبطت اعمالهم
يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من اعمال البر مثل قرى الضيف وسقي
الحجيج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها تاثير مع الكفر انما يعمر
مساجد الله من امن الاية لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر
مساجد الله بين في هذه الاية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من
امن بالله فان الايمان شرط في من يعمر المسجد لان المسجد عبارة
عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يعمر
موضعا يعبد الله فيه واليوم الاخر يعني وامن بالله وباليوم الاخر لانه
كانت حق لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزا الجزا انما يكون في
الاخرة فمن انكر الاخرة لم يعبد الله خازن لا تتخذوا اباكم واخوانكم
اوليا

اوليا قال مجاهد هذه الاية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس
وطلحة وامتناعهما عن الهجرة وقال لما امر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة
الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك ان
تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الاية
وقال مقاتل نزلت في تسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا فنهى
المؤمنون عن موالاتهم وانزل الله هذه الاية يعني بطانة واصدقا
تفشون اليهم اسراركم وتريدون المقام معهم على الهجرة قال
بعضهم حمل هذه الاية على ترك الهجرة مشكل لان السورة نزلت
بعد الفتح وهي من اخر القران نزولا والاقرب ان يقال ان الله تعالى
لما امر المؤمنين بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن ان تقاطع الرجل
اباه واخاه وابنه فذكر الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه في الدين
واجبة ان استحبوا الكفر على الايمان خازن لقد نصركم الله النصر
المعونة على الاعدا باظهار المسلمين عليهم في مواطن كثيرة يعني
اماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه
وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين
من حديث زيد بن ارقم تسع وعشرون غزوة زاد بريدة في حديثه
قاتل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون
وقيل ثمانون وهو قوله لقد نصركم في مواطن كثيرة ويوم حنين
ونصركم الله يوم حنين ايضا فاعلموا ان الله هو الذي يتولى نصر المؤمنين
في كل موقف وموطن ومن يتولى نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب
من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة وهي

Copyright © King Saud University

الى جنب ذي المكان انما المشركون نجس قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام
وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس
وغيرهم وقيل النجس الشيء الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم
لا نجاسة العين سموا انجاسا من الذم لان الفقها اتفقوا على طهارة
ابدانهم بالتوضا ويروى عن الزيدية من الشيعة والقول الاول
اصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون
ويحدثون فلا يتوضون فلا يقربوا المسجد الحرام والمراد منعهم
من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام
ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده من المسجد الحرام
اراد به الحرم لانه اسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت ام هاني قال العلما
وجملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز
للكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر هذه الاية وبه
قال الشافعي واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم
فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع
رسالته خارج الحرم وجوز ابو حنيفة واهل الكوفة للمعاهد دخول
الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة وبين
اليمن وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها
حجازي وقال الكلبي حد الحجاز ما بين جبل طي وطريق العراق سمي حجازا
لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز
للكفار دخول ارض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام
المسافر وهو ثلاثة ايام فروى عن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول

يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا انزل
فيها الا مسلما زاد في رواية لغير مسلم واوصى فقال اخرجوا
المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم
عمر في خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب
اخرجه مالك في الموطا مرسلا عن جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون
في جزيرة ولكن قال سعيد بن عبد العزيز من اقصى ابين
الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى
اطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر
ان يقيم فيها بعهد وامان او ذمة ولكن لا يدخلون المساجد
الا باذن مسلم قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
باليوم الاخر قال مجاهد نزلت هذه الاية حين امر النبي صلى الله عليه وسلم
فغزى بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة
والنضير من اليهود فصالحهم فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام
واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به المسلمين والمعنى قاتلوا ايها
المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر فان
قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يؤمنون بالله واليوم
الاخر فكيف اخبر عنهم انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر قلت

Copyright © King Saud University

ان ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون
التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد
ذلك ليس بمؤمن واما ايمانهم باليوم الاخر فليس كايمان المؤمنين
وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون
ان اهل الجنة لا ياكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد
ذلك فليس ايمانه كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن ولا
يحرمون الاية يعني لا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم
لا يحرمون ما حرم الله في القران ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل
معناه لا يعملون بما في التورية والانجيل بل حرفوها واتوا باحكام
من قبل انفسهم خازن والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها
ويحفظونها سواء كان ذلك بالدفن او بوجه اخر والموصول عبارة
اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص
والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل
واما عن المسلمين الكانزين من المنفقين وهو الانسب بقوله تعالى
ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل
الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة
بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكاة لما روي انه لما
نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من
اموالكم ولقوله عليه الصلاة والسلام ما ادى زكاته فليس بكنز

اي بكنز

اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله
بالانفاق فيه واما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء او بيضاء
كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة
صفحت له صفايح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره يوم
منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او
باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي توقد النار ذات حمي شديد عليها
واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند
الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة
قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها ولم يذكر شيئان لان المراد بهما
دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها
نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها
وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصها
لقربها دلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب
الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية
او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم
او لانها اشرف اعضاء الظاهرة فانها مشتملة على الاعضاء

الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات
الاربعة هي مقاديم البدن وما خيره وجناه هذا ما التزمتم اياه على ارادة
القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب معذبيها
فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن
والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب
المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطا انه لا يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول
انه عليه الصلاة والسلام حصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال
وذي القعدة ح ابو السعود مختصرا ما لكم اذا قيل لكم الاية نزلت هذه
الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من
الطائف امر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس
وشدة الحر حين طاب الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة
الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا او مفازا وعددا كثيرا فجلى للمسلمين
امرهم ليتاهبوا فيه عددهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله عز وجل
هذه الاية اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في
سبيل الله اي اخرجوا الى الجهاد يقال اذا استنفر الامام الناس اذا حثهم
على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا
استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطيتم عن
الخروج

الخروج الى الغزو والى الارض يعني ولزمتم ارضكم ومساكنكم وانما استثقل
هذا الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة
والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت
ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا ولذا استثقل
الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله بقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من
الاخرة يعني ارضيتم بحظ العيش وزهرة الدنيا ونعيمها من نعيم الاخرة
قوله تعالى ان الله معنا يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل
اهل الارض جميعا في هذه الاية غير ابي بكر وقال الحسين بن الفضل من قال
ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص
القران وفي ساير الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي
في الغار عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في
الغار وهم على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه
ابصرنا تحت قدميه فقال ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما وفيه بيان
عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر
وهي من اجل مناقبه والفضيلة من وجوه منها اللفظ الدال على ان الله
ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته اهله وماله ورياسته في
طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم
ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية وغير ذلك روي عن عمر بن
الخطاب انه ذكر عنده ابو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا

Copyright © King Saud University

من ايامه وليلة واحدة من لياليه اما الليلة فليلة سار مع النبي صلى الله عليه وسلم
الى الغار فلما انتهى اليه قال والله لا تدخله حتى ادخل قبلك فان كان فيه
شي اصابني دونك فدخله فلمسه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره
وسدها به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه
في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب فقال ما لك يا ابا
بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب
ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته واما يومه فلما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني
عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم
ثم خازن انفروا خفافا وثقالا يعني انفروا التي يخف عليكم الجهاد وعلى
الصفة التي يثقل عليكم وهذان الوصفان يدخل تحتها اقسام كثيرة فلهذا
اختلف عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة
يعني شبابا وشيوخا قال ابن عباس نشاطا و قال عطية العوفي ركبانا ومشاة
وقال ابو صالح خفافا من المال يعني فقرا وثقالا يعني اغنيا وقال ابن زيد الخفيف
الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة يكره ان يدع ضيعته ويروى
عن ابن عباس قال خفافا اهل الميسرة من المال وثقالا يعني مستكثرين منه
وقيل مشاغلين وغير مشاغيل وقيل اصحا وقيل عزابا ومتاهلين وقيل
خفافا

وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل
خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا
يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان
هذه الاقوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا
يعني على اي حال كنتم فيها عفا الله عنك لم اذنت لهم قال الطبري هذا
عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم اي في اذنه لمن
اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو
الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهؤلاء المنافقين
الذين استاذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون
اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشي اذنه
للمنافقين واخذه الفدا من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون
وقال سفيان بن عيينة انظر هذا اللطف بداه بالعفو قبل ان يعيره
بالذنب فهم في ريبهم يترددون يعني ان المنافقين متحيرين لا مع
الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علما الناسخ والمنسوخ في هذه الايات
فقيل انها منسوخة بالاية التي في سورة النور وهو قوله تعالى انما
يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر فاذا استاذنوك
لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمة كلها ووجه الجمع
بين هذه الايات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد
عدوهم من غير استيذان فاذا عرض لاحدهم عذر استاذن في التخلف
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن

Copyright © King Saud University

لمن نشيت منهم واما المنافقون فكانوا يستاذنون من غير عذر
فعيرهم الله تعالى بهذا الاستيذان فثبطهم يعني منعهم
وحبسهم عن الخروج معك والمعنى ان الله تعالى كره خروج المنافقين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سوال
وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان
يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال
ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم
عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا
السوال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة
عظيمة بدليل انه تعالى اخبر عن تلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا بقي فلم عاتب رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله اذنت لهم فنقول
انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التامل والتدبر
في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه
لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه في امرهم بالقعود خازن
وفيكم سماعون لهم قال مجاهد يعني وفيكم عيون يؤدون
اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس قال قتادة
وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك
بانهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب
فيقبلوها منهم فان قلت كيف يجوز ان يكون في المومنين المخلصين من
يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون بعض المومنين لهم
اقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولا ربما

اثر ذلك

اثر ذلك القول في قلوب ضعفة المومنين في بعض الاحوال والله
عليم بالظالمين وهذا اوعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتنة
والشبهات بين المومنين ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في
الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم في
جلاد من الاصفر يعني الروم تتخذ منهم ووصفا فقال يا رسول الله
لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنسا واني اخشى ان رايت بنات بني
الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك
بمالي قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم يكن له علة الا النفاق فاعرض
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني يعني في التخلف والقعود في المدينة
ولا تفتني يعني ببنات الاصفر وهم الروم الا في الفتنة سقطوا يعني
انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة الرسول صلى الله
عليه وسلم والقعود عنه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم
اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز
بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الاخرة واما ان يقتل في سبيل الله
فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية
تضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمانا
بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه

Copyright @ King Saud University

الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة اخرجاه في الصحيحين
قل انفقوا طوعا او كرها نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك انه استاذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال انا اعطيكم مالي فانزل
الله ردا عليه قل لهم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين وامثاله في النفاق
انفقوا طوعا او كرها انفقوا طائعين من قبل انفسكم او مكرهين بالانفاق
بالزام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم لان
هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الاية وان كانت خاصة في نفاق
المنافقين فهي عامة في كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء
وسمعة فانه لا يتقبل منه ثم علل سبب عدم القبول بقوله انكم اي لانكم
كنتم قوما فاسقين والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم كافرين انما يريد الله ليعذبهم بها في
الحيوة الدنيا فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما
اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الاية تقديم وتاخير
تقديرها فلا يعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله
ليعذبهم في الاخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو
ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب
وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة
فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتاخير في نظم الاية واورد
على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل بني ادم مؤمنهم وكافرهم
فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا واجيب عن هذا

الايراد

الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان
المؤمن قد علم انه مخلوق للاخرة وانه يثاب بمصائبه الحاصلة له في الدنيا
على ما يكون المال والولد في حقه عذابا في الدنيا واما المنافق فانه لا يعتقد
كون الاخرة وانه ليس فيها ثواب فيبقى ما يحصل له في الدنيا من
التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت
بهذا الاعتبار ان المال والولد عذابا على المنافق في الدنيا دون
المؤمن وقيل ان تعذيبهم في الدنيا اخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله
فيعسر ذلك عليهم وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد
المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل تعذيبهم بالتعب في
جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده
ثم تقدم في الاخرة على ملك لا يعذره ومنهم من يلمزك في الصدقات
نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل
الخوارج ق عن ابي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة رجل من بني
تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك
من يعدل اذا لم اعدل وفي رواية خبت وخسرت ان لم اعدل فقال
عمر بن الخطاب ائذن لي فيه اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه
مع صيامهم زاد في رواية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون

Copyright © King Saud University

من الاسلام وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي
قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم يقسم بالسوية نزلت هذه
الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية
اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله
لان كان الله امرك ان تعدل فما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما
يعطيها محمد الا من احب وما يؤثر بها الا هواه فانزل الله تعالى ومنهم خازن
ويقولون هو اذن نزلت في جماعة المنافقين كانوا يؤذون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا
فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد
وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف
فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن اي ذو اذن سامعة كلما
يقال له يقبله وقيل معناه هو اذن اي ذو اذن سامعة
وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل
ابن الحرث وكان ارقم ثائر الشعر احمر العينين اسفع الخدين
مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر
الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي
صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال محمد اذن
من حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا
فانزل الله هذه الاية ومقصود المنافقين هو اذن انه ليس بعيد
عوز

٣٧٧

عوز بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله تعالى عنه
بقوله قل اذن خير لكم خازن قل اذن خير لكم يعني هو اذن
لكنه اذن خير لكم كقوله رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه يستمع
خير وصلاح لا يستمع شر وفساد وقرئ اذن خير لكم مرفوعتين
منونتين ومعناه يستمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل
قولكم ثم وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين
وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله
هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال امنت بالله والايمان للمؤمنين
معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله
يؤمن للاخر وقوله امنتم له ورحمة اي هو رحمة للذين امنوا منكم وانما
قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنين فبين الله تعالى
انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله
عليه وسلم رحمة لانه يجري احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن
احوالهم ولا يهتك اسرارهم يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال قتادة
والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة
بن ثابت فوقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كان ما يقول
محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس
فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله انما
يقول محمد حق وانتم اشر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره فدعاهم

Copyright © King Saud University

فسئلهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف انهم كذبة فصدقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعوا ويقول اللهم صدق
الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية قال مقاتل والكلبي
نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الاية
والمعنى يحلفون لكم ايها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم فيما
بلغكم مما اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كنتم مؤمنين
اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير عائد على الله تعالى
لان في رضى الله رضى رسوله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله احق ان يرضوه
بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما
عن الاخر وقيل والمعنى والله احق ان يرضوه وكذلك رسوله ان كانوا مؤمنين
يعني ان كان هؤلاء المنافقين مصدقين بوعد ووعيد في الاخرة الم يعلموا
قال اهل المعاني الم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه وانكره فيقال
الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر
المؤمنين والمنافقين وعلمهم احكام الدين ما يحتاجون تخاطب
المنافقين الم يعلموا من شرائع الدين التي علمهم رسولنا كان
ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ذكر المفسرون
ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب
توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الجمع على الواحد فلهذا
اطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل
واحد

٢٧٨

رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك
ولا يخوض وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه
احق فلما نزلت الاية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني
لا ازال اسمع اية تقرعني بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم
فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم
اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه نسوا الله فنسيهم هذا
الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم
يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وايضا فان
النسيان في حق الله تعالى محال فلا بد من التاويل وقد ذكروا فيه وجهين
الاول معناه انهم تركوا امره حتى صاروا بمنزلة الناسين فجازاهم
بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج من مزاوجة الكلام فهو كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا
ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل
النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة
الله والايمان به تركهم توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى ولهم
عذاب مقيم اي دائم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها يعني ولهم
عذاب مقيم وهذا تكرار لما معناه قلت ليس ذلك بتكرار وبيان الفرق
من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع اخر من العذاب المقيم سوى الصلي
بالنار والقائل ان يقول هذا التاويل مشكل لانه تعالى قال في النار هي
حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء اخر الى عذاب النار واجيب عن هذا

Copyright © King Saud University

الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمنع ان يحصل نوع من
العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة
في عقابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم في
الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من
النفاق وكشف فضايحهم وهذا هو العذاب المقيم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم فان قلت ما الفايدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق
في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق الاولين ثانيا قلت فايدته ان يذم
الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها
وتركوا النظر فيما يصلحهم في الدار الاخرة ثم شبه حال المخاطبين
من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين
ثانيا وهذا كما يريد ان يكتب بعض الظلمة على قبح ظلمه فيقول انت مثل فرعون
كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان فعله
فالتكرير هنا للتاكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم
وخضتم كالذي خاضوا معطوف على ما قبله ومسند اليه يعني وسلكتم
في فعلكم مثل ما فعل سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب
رسله والاستهزاء بالمومنين [illegible] وظنوا ان لا ملجا يعني
لا مفزع ولا مفر من الله الا اليه ولا عاصم من عذابه الا هو ثم تاب عليهم
فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه فرحمهم
ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تاكيدا
لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا
كما تقدم

كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله ليتوبوا
معناه ان الله تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة
في المستقبل ويبدوا ويدوموا عليها وقيل ان اصل التوبة الرجوع ومعناه
ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعني الى عادتهم في الاختلاط
بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك ان الله هو التواب الرحيم
يعني على عباده الرحيم بهم وفيه دليل على قبول التوبة بمحض الرحمة
والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله شيء يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله يعني في مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكونوا مع الصادقين يعني مع من صدقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين المنافقين فقعدوا
البيوت وتركوا الغزو وقال ابو سفيان وسعيد بن جبير مع الصادقين
وهو ابو بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت
نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف
بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الاية تدل
على فضيلة الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث
وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه
شيئا ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروي ان ابا بكر
الصديق احتج بهذه الاية على الانصار في يوم السقيفة وذلك

Copyright © King Saud University

نقعد

وذلك ان الانصار قالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الا[نصار]
ان الله تعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك هم
الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
يقول يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم
ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن الامراء وانتم الوزراء
وقيل مع بمعنى من والمعنى كونوا من الصادقين ما كان لاهل المدينة
يعني لساكن المدينة من المهاجرين والانصار ومن حولهم من الاعراب
يعني سكان البوادي مزينة وجهينة واسلم وغفار وقيل هو
عام في الاعراب يعني سكانهم لان اللفظ عام وحمله على العموم اولى
ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه
النهي اي ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال
الحسن لا يرغبوا بانفسهم لما يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المشقة والسفر ومقاساة التعب ذلك
بانهم لا يصيبهم في سفرهم وغزواتهم ظما اي عطش ولا نصب
اي تعب ولا مخمصة اي جوع شديد في سبيل الله ولا يطئون موطئا
يغيظ الكفار يعني ولا يطئون قدما على الارض يكون ذلك القدم
سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون من عدو نيلا يعني اسرا
او قتلا او هزيمة او غنيمة ونحو ذلك قليلا كان او كثيرا الا كتب لهم به عمل

صالح

صالح يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم
وقبله منهم ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني ان الله لا يدع محسنا
من خلقه قد احسن في عمله واطاعه في امره وفيما نهاه عنه الا يجازيه
على احسانه وعمله الصالح وفي الاية دليل على ان من قصد طاعة الله
كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته فيها كلها حسنات ومن قصد
معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته فيها كلها سيئات
الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء في حكم هذه الاية
فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم
يكن لاحد ان يتخلف عنه من الانصار الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة
فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة
وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز
يقولون في هذه الاية انها لاول هذه الامة ولاخرها فعلى هذا تكون محكمة
لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان الاسلام قليلا فلما كثر نسخها الله تعالى
واباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل
الواحدي عن عطية انه قال ما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وامرهم وقال الواحدي هذا هو الصحيح
لانه لا يتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا
امر وكذا غيره من الائمة والولاة اذا ندبوا وعينوا لانا لو سوغنا للمندوب
ان يتقاعد ولم يختص ذلك ببعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل
الجهاد والله اعلم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة يعني تمرة فما دونها

Copyright © King Saud University

واكثر منها حتى علاقة سوط ولا يقطعون واديا يعني ولا يجاوزون في سيرهم واديا مقبلين او مدبرين الا كتب لهم يعني كتب الله لهم اثارهم وخطاهم ونفقاتهم ليجزيهم الله يعني يجازيهم احسن ما كانوا يعملون قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا يعملون قال الامام فخر الدين الرازي فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة افعالهم وفيها الواجب والمندوب دون المباح الثاني الاحسن صفة للجزاء اي يجزيهم الله جزاء هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب وفي رواية دليل على فضل الجهاد وانه من احسن اعمال العباد ق عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي فهو ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيمة كهيئة يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم والبخاري ق عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل فقال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس

فرسا في سبيل الله

فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة يعني حسنات خ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار ق عن ابن مسعود الانصاري البدري قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيمة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذي والنسائي وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال عكرمة لما نزلت هذه الاية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الاية وما كان المؤمنون لينفروا كافة يعني ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتعطلوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا فهلا نفر من كل فرقة طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قرية عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم خازن وابو السعود يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين يعني بالسيف والمحاربة والمنافقين يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهار الاسلام فقال ابن

Copyright © King Saud University

عباس امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين
باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن مسعود
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقال الحسن وقتادة
باقامة الحد عليهم يعني اذا تعاطوا اسبابها وهذا القول فيه بعد لان
اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا تعلق لاقامة الحدود على
المنافقين وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى اسباب
الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والمنافقين قال الطبري
والاولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت
الاية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الاية ذكر كيفية الجهاد مع الكفار انما
يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم
تارة وهذا قول ابن مسعود يحلفون بالله ما قالوا الاية قال قتادة ذكر لنا
ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والاخر من غفار وكانت جهينة حلفا
الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن ابي بن ابي سلول للاوس
انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك
وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله
هذه الاية هذه رواية الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس
بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر
المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا
لنحن اشر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه
عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي

فامرهما

فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند
المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي
عامر فحلف عامر بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذب عليه ثم رفع
عامر يديه الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون امين فنزل جبريل عليه السلام
قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس
فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس
فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله تعالى يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا
كلمة الكفر بعد الاسلام وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هي
كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقا لنحن اشر من الحمير وقيل كلمة
ابن ابي ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستاتي
القصة ان شاء الله تعالى في سورة المنافقين خازن مختصر الذين يلمزون
الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على
الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله
ثمانية الاف جئتك باربعة الاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت باربعة الاف
لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن

Copyright © King Saud University

ماله لهما ماية الف وستون الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي
العجلاني بماية وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري واسمه الحبحاب
بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر
فامسكت احدهما لعيالي واتيتك بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم
الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه
ليعطى من الصدقة فانزل الله الذين يلمزون المطوعين يعني المتبرعين من
المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والتطوع
التنفل بما ليس بواجب عليه والذين لا يجدون الا جهدهم يعني ابا عقيل
الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة اهل الحجاز وبالفتح لغيرهم
وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل في المال الذي ياتي
به فيتصدق به لان الغني اخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي
اخرج القليل انما اخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج المال اليسير
رجاء ما عند الله تعالى كما قال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
فيسخرون منهم يعني ان المنافقين كانوا يستهزؤن بالمؤمنين في انفاقهم
المال في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان
في صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل
ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وما علموا ان كلا منهما رجا
ما عند الله من الخير والثواب فبذل الموجود لينال بذلك الثواب الموعود به

سخر الله

سخر الله منهم يعني ان الله تعالى جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك
وهو قوله تعالى ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة استغفر لهم الاية
قال المفسرون لما نزلت الايات المتقدمة في المنافقين وبان
نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون
اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم يا محمد
وهذا الكلام مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفر لهم يا محمد
او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وانما خص
السبعين من العدد في الذكر لان العرب كانت تكثر السبعين ولهذا
كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله عنه سبعين تكبيرة
ولان احاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين
سبع والايام سبع والاقاليم والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص
السبعين في الذكر للمبالغة في الياس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت
هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيد على
السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سواء عليهم استغفرت لهم الاية
ق عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن ابي بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ
بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك
ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم
او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فانزل الله عز وجل ولا تصل على

Copyright © King Saud University

احد

منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
زاد في رواية فترك الصلاة عليهم ذلك بانهم كفروا والاية يعني ان هذا الفعل
من الله ترك عفو عنهم وترك المغفرة لهم من اجل انهم اختاروا الكفر
والخروج عن طاعة الله وطاعة الله وطاعة رسوله خازن ٥٥
ولا تصل على احد منهم مات ابدا قال قتادة بعث عبد الله بن ابي بن ابي سلول
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك حب
اليهود فقال يا رسول الله اني لم ابعث لتوبخني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي
وساله قميصه ان يكفن به فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمات وكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره
فانزل الله تعالى ولا تصل على احد الاية خ عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله
بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله على ابن ابي بن سلول وقد قال
يوم كذا وكذا كذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر
عني فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لو اعلم اني زدت على السبعين
يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل الى قوله وهم
فاسقون قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اعلم ولا تعجبك اموالهم واولادهم الاية الكلام في هذه الاية
في مقامين الاول في وجه التكرار والحكمة فيه انه تجدد النزول له شان
في تقرير ما نزل اولا وتاكيده واراد تعالى ان يكون المخاطب به على حال لا يغفل عنه
ولا ينساه

ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد هذا المعنى لقوته
فيما يجب ان يحذر منه وهو اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر
والاستغفار بذلك الاموال والاولاد وكان الحذر لذلك يجب التحذير منه
مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير لارادة التاكيد والمبالغة في التحذير من ذلك
الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل ايضا انما كرر هذه المعنى لانه اراد بالاية
الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالاية
الاخرى اقواما اخرين منهم المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت
في الالفاظ في هاتين الايتين وذلك انه تعالى قال في الاية الاولى فلا
تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الاية
الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين
واما هذه الاية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا اتى بالواو وقال تعالى في الاية
الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال واولادهم
والسبب في هذا الحرف لا دخلت هناك لزيادة التاكيد ويعلم انهم كانوا
معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم باولادهم اكثر في اسقاط
لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين وقال تعالى في الاية الاولى انما يريد الله
ليعذبهم بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفائدة فيه التنبيه
على ان التعليل في احكام الله محال وانه انما ورد حرف لا فمعناه انه كقوله
وما امروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما امروا الا بان يعبدوا الله وقال
تعالى في الاية الاولى في الحياة الدنيا وقال هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظ
الخبر تنبيها على ان الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق ان تذكر

Copyright © King Saud University

والتمس حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الذي خازن
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم يعني يعتذر هولاء المنافقون المتخلفون
عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل
انهم اعتذروا اليه والى المومنين فلهذا قال تعالى يعتذرون الاعذار الباطلة
الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من سفركم قل اي قل لهم يا محمد لا تعتذروا
قال البغوي روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا
بضعة وثمانين قال الله تعالى لا تعتذروا لن نومن لكم يعني لن نصدقكم
فيما اعتذرتم قد نبانا الله من اخباركم يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من
اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستانف اتتوبون من نفاقكم
ام تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم ينصروا المومنين في المستقبل فلهذا تقيمون
قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل توفون بما قلتم ام لا لتعرضوا عنهم
يعني لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم فاعرضوا عنهم يعني
فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني
لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال
لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هولاء المنافقين طلبوا
اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم
فقال تعالى انهم رجس يعني بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة
قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا نزلت في سكان البادية يعني
اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل
عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا

٢٢٠٥

اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا ويجمع الاعرابي على العرب
العرب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب
ومن نزل البادية فهم الاعراب اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي
اذا قيل له يا اعرابي غضب فالعرب افضل من الاعراب لان المهاجرين
والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الاعراب اشد كفرا
ونفاقا لبعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القران والسنن والمواعظ
قوله تعالى واجدر يعني واحق واحرى ان لا يعلموا اي بان لا يعلموا
حدود ما انزل الله على رسوله يعني من الفرائض والسنن والاحكام
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما يعني لا يرجوا على انفاقه ثوابا ولا
يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا او رياء والمغرم التزام ما لا
يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة
لانه لا ينفق ذلك الا خوفا من المسلمين او مراياة لهم ولم يرد بذلك
الانفاق وجه الله وثوابه ويتربص بكم الدوائر يعني بالدوائر تقلب
الزمان وصرفه التي تاتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعني
تنقلب الزمان فيموت الرسول وتظهر الشرك عليهم دائرة السوء يعني بل
تنقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن ولا يرون في اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم ودينه الا ما يسوءهم ومن الاعراب من يومن بالله واليوم
الاخر قال مجاهد هم من بني مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار
وجهينة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم
ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله

Copyright © King Saud University

بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا
قال هم خير من بني تميم ومن بني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني
عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انما تابعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة
قال النبي صلى الله عليه وسلم ارايت ان كان اسلم و جهينة وغفار ومزينة
خير من تميم وبني عامر واسد وغطفان قد خابوا وخسروا قالوا نعم
ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار
غفر الله لها زاد مسلم في رواية اما اني لم اقلها ولكن قالها ق عن
ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله خ م
وممن حولكم من الاعراب منافقون على القليل فان لفظة من للتبعيض
ويحمل دعا النبي صلى الله عليه وسلم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين
قول المفسرين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق
القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة في تفسير هذه الاية من القوم
الذين حول مدينتكم ايها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن اهل
مدينتكم ايضا امثالهم قوم منافقون وقال البغوي ومن اهل المدينة
من الاوس والخزرج منافقون مردوا على النفاق فيه تقديم وتاخير
تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا
على النفاق يعني مرنوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر
ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرن وثبت واعتادها
ولم يتب منها

ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد
اقاموا عليه ولم يتوبوا منها قال تعالى لا تعلمهم يعني انهم بلغوا
في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفا خاطرك واطلاعك
على الاسرار نحن نعلمهم اي يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا يخفى علينا
خافية وان وقفت سنعذبهم مرتين اختلف المفسرون في العذاب الاول
مع اتفاقهم ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله
تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا
انه تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة
في الاخرة اما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام
النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق
اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد اناسا وفضحهم فهذا هو
العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل
ان يكون العذاب الذي اعلمه الله حالهم وما لهم عليه لان الله تعالى لا تعلمهم
نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو
القتل والاسر وهذا قول ضعيف لان احكام الاسلام في الظاهر كانت
جارية على المنافق فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى
انهم عذبهم بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هذه الدبيلة
في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار تظهر في اكتافهم
حتى تنجم في صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد المصائب

في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى
هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة
والاخرى عذاب القبر وقيل الاخراق احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى
احراقهم بنار جهنم وقوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب
جهنم يخلدون فيها خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها قال ابن عباس
لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه له انطلق ابو
لبابة وصاحباه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من
اموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يعني يقولون استغفر لنا وطهرنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ منها شيئا حتى اومر به فانزل الله
عز وجل خذ من اموالهم صدقة الاية وهذا قول زيد بن اسلم
وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه
الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم
بذلوا اموالهم صدقة فاوجب صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك
معتبرا في كمال توبتهم فتكون جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول
يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة
كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم
بذلوا الزكاة امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ياخذها منهم وقال
بعضهم ان الاية كلام مبتدا والمقصود منها ايجاب اخذها من الاغنيا
ودفعها الى الفقرا وهذا قول اكثر الفقهاء خازن مختصر اصحابنا تقوم

فيه

يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال ابن عمر وزيد بن
ثابت وابو سعيد الخدري وهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
مسجد المدينة ويدل عليه ما روى عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله اي المسجد اسس
على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا فضرب به الارض ثم قال مسجدكم
هذا المسجد المدينة اخرجه مسلم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن ام سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوايم منبري هذا رواتب في الجنة
اخرجه النسائي قوله رواتب يعني ثوابت يقال رتب بالمكان اذا قام فيه
وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة
انه مسجد قبا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المتطهرين ويدل على انهم اهل قبا ما روي عن
ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المتطهرين قال وكانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم
اخرجه ابو داود والترمذي موقوفا على ابي هريرة ورواه البغوي
من طريق ابي داود مرفوعا عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون
بالما فنزلت هذه الاية ومما يدل على انه مسجد قبا ما روي عن ابن عمر قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا راكبا وماشيا زاد
في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يأتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج
الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج الرواية الثانية البخاري
عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي
هذا المسجد مسجد قبا فيصلي فيه ركعتين كان له كعدل عمرة اخرجه
النسائي عن اسيد بن ظهير قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوة في
مسجد قبا كعمرة اخرجه الترمذي على شفا جرف هار الشفا هو الشفير
وشفا كل شيء هو طرفه ومنه يقال اشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه
والجرف المكان الذي اكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب قال ابو عبيدة
الجرف المكان الذي هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينجرف
وقيل هو من هار اذا انهدم وسقط وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض
كما يهار الرمل والشيء الرخو فانهار به الاية والمعنى ان بنا هذا المسجد
الضرار كالبنا على شفير جهنم يتهور باهله فيها وهذا مثل ضربه الله
تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا او مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم فمعنى المثل فمن اسس بنيانه على دينه على
قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو التقوى الله ورضوانه خير
ممن اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو
الباطل والنفاق الذي مثله مثل بنا على غير اساس ثابت وهو شفا جرف
هار فانهار فاذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط في نار جهنم لان
الباني الاول قصد ببنيانه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان
بناؤه لنفس البنا كان عاقبته الى جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم

الى النار

الى النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فرئي الدخان يخرج منها
وقال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار لا يزال بنيانهم
الذي بنوا ريبة يعني شكا ونفاقا في قلوبهم والمعنى ان ذلك البنيان
صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم
فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه فكان ذلك سبب الريبة في
قلوبهم وقيل انهم كانوا محبين في بنائه كما حبب العجل الى بني اسرائيل فلما
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين وقيل انهم كانوا
محبين في بنائه كما حبب لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي لا يزال بنيانهم
ريبة اي حرارة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم اي تجعل
قلوبهم قطعا وتفرق اجزا بالسيف واما الموت والمعنى ان هذه الريبة
باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها ان الله اشترى من المؤمنين
الاية قال محمد القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك
ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان
تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما
لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله
اشترى من الاية قال ابن عباس بالجنة قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري
الله شيئا له في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشيا كلها
ملك لله تعالى ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا اياها
لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعا الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن

اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل او ينفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة
في الاخرة جزاء لما فعل في الدنيا فجعل ذلك اشتراء او اشترا فهذا معنى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد بهم
باموالهم انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة يقاتلون
في سبيل الله هذا التنبيه لتلك المبالغة وقيل معنى الاشتراء قاتلوا في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون يعني فيقتلون اعداء الله فيقتلون ويقتلون
في طاعة الله وسبيله وعدا عليه حقا يعني ذلك الوعد في التورية
والانجيل والقران يعني ان هذا الوعد الذي وعد الله للمجاهدين
في سبيل الله قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القران وقيل دليل
على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع اهل
الملل التائبون قال الفراء استونف لفظ التائبون بالرفع لتمام الاية
الاولى وانقطاع الكلام قال التائبون بالابتداء وخبره مضمر المعنى
التائبون الى اخره لهم الجنة ايضا من لم يجاهد هو غير معاند ولا قاصد
لترك الجهاد فله الجنة ايضا وهذا وجه حسن كانه وعد الجنة لجميع
المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول
كان الوعد بالجنة خالصا للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون
رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله تعالى ان
الله اشترى واما التفسير فقوله تعالى التائبون يعني تابوا من الشرك وبرءوا
من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر
والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ
عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول اربعة
اولها

اولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على
فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها
ان يكون الحاصل له على التوبة طلب رضوان الله تعالى وعبوديته وان
كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس ودفع مذمتهم فليس بخالص في
توبته ما كان للنبي والذين الاية روي انه عليه الصلاة والسلام قال لعمه ابي
طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج بها عند الله فابى فقال عليه الصلاة والسلام
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابوى
فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي
فاذن لي واستاذنته في الاستغفار فلم ياذن لي وانزل علي الايتين
ابو السعود لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية تاب الله بمعنى
تجاوز الله وصفح عن النبي والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله
عليه وسلم باذنه للمنافقين للتخلف عنه في غزوة تبوك وهو كقوله عفا الله
عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لانه نصب يوجب عتابا وقال
اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله تعالى فان لله خمسه
ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم
توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله
فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له اما معنى توبة الله على
المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة
تبوك لانها وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم لانها لا تقدر

على قتال الروم كيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفى
عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية
وقيل ان الانسان لا يخلوا وزلات وتبعات في مدة عمره
اما من باب الصغاير او من باب الترك لا فضل لان النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا
على تلك الشدايد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر وغفر لهم
وتاب عليهم ما تحملوا من الشدايد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله
عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم
في الدين فانهم قد بلغوا الى الرتبة التي ضم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم
والذين اتبعوه في ساعة تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر
بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ما بين
راكب وماشي من المهاجرين والانصار وساير القبايل في ساعة العسرة
يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت
تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان
عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن العشرة منهم يخرجون على
بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه
كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون
وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة
فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها

جرعة

Copyright © King Saud University